السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية

فى القرن السادس الميلادى
« عصر چوستنيان »

دكتور محمد فتحى الشاعر
كلية الآداب - جامعة المنوفية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٩

الاخراج الفني : محمد قطب

الغلاف : اسامه سعيد

تقديم

يمثل عصر جوستنيان فترة تاريخية فى التاريخ الرومانى المتأخر أو البيزنطى الباكر ، ذات خصائص مميزة ، جعلت حتمية البحث فى تاريخ هذه الفترة بالتفصيل أمرا لا مندوحة عنه لمن يشاء دراسة التاريخ البيزنطى ٠

وأما تحديد الجانب الشرقى فى السياسة البيزنطية ، فمرجعه بداية ظهور المسحة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عصر جوستنيان ٠ وبالرغم من أن الامبراطور بذل جهودا مضنية فى حركته الاستردادية ، فانه لم يغمض طرفة عين عن الجزء الشرقى من الامبراطورية سواء فى الداخل ، أم فيما يتعلق بالشعوب المحيطة بالحدود الشرقية للقسم الشرقى من الامبراطورية ، وما تحقق من نجاح الدبلوماسية الرومانية فى عصره ٠

لذلك اختص الفصل الأول بدراسة أحوال الامبراطورية قبيل عصر جوستنيان ، فى الداخل والخارج موضحا كيف كان الصراع على السلطة ، أحد العوامل الرئيسية فى تدهور الأحوال فى الداخل ، وطمع الأعداء المحيطين ، والذين تربصوا بها الدوائر ، حتى عانت الدولة من ويلات الحروب الأهلية من ناحية ، والحركات الانفصالية فى الشرق والغرب على حد سواء من ناحية ثانية ٠ وزاد الطين بله تحول الخلافات المذهبية الى عداء مستحكم ساعد على ظهور النعرات القومية فى الأقاليم الشرقية بصفة خاصة ٠ وأدهى من ذلك وأمر حدوث الانشقاق للمرة الأولى بين القسطنطينية والبابوية فى تلك الفترة بسبب الصراع على الزعامات الدينية التى اتخذت الخلافات فى الآراء المذهبية قناعا لها ٠

وتحدث الفصل الثاني عن جوستنيان والامبراطورية العالميـــة ، وتناولت فيه الامبراطور جوستنيان في عهد خاله جوستين ، وركزت فيه على الخلفية الأيديولوجية لسلطة جوستنيان الامبراطورية ، وعن نظرية المشيئة الالهية وايمان جوستنيان الشديد بفكرة الامبراطورية العالمية ٠

أما الفصل الثالث فيتحدث عن انجازات جوستنيان الداخلية فى الادارة ، والتشريع ، والعمارة ، والشئون المالية ٠

ويتحدث الفصل الرابع عن اقامة جوستنيان الكنيسة العالميـة ٠ وتناولت فيه نجـاحه فى اعادة الاتحـاد المذهبى مع روما ، ومواقف الامبراطور جوستنيان من الطوائف التى لاتدين بمذهب الدولة ، وعلى رأسها الطائفة التى تؤمن بمذهب الطبيعة الواحدة ، ومواقفه من اليهود عامة ، والطائفة اليهودية المعروفة بالسامرة بصفة خاصة ، وموقفه من الوثنية وجهوده اللاهوتية التى انتهت بعقد مجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣ م ، وأنهيت الفصل بالتحدث عن جوستنيان والقيصرية البابوية ٠

أما الفصل الخامس فيتحدث عن سياسة جوستنيان تجاه شعوب الحدود الشرقية وتناولت فيه الدبلوماسية الرومانية فى عصر جوستنيان٠ وموقف جوستنيان من عرب الحدود ، وسياسته تجـاه البحر الأحمر ودولتى الحبشة واليمن ٠ وكذلك سياسته تجاه شعوب البحر الأســود وشبه جزيرة القرم ، ثم موقفه من الآفار ٠

على أنى أفردت قسما خاصا بالفرس فى هذا الفصل ، وأوضحت طبيعـة الصراع الرومانى الفارسى ، والصراع بين القوتين العظميين على مناطق النفوذ عامة ، والمنطقة القوقازية خاصة ، واقليم لازيقا على وجه الخصوص ٠ وكذلك تحدثت عن معاهدتى السلام بين الفرس والرومان فى عصر جوستنيان : الأولى ٥٣٢ م ، والثانية ٥٦٢ م ، والحروب الطاحنة التى حدثت قبل عقد هاتين المعاهدتين ، وكيف أن جوستنيان ظل يعمل دائما على شراء الســـلام من الفرس بهدف التفرغ لاستكمال حركتـه الاستردادية ٠

وأنهيت البحث بملاحق يهدف القاء الضوء ، على عدة جوانب من نواحى الحياة فى عصر جوستنيان سواء فى الداخل أو الخارج ٠ ونظرا لشدة أهمية الخلافات الدينيـة قبيـل عصر جوستنيان تضمنت الملاحق نص منشور الامبراطور باسيليسكوس المؤيد لأتبــاع مذهب الطبيعة الواحدة ، ثم منشوره المضاد عندما انقلب عليهم ٠

ولأهمية ما كان يدور فى فكر المعاصرين للامبراطور جوستنيان ، أوردت نص النصائح التى تقدم بها أجابيتوس للامبراطور جوستنيان ، كما تضمنت الملاحق نص القسم الذى الزم جوستنيان به حكام الأقاليم وحرص على ضرورة تلاوتهم له قبل اعتلائهم المنصب حتى يلتزموا بسياسته الداخلية فى ادارة شئون الامبراطورية ·

وحرصت على ذكر نصين عن المسائل المهمة التشريعية ، اذ ليس من المقبول أن يكون جوستنيان « امبراطورا مشرعا » دون ذكر نص كلمته الى طلبة الدراسات القانونية والتى ورد بها الكثير عن ملامح سياسة جوستنيان العامة فى الداخل والخارج ، أو دون أن أذكر خطة العمل لاصدار الديجست التى حافظت على التراث القانونى الرومانى ·

وطالما كان جوستنيان يهيم بالامبراطورية العالمية حتى أنه رمز الى ذلك بالنمط الجديد التى أقام به تمثاله الضخم المعبر عن هذا المفهوم ، كما ذكر مؤرخ العصر والقصر ، بروكوبيوس ؛ لذلك وجدت من المناسب أن أقدم وصفا للتمثال من واقع المصدر الأصلى الوحيد ·

واستحوذ الفصل الرابع على نصيب الأسد فيما يتعلق بالملاحق · فذكرت رسالة الأساقفة أتباع مذهب الطبيعة الواحدة الى جوستنيان عند محاولته كسبهم الى صفه ، ثم ذكرت النوفلا التى أصدرها ضد أقطابهم عندما قلب لهم ظهر المجن ·

ولما كان جوستنيان شديد الاهتمام بالنواحى الدينية ؛ لذلك ذكرت القوانين (النوفلات) التى أصدرها ضد اليهود والسامريين ، وعن الرهبان وحياتهم ، وكذلك آخر نوفلاته ضد الطوائف الدينية المسيحية التى لاتدين بمذهب الدولة ، واختتمت ملاحق الفصل الرابع بنصوص قرارات مجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣ م ·

وتنتهى الملاحق بذكر نصوص معاهدتى الفرس والروم فى عصر جوستنيان الأولى عرفت باسم معاهدة السلام الدائم والتى عقدت سنة ٥٣٢ م ، والثانية عرفت باسم معاهدة الخمسين عاما ، وعقدت سنة ٥٦٢ م لما لهما من أهمية كبرى من جميع النواحى سواء أكانت سياسية أم اقتصادية ، أم دبلوماسية ، ولا سيما المعاهدة الثانية التى وردت بها تفصيلات تستحق الوقوف عندها ، وتوضح المستوى الراقى الذى وصل اليه الفكر البشرى فى تلك العصور التى يدعى البعض أنها كانت عصور ظلام وتخلف ·

ويجدر بى أن أرجع الفضل لأهله ، فاتوجه بالشكر الى أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أستاذ تاريخ العصور الوسطى ، وصاحب مدرسة العصور الوسطى فى العالم العربى ، والأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع ، والأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم ، والأستاذ الدكتور رأفت عبد الحميد محمد والأب منصور مستريح رئيس دير الآباء الفرنسسكان بالقاهرة فلولا مساعداتهم وتشجيعهم لما خرج البحث بهذه الصورة ٠

وانى لعلى يقين أن كلمات تتلى فى محراب الشكر والعرفان غير كافية ، غير أن قلمى لايملك سواها وان كان قلبى يحمل لهم بين ثناياه الكثير ٠

وأخيرا فانى أقدم هذا الجهد وكلى أمل أن يوفقنى الله الى اسهامة جديدة فى ميدان التاريخ البيزنطى ٠

والله ولى التوفيق٠

بورسعيد فى ١٣/٦/١٩٨٧م

دكتور محمد فتحى الشاعر

دراسة لأهم مصادر الكتاب

- المصادر اليونانية
- المصادر اللاتينية
- المصادر السريانية
- النصوص التشريعية
- المصادر العربية

دراسة لأهم مصادر الكتاب :

نظرا لتعدد الموضوعات التى يعالجها هذا البحث ، فقد أصبح لزاما على الباحث أن يعتمد فى دراسته على المصـــادر اليونانية واللاتينيـة والسريانية والنصوص التشريعية باللغة اللاتينية ، ثم أقدم المصـــادر العربية ، هذا بالاضافة الى نصوص الخطابات المتبادلة بين جوستنيان والبابوية باللغة اللاتينية وتحليل مادتها التاريخية لخدمة موضوع البحث وبهدف الوصول الى الاطار العـــام للسـيـاسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عصر جوستنيان ٠

أولا ـ المصادر اليونانية (البيزنطية) :

اعتمد الباحث على ثيودر القارىء Theodore Lector فى كتابه التاريخ الكنسى Ecclesiastical History وثيودور من المصادر المعاصرة لعهد جوستين اذ أنه عاش فى النصف الأول من القرن السادس للميلاد٠ وكان يعمل قارئا فى كنيسة الحكمة المقدسـة (أيا صوفيا) ٠ وما ورد فى تاريخه الكنسى من معلومات جعلته فى مقدمة المصـــادر الأساسية للبحث ، وبخاصة فى الفترة التى سبقت انفراد جوستنيان بالسلطة ٠ ويبدأ تاريخه الكنسى سنة ٣٢٣ وينتهى سنة ٥٢٧م ٠

ويتكون التاريخ الكنسى لثيودور من قسمين القســم الأول (فى أربعة كتب) وهذا القسم مجرد نقل حرفى لكتابات المؤرخين الكنسيين ، سوقراط Socrates وسوزومينوس Sozomenos وثيودوريت Theodoret (١) ٠

واعتمد الباحث على القسم الثانى من التاريخ الكنسى لثيودور ، الذى يتكون من كتابين : الكتاب الأول يبدأ من عهد ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ ـ ٤٥٠ م) ، والكتاب الثانى ويبدأ من عهد أنستاسيوس حتى بداية انفراد جوستنيان بالسلطة ٠ وقد استفاد الباحث كثيرا ، ولاغنى عن هذا التاريخ لمن يشـاء أن يبحث فى تاريخ تلك الفترة ولاسيما ان ثيودور كان معاصرا لأحداثها كما مال الى الايجـاز فى عهد جوستين اذا ما قورن بما قدمه من مادة علمية فى عهد انستاسيوس ٠

---

(١) A. A. Vasiliev, Justin the First, (Cambridge, 1950), p. 11.

ومن المصادر اليونانيـة والمعاصرة للامبراطور جوستنيان حوليـة حنا مالالاس John Malalas ، والذى بدأ حوليته منذ بداية العالم حتى سنة ٥٥٧ م • وهذه الحولية Chronographia من المصادر المهمة لفترة البحث ، وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقات الشرقية للامبراطورية الرومانية مع شعوب حدود القسم الشرقى للامبراطورية سواء مع شـعوب شرق البحر الأسود أو الفرس أو الحبشة أو اليمن ، هذا فضلا عن دراسـة الأحوال الداخلية للامبراطورية وبخاصـة ثورتى السامريين فى عصر جوستنيان (٢) ، واستفاد الباحث من نصـوص المراسلات التى ذكرها حنا مالالاس بين قباذ ملك الفرس والامبراطور جوستنيان (٣) • وكذلك المراسلات التى دارت بين ملك الحبشـة وذى نواس ملك اليمن (٤) • كما انفرد حنا مالالاس بذكر السفارة التى أرسلها جوستنيان الى ملك الحبشة سنة ٥٣١ م ، وقدم وصفا شيقا للقاء الذى تم بين ملك الحبشة والوفد الرومانى مؤكدا على نجاح هذا الوفد فى مهمته وذاكرا أنه استقى هذه المعلومات من أحد أعضاء الوفد الرومانى الذى زار الحبشة (٥) •

وعلى أية حال فان حولية حنا مالالاس لاغنى عنها للباحث فى عصر جوستنيان لما بها من معلومات قيمة •

أما المؤرخ بروكوبيوس Procopius فهو مؤرخ العصر والقصر ، وهو المصدر الأول والأساسى لعدة جوانب من البحث وبخاصة الجوانب الدبلوماسية والحربية والمعمارية ، وبعض نواحى الحياة العامة فى عصر جوستنيان •

كتب بروكوبيوس أعماله كشاهد على العصر ، بحـكم موقعـه كمستشار قانونى لازم بليزاريوس Belisarius ــ أعظم قادة جوسـتنيان طوال عصره ــ فى كل خطواته فى القسم الشرقى للامبراطورية ، وكذلك فى القسم الغربى منها ابان الحركة الاستردادية •

بدأ بروكوبيوس أعماله بكتبـه « عن الحروب » اثنـان منهـا عن الحروب الفارسية ، واثنان عن الحروب ضد الوندال ، وأربعة كتب عن الحروب القوطية • وقد اسـتفاد الباحث كثيرا من الكتابين الخاصين

---

(٢) *Malalas*, Chronographia pp. 445-447, pp. 486-487.
(٣) Ibid, pp. 449-450.
(٤) Idem, p. 433.
(٥) *Malalas*, Op. cit., pp. 457-458.

بالحروب الفارسية بشكل أساسي ، ومن باقي الكتب الأخرى وفقا لما تطلبه البحث • والواقع أن بروكوبيوس قدم مادة علمية غزيرة وكتب بالتفصيل الى حد أنه فاق المؤرخ حنا مالالاس في هذا المجال • كما لاحظ الباحث أن بروكوبيوس صار مصدرا لمن جاء بعده من المؤرخين الذين كتبوا عن عصر جوستنيان في أواخر القرن السادس ، كما فعل ايفاجريوس Evagrius أو في القرون التى تلت القرن السادس الميلادى كما سيظهر في دراسة باقي المصادر •

على أن بروكوبيوس توقف عند سنة ٥٥٢ م في كتبه الثمانية « عن الحروب » وافاد الباحث أعظم فائدة من الكتاب الضخم عن « الانشاءات المعمارية » للمؤرخ بروكوبيوس ، حيث تضمن هذا العمل القيم ستة كتب جعلت منه سجلا فريدا ونادرا عن حركة البناء والتعمير سواء في المجال الديني أو الحربي أو الاجتماعي • وصدر كتاب بروكوبيوس « عن الانشاءات المعمارية » سنة ٥٦٠ م بناء على ايحاء من الامبراطور جوستنيان ، لذلك مال بروكوبيوس الى اتباع أسلوب الاطراء بشكل واضح •

غير أن بروكوبيوس كان قد أصدر كتيبا سنة ٥٥٠م وكتبه بقصد الا ينشر في عهد جوستنيان والمعروف باسم « التاريخ السرى » The Secret History وهو كتاب استفاد منه الباحث كثيرا لما به من مادة علمية غاية في الأهمية ، اذا ما استثنينا هجوم المؤلف اللاذع على جوستنيان وزوجته الامبراطورية ثيودورا ، وبشكل حمل الباحث على القول بأن ما قاله بروكوبيوس عن جوستنيان انما هو أمر مبالغ فيه ، لا سيما بعد أن سجل بروكوبيوس على نفسه بأنه بالغ في التقديرات مرتين على الأقل : فهل يعقل أن جوستنيان قتل من السامريين مائة ألف نسمة سنة ٥٢٩ م ؟! (٦) وأنه قتل من أهالي شمال أفريقيا خمسة ملايين نسمة ؟!! ، وأنه قتل طوال حكمه مليون مليون نسمة ؟!!! (٧) •

على أية حال ، لاغنى للباحث في عصر جوستنيان عن هذا الكتاب ، بالرغم مما به من مبالغات عديدة ، وأمور تنم عن الحقد الأسود ، والكراهية العمياء •

ومن المصادر اليونانية التى رجع اليها الباحث كتاب « التاريخ » Historiarum لمؤلفه أجاثياس Agathias (٥٣٦ – ٥٨٢ م)

---

(٦) *Procopius*, The Secret History, p. 98.

(٧) Ibid, pp. 130-131.

بدأ أجاثياس تاريخه سنة ٥٥٢ م وانتهى بسنة ٥٥٨ م · وهو من أهالى آسيا الصغرى وولد فى بلدة مايرينا Myrina ، التى تقع بالقرب من سمايرينا Smyrina (وهى أزمير حاليا) ، ولاتبعد عنها سوى عشرين ميلا تجاه الشمال · (٨) ودرس القانون فى الاسكندرية ، فى الفترة ما بين ٥٥١ ـ ٥٥٥ م ، وذلك لأن مدرسة القانون الشهيرة فى بيروت كانت قد دمرها الزلزال سنة ٥٥١م (٩) ·

والمؤرخ أجاثياس قدم معلومات مهمة استفاد منها الباحث تتعلق بالشعوب التى تعيش شرق وشمال شرق البحر الأسود ، وهى التى تقع فى نطاق الشعوب المجاورة للحدود الشرقية للامبراطورية ، ومن هنا تبدو أهميته لموضوع البحث · كما تناول أجاثياس الحوادث التاريخية فى ايطاليا (٥٥٢ ـ ٥٥٨ م) وكذلك هجمات الفرنجة على ايطاليا ·

واستفاد الباحث من أجاثياس لأنه تحدث عن الجانب الحربى فى المنطقة القوقازية وما بها من اقليم لازيقا الذى له أهمية استراتيجية للفرس وللروم على حد سواء وانتقل أجاثياس الى مدينة القسطنطينية ، واعادة بناء كنيسة الحكمة المقدسة (ايا صوفيا) على أثر زلزال سنة ٥٥١ وأخيرا استعان الباحث بكتاب أجاثياس فى دراسة دور بليزاريوس فى التصدى لهجوم قبائل الهون على العاصمة سنة ٥٥٨ م · وهكذا أكمل أجاثياس فترة زمنية مهمة من تاريخ عصر جوستنيان اذ بدأ حيث انتهى بروكوبيوس واستعان الباحث بالمؤرخ ميناندر Menander فى كتابه Excerpta de legationibus Romanorum ويتميز ميناندر بأنه بدأ من حيث انتهى أجاثياس اذ بدأ بسنة ٥٥٨ م وانتهى بسنة ٥٨٢ م · وهو من أهالى القسطنطينية ودرس القانون ·

وتعود أهمية ميناندر للباحث أنه المصدر الوحيد الذى ذكر نصوص معاهدة السلام مع الفرس سنة ٥٦٢م حيث كتب بالتفصيل عن جلسات المفاوضات التى سبقت التوقيع على هذه المعاهدة · وذكر أنه اعتمد على أحد اعضاء الوفد الرومانى الذى اشترك فى تلك المفاوضات · كما أن ميناندر لاغنى عنه فيما يتعلق بالفترة الأخيرة من حكم جوستنيان · كما

---

(٨) *Ure*, Justinian and His Age, p. 184.

(٩) *Ronald*, «On the Early Career of Agathias Scholesticus», Revue de, Etudes Byzantines, Tome XXVIII, (Paris, 1970), p. 141, 144, 1٤0.

أنه مصـــدر مهم للجوانب السياسية والدبلوماسية والحربية لعهـدى جوستين الثانى وتيبربوس (١٠) ٠

من أهم المصـــادر التى اعتمد عليها الباحث المؤرخ ايفاجريوس Evagrius وكتابه تاريخ الكنيسة ، قسم ايفاجريوس كتابه الى ستة كتب بدأهـا الحـوادث التاريخية لمجمع افســوس ٤٣١ وانتهى بســنة ٥٩٣ م (١١) ٠

ولد ايفاجريوس فى سوريا حوالى سنة ٥٣٦ م واشتغل بالمحاماة فى أنطاكية ثم صار مستشارا قانونيا للبطريرك جريجورى Gregory بطريرك أنطاكية (٥٧٠ ــ ٥٩٣ م) ٠ (١٢) ويبدو أن عمله مع البطريرك جريجورى مكنه من أن يكون على معرفة بالشئون العلمانية والكنيسة ، كما كان فى وضـــع يســـمح له بالاطـلاع على الوثائق والمســـتندات الرسمية (١٣) ٠ لذلك كله جاء تاريخ ايفاجريوس سجلا حافلا بالتاريخ الكنسى والتاريخ العام على حد سواء ٠ وقدم ايفاجريوس حقائق مفيدة عن المعلومات التاريخية التى ذكرها من سبقه من المؤرخين ٠ كما استفاد الباحث كثيرا من كتاب ايفاجريوس فى الفترة الزمنيـــة للبحث والفترة السابقة لها مباشرة ٠

اعتمد ايفاجريوس على المصادر السابقة بالنسبة للفترات التاريخية التى لم يعاصرها ٠ (١٤) وذكر منها المؤرخ أيوستاثيوس Eustathius الذى قال عنه ايفاجريوس أن تاريخه انتهى عند ســنة ٥١٣ م وذكر أنه خير من كتب عن الحروب الفارسية الرومانية فى عهد أنستاسيوس (١٥) ٠

وفيما يتعلق بالفترة الزمنية المتعلقة بالبحث فقد اعترف ايفاجريوس بأنه استقى معلوماته من عدة مصادر منها ، الرجال المعمرين ، (١٦) ومن المؤرخ الكنسى زكريا المتيلينى ٠ (١٧) وكذلك من المؤرخ بروكوبيوس

---

(١٠) *Baldwin*, «*Menander* Protector», Dumbarton Oaks Papers No. 32, (New York, 1978), pp. 101-111.

(١١) *Evagrius*, History of the Church, pp. 371-372 :

(١٢) Ibid, p. 254.

(١٣) *Downey*, A History of Antioch in Syria, (Princeton, 1961). p. 43.

(١٤) *Evagrius*, Op. Cit., p. 366.

(١٥) *Evagrius*, Op. Cit., pp. 364-365.

(١٦) *Ibid*, p. 371.

(١٧) *Ibid*, pp. 343-346, 350-357.

(١٨) ، هذا بالاضافة الى ما شاهده بنفسه ، وما سمعه كشاهد عيان للفترة الزمنية للبحث وما بعدها حتى سنة ٥٩٣ م ٠

رجع الباحث لكتاب « حولية الفصح » Chronicon Paschale ومؤلف هذا الكتاب مازال مجهولا ٠ ويتحدث الكتاب عن الحوادث التاريخية منذ آدم حتى سنة ٦٢٩ م ٠ ومن الواضح أن كاتب هذه الحولية نقل عن غيره من المصادر السابقة على عصره — وبالنسبة للفترة الزمنية للبحث ، قدمت هذه الحولية معلومات مفيدة ، ولاسيما أنها تميزت عن غيرها من المصادر بذكرها نصوص قرارات مجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣ م ٠

رجع الباحث للمصادر اليونانية التى صدرت بعد الفترة الزمنية للبحث أولها ثيوفانس Theophanes وهو من مؤرخى القرن التاسع للميلاد وكتابه من الحوليات المهمة ٠

وان كان قد اعتمد على ثيودور القارىء وحنا مالالاس بالنسبة للفترة الزمنية للبحث (١٩) ٠ وعلى أية حال ، فقد استفاد الباحث من ثيوفانس لما قدمه من معلومات فى عدة مواضيع من مواضيع البحث ٠

والمؤرخ جورج كدرينوس George Cedrenus من مؤرخى القرن الحادى عشر ، وكتابه « التاريخ المختصر » Historiarum Compendium بدأه منذ آدم حتى سنة ١٠٥٧ م ٠ ومن الواضح أنه اعتمد على مصادر سابقة ٠ غير أنه لم يذكر سوى بروكوبيوس كأحد المصادر التى رجع اليها فى عصر جوستنيان (٢٠) وكتابه تناول فيه عدة جوانب فى تاريخ الامبراطورية منها السياسى والدينى والحربى ٠

أما المؤرخ حنا زوناراس Johannes Zonaras وكتابه « الموجز فى التاريخ » Epitome Historiarum اعترف أنه رجع للمؤرخ بروكوبيوس فى عصر جوستنيان (٢١) ٠ وتاريخ زوناراس يبدأ منذ

---

(١٨) *Idem*, pp. 396-397, 401-406.

(١٩) *Vasliiev*, Justin the First, p. 14.

(٢٠) *Cedrenus*, Historiarm Compendium, Tomus, Prior, p. 649.

(٢١) *Zonaras*, Epitome Historiarum, p. 170.

بدء الخليقة حتى سنة ١١١٨ م . ولاحظ الباحث أن تاريخه يميل الى الايجاز كما يبدو أنه نقل عن مصادر ليست معروفة حاليا (٢٢) .

تلك كانت أهم المصادر اليونانية التى رجع اليها الباحث وحاول قدر المستطاع الاستفادة منها فى موضوع البحث .

---

(٢٢) فيما يتعلق بالفترة الزمنية للبحث ، لاحظ الباحث أن زوناراس هو المؤرخ الوحيد الذى أورد العبارة التالية على لسان جوستين « حذار من أن يحاول أى شاب ارتداء هذا الزى » . انظر :

Zonaras, Op. Cit., p. 150.

ثانيا ـ المصادر اللاتينية :

من بين كتاب الحوليات اللاتين وأعظمهم أهمية ماركيلينوس كوميز Marcellinus Comes الذى عاش وكتب فى القسطنطينية فى عصر جوستنيان ٠ وكان الليريا ، وعمل فى وظيفة السكرتير الأول للامبراطور جوستنيان قبل اعتلائه لعرش الامبراطورية وظل على علاقة وثيقة بالامبراطور بعد اعتلائه للعرش (١) ، لذلك تعتبر حوليته من المصادر المهمة ، فضلا عن أنهـا غطت الفترة ما بين ٣٧٩ ـ ٥٦٦ م ٠ على أن ماركيلينوس يتميز بالايجاز عند تقديمه للمعلومات ، كما تتركز حوليته على الجانب السياسى فى القسمين الشرقى والغربى من الامبراطورية ٠ ولاحظ الباحث أن ماركيلينوس لم يذكر شيئا عن الحروب فى عهد جوستين ٠

ورجع الباحث الى حولية الأسقف فيكتور التونسى Victor Tununensis الذى كان معاصرا للامبراطور جوستنيان ، وكان أسقفا فى شمال أفريقيا ٠ وتم ارساله الى المنفى لأنه اتخذ موقفا يتعارض مع جوستنيان بالنسبة لموضوع الفصول الثلاثة ٠ وكتب فيكتور حوليته ابان وجوده فى المنفى وغطت الفترة ما بين ٤٤٤ الى ٥٦٦ م (٢) ٠ غير أن حولية فيكتور تميل الى الايجاز وجاء معظمها عن الحوادث التى وقعت فى القسطنطينية بالاضافة الى بعض الملاحظات المختصرة عن الشئون الكنسية فى الامبراطورية بصفة عامة ، وكذلك عن وفاة الملك الوندالى ترازاموند Trasamund (٤٩٦ ـ ٥٢٣ م) ٠

ورجع الباحث للشماس القرطاجى ليبراتوس Carthaginian deacon Liberatus وكتابه « المختصر أو الموجز » Breviriums الذى صنفه فيما بين ٥٦٠ ـ ٥٦٦ م ٠ ويغطى الفترة التى تم فيها التصنيف ٠ ومال المؤرخ الى مذهب الطبيعتين ويعتبر كتابه من المصادر المهمة المتعلقة بتاريخ الخلافات الكنسية فى القرنين الخامس ، والسادس ، وكذلك عن ساويرس بطريرك أنطاكية والخلافات الدينية فى الاسكندرية (٣) ٠

---

(١) *Vasiliev*, Justin the First, p. 19.

(٢) *Ibid*, pp. 19-20

(٣) *Vasiliev*, Op. Cit,. pp. 21-22.

كما اعتمد الباحث على « مجموعة أفيلانا » Collectio Avellana للوقوف على الاتجاه العام لسياسة جوستنيان الدينية . واستفاد الباحث كثيرا اذ أنها تعتبر كنزا نفيســا ، لما بها من معلومات عن العلاقات بين روما والقسطنطينية فى المجال الدينى .

على أن اسم أفيلانا غير موجود الآن ، وهو الذى تنسب اليه هذه المجموعة منذ القرن الثامن عشر للميلاد على يد الأخوين العالمين بولينيرى Balleniri ، لأن هـــذه المجمـوعة كانت فى بـداية أمرهـا ملكا لدير القديس كروكيز St. Crucis الذى كان موجودا فى Fonte Avellana in Umbria (Italy) ويجب حاليــا أن تحمل هـــذه المجمـوعة اسم « مخطوطة الفاتيكان رقم ٣٧٨٧ » .
The Collection of the Vatican manuscript 3787.

بيد أن العلماء استمروا فى اســتعمال اســمها القــديم الذى اشتهرت به (٤) .

---

(٤) *Vasliiev*, Op. Cit., pp.. 161-162. N. 47.

ثالثا ـ المصادر السريانية :

أقدم المصادر السريانية التى اعتمد عليها الباحث حوليات يوشع العمودى Joshua the Stylite وهو من أهم المصادر التى عالجت أحوال الامبراطورية قبيل عصر جوستنيان وبخاصة أنه عاصر الحوادث التاريخية حتى سنة ٥٠٧ م ٠

كان يوشع العمودى قسا فى دير زوحنين Zuhinin بالقرب من أمد (دياربكر حاليا) ٠ وكتب هذه الحولية بناء على طلب سيرجيوس Sergius رئيس أحد الأديرة فى منطقة الرها (١) ٠

واستفاد الباحث كثيرا من حولية يوشع عند البحث فى عهدى زينون وأنستاسيوس وبخاصة أن يوشع بدأ بعهد زينون (٢) وانتهى فى كتابة حوليته فى الثامن والعشرين من نوفمبر ٥٠٦ م (٣) ٠

اعترف يوشع فى حوليته أنه جمع مادته التاريخية من بعض الكتب القديمة (وان كان لم يذكر أسماء هذه الكتب) ، ومن مقابلاته مع الذين قاموا بدور السفراء بين الفرس والرومان ، ومن الذين عاصروا الحوادث التاريخية (٤) ٠

أفادت حولية يوشع العمودى فى معرفة العلاقات الرومانية الفارسية فى عهد زينون ، والأحوال الداخلية فى الامبراطورية ابان استيلاء باسيليسكوس على العرش والحركة الانفصالية التى ترتب عليها اعلان الامبرطورية فى أنطاكية (٥) ٠ كما كانت حولية يوشع أول المصادر التى تحدثت عن الغاء انستاسيوس « ضريبة التجارة » Chrysarguron (٦) وكذلك عن الحروب الفارسية الرومانية (٥٠٢ ـ ٥٠٣) التى قدمها بالتفصيل (٧) ٠

---

(١) *Joshua*, Chronicle, p. IX.
(٢) *Ibid*, p. 7.
(٣) *Idem*, p. 75.
(٤) *Joshua*, Op. Cit., p. 17.
(٥) *Ibid*. pp. 7-11.
(٦) *Ibid*, p. 22.
(٧) Idem, pp. 38-75.

ومن أقدم المصادر السريانية التى اعتمد عليها الباحث « كتاب الحميريين » The Book of the Himyarites والذى ظل كمخطوطة حتى سنة ١٩٢٤ م ثم قام المستشرق السويدى أكسل موبرج Axel Moberg بترجمتها الى اللغة الانجليزية ٠ وهذه المخطوطة مجهولة المؤلف ٠ ونسخها القس اسطيفان بن متى فى هيكل القديس مارتوما فى حمص يوم الثلاثاء الموافق العاشر من يناير سنة ٩٣٢ م (٨) ٠ وكتاب الحميريين هذا من أهم المصادر السريانية وأقدمها اذ يبدو أنه كتب بعد سنة ٥٢٥ م بفترة وجيزة ، كما أن مؤلفه اعتمد على ما سمعه من شهود عيان للحوادث هناك ٠٠ وتضمن كتاب الحميريين معلومات قيمة عن بلاد اليمن وعن اليهودية والمسيحية بها ، وعن حروب الحبشة هناك ٠ كذلك عن اضطهاد الحميريين للمسيحيين وبخاصة فى عهد مسروق (ذو نواس) فى مدن ظفار ونجران وحضرموت ومأرب ثم الرسالة التى أرسلها ذو نواس الى المنذر أمير الحيرة ضد المسيحيين هناك ٠ ويفهم من هذا الكتاب أن اليمن كان بها يهود ونصارى بالاضافة الى بقاء الوثنية بها ٠

ومن المصادر السريانية المهمة حولية زكريا المتيلينى Zachariah of Mitylene (ت ٥٦٨ م) ٠ واعتمد الباحث على حولية زكريا فى النصوص الدينية قبيل عصر جوستنيان وكذلك طوال عصر جوستنيان وتعود أهمية حولية زكريا الى أنه لم يقتصر على النواحى الدينية فحسب وانما امتدت الحولية لتشمل أحوال الامبراطورية الداخلية فى بعض النواحى :. ففى عهد زينون ذكر ثورة الأيسوريين وظهور فيتاليان على مسرح الحوادث الداخلية فى عهد انستاسيوس وكذلك الحرب اليونانية الفارسية .

وأفادت حولية زكريا الباحث بالنسبة لعصر جوستنيان لأنها قدمت معلومات عن الحروب مع الفرس واسترداد شمال أفريقيا وان كان ذلك بشىء من الايجاز وقدم زكريا تفصيلات ما فعله ذو نواس باليمن هذا بالاضافة الى الأحوال الدينية بالامبراطورية من وجهة النظر المونوفيزيتية لأن زكريا كان يؤمن بمذهب الطبيعة الواحدة ٠

أما حولية ميخائيل السريانى ، فهى احدى المصادر الأساسية التى اعتمد عليها الباحث الى حد كبير لأن ميخائيل تناول فى حوليته جوانب

---

(٨) اغناطيوس يعقوب الثالث (بطريرك أنطاكية وسائر المشرق) ، الشهداء الحميريون العرب فى الوثائق السريانية ، دمشق ١٩٦٦م ، ص ٩٦ ٠

متعددة قبيل عصر جوستنيان وكذلك فى عصر جوستنيان وظهر ذلك فى متون البحث فى أكثر من فصل ·

كان ميخائيل بطريركا لأنطاكية (١١٦٦ ـ ١١٩٩ م) ، وكتب فى حوليته منذ بدء الخليقة حتى فترة جلوسه على كرسى البطريركية ولايفوت الباحث القول أن الجوانب الدينية فى حولية ميخائيل تناولها من وجهة نظر أتباع مذهب الطبيعة الواحدة ، كما فعل زكريا المتيلينى ·

ومن أهم المصادر السريانية التى رجع اليها الباحث أعمال حنا الافسوسى John of Ephesus (ت ٥٨٥ م) والتى حملت اسم « حياة القديسين الشرقيين » (٩) وعمله هذا يلقى كثيرا من الضوء على السياسة الدينية فى عصر جوستنيان وحنا الأفسوسى معاصر للامبراطور جوستنيان ، واستعان به كثيرا ، حيث أرسله الى أقاليم أسيا ، وليديا Lydia وكاريا Caria وفريجيا Phrygia سنة ٥٤٢ م · وبعد ذلك بأربعة أعوام (٥٤٦م) كلفه جوستنيان بالبحث عن الذين يمارسون الطقوس الوثنية سرا فى القسطنطينية ، والعمل على جعلهم يعتنقون المسيحية (١٠) ·

---

(٩) The Syrian text with an English translation was published by C.W. Brooks, «Lives of the Eastern Saints», Patrologia Orientalis, XVII (Paris, 1923), XVIII (1924), XIX (1925).

(١٠) J. Payne, John of Ephesus, (Oxford, 1909), pp. 1-3.

رابعا ـ النصوص التشريعية :

رجع الباحث الى مجموعة جوستنيان القانونية Codex Justinianus وبخاصة الكتاب الأول منها والتى تضمنت كل القوانين التى أصدرها أباطرة الرومان فى الشئون الكنسية منذ عهد قنسطنطين حتى سنة ٥٣٤ م ، عندما صدرت النسخة الثانية لهذه المجموعة ٠

ومن واقع متون البحث وبخاصة الفصل الرابع منه ، « جوستنيان والكنيسة العالمية » فانه يمكن القول ان الباحث استفاد كثيرا جدا بعد دراسته للكتاب الأول من هذه المجموعة اذ أنه بدون الرجوع بتمعن لهذا الكتاب لايمكن أن يستقيم البحث فى الشئون الدينية ، وسياسة جوستنيان بشأن الكنيسة العالمية (١) ٠

كما رجع الباحث الى القوانين التى أصدرها جوستنيان اعتبارا من سنة ٥٣٥ م حتى سنة ٥٥٦ م والتى حملت الاسم اللاتينى Novellae Constitutiones وعددها مائة وثمانية وستون ٠ وهى التى صارت معروفة باسم Novels (نوفلات) ٠

والواقع أن الباحث استفاد كثيرا منها لأنها احدى المصادر الأساسية المهمة اذ أنها مكنت الباحث من الوقوف على الأحوال الداخلية للامبراطورية المتعلقة بالسياسة الادارية والكنيسة ، والقضائية وبها اشارات عديدة عن مفهوم جوستنيان عن سلطته تجاه الكنيسة ، وايمانه الشديد بعالمية الامبراطورية ٠

وليس يخاف ان ما أصدره جوستنيان من تشريعات منذ اعتلائه للعرش كلها غاية فى الأهمية لضرورة اكتمال الصورة العامة لعصر جوستنيان ٠ اذ بدونها وبقصر الاعتماد على المصادر التاريخية فحسب تصبح الصورة الحقيقة للعصر غير واضحة على الاطلاق (٢) ٠

---

(١) رجع الباحث الى الترجمة الفرنسية المصحوبة بالنص اللاتينى للجزء الأول من الكتاب ٠

Code de Justinien, Tome Premier, Traduction par P.A. Tissot, (Paris, 1806).

(٢) رجع الباحث الى الترجمة الفرنسية المصحوبة بالنص اللاتينى لقوانين جو ستنيان الجديدة (نوفلات) فى كتابى :

Les Novelles de l'Empereur Ju stinien, Traduites en français par Berenger fils, de Valence (Drôme), Tome. Premier (Paris, 1811), Tome Deuxieme, (Paris, 1812).

خامسا ـ المصادر العربية :

اعتمد الباحث على العديد من المصادر العربية التى قدمت اضافة للمادة العلمية التى استقاها من المصادر اليونانية والسريانية فيما يتعلق بالعرب الذين يعيشون على حدود الدولة الرومانية أو فى اليمن ، وكذلك عن علاقات الحبشة باليمن • وحرص الباحث على الرجوع الى أقدم المصادر العربية قدر المستطاع •

ولاحظ الباحث تطابق المصادر العربية مع المصادر اليونانية والسريانية فيما يتعلق بالعلاقات الحبشية اليمنية ، بالرغم من أنها صدرت بعد وقوع هذه الأحداث بعدة قرون ، كما أن هذا التطابق ظهر أيضا فى الفترة التى حكم فيها ذو نواس اليمن ، وما فعله فى نجران بصفة خاصة ويبدو أن هذا التطابق مرده الى الكتب المترجمة عن الفرس واليونان والسريان ، منذ بداية القرن الثالث الهجرى ، والتى كانت بمثابة مصادر أساسية نقل عنها المؤرخون العرب فى ذلك الحين بالاضافة الى الروايات التى تناقلتها الشفاه ، اذ أن بداية تدوين التاريخ عند العرب ، لم تبدأ الا بعد عهد الخلفاء الراشدين •

وثمة ملاحظة أخرى على المصادر العربية هى أنها تشابهت الى حد كبير فى سردها للحوادث التاريخية مما تقطع بأنها نقلت من بعضها البعض ، فقد ظهر للباحث أن أقدم هذه المصادر العربية اتفقت جميعها فى عدد الجيش الذى قضى على ذى نواس ، اذ حددت عدده بسبعين ألف مقاتل (١) • ويبدو أنه رقم مبالغ فيه ، علما بأن المصادر السريانية واليونانية لم تذكر شيئا عن عدد هذا الجيش •

على أن هذا التطابق بين المصادر العربية لم يكن كاملا فى نواحى أخرى ، فقد ذكر ابن هشام (ت ٢١٨) أن ذا نواس حكم لمدة ثمانية وثلاثين عاما (٢) ، فى حين أن اليعقوبى (ت ٢١٧ هـ) (٣)

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، الجزء الأول ص ٢٠٠ ، ابن هشام : التيجان فى ملوك حمير ، ص ٢٩٩ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٦٣٧ ، الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١ ، ص ١٢٣ ، البلخى ، البدء والتاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ •

(٢) ابن هشام : التيجان فى ملوك حمير ، ص ٣٠١ •

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، الجزء الأول ، ص ٢٠٠ •

وابن قيبة (٤) (ت ٣٧٦ هـ) ذكرا ان ذا نواس حكم لمدة ثمانية وستين عاما ، ويشك الباحث كثيرا فى هذين الرقمين ٠

على أن هذا لايقلل من قيمة المادة العلمية التى وردت فى المصادر العربية عن بعض الموضوعات التى تتعلق بالبحث وبخاصة أن هذه المصادر العربية كانت الوحيدة التى قدمت مادة علمية أصيلة عن نشأة امارتى الحيرة والغساسنة ٠ كما أنها تطابقت مع المصادر غير العربية بشأن العداء المتبادل بين أهل الحيرة والغساسنة ٠

---

(٤) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٦٣٧

أحوال الامبراطورية قبيل عصر جوستنيان

الصراع على السلطة داخل القصر الامبراطورى ـ اعتلاء زينون للسلطة ـ استيلاء باسيليسكوس للعرش ـ عودة زينون ـ تمرد الأيسوريين فى أنطاكية واعلانهم الامبراطورية بها . اعلان السامريين للملكية فى فلسطين ـ المسألة الدينية : المونوفيزيتية الهينوتيكون ـ الانشقاق بين القسطنطينية والبابوية فى روما ـ علاقات القسطنطينية بالقبائل الجرمانية بالشرق وشبه جزيرة البلقان ـ علاقات القسطنطينية بالفرس ـ موقف القسطنطينية من أدواكر وثيودريك فى ايطاليا ـ موقف القسطنطينية من الوندال ـ اصلاحات أنستاسيوس المالية وتصحيحة للمسار الاقتصادى للامبراطورية .

تعتبر الفترة الواقعة بين وفاة الامبراطور ليو الأول (ت ٤٧٤م) واعتلاء جوستنين الأول ٥١٨ م للعرش ، من أشد الفترات خطورة فى تاريخ الامبراطورية ، فقد تميزت هذه الفترة بحدوث متغيرات داخلية فاقت فى خطورتها الأخطار الخارجية . وتمثلت هذه الأخطار الداخلية فى الصراعات على السلطة ، وازدياد قوة الحركة المونوفيزيتية ، وما ترتب على ذلك من تفاقم الانقسامات الداخلية ، والخلافات الكنسية الدامية ، وحدوث الانشقاق الكنسى الأول بين القسطنطينية والبابوية فى روما . وزاد من حدة التوتر فى عاصمة الامبراطورية الأساليب العنصرية التى مارستها العناصر الأيسورية المسيطرة على الدولة . هذا فى الوقت الذى كانت فيه خزانة الدولة خاوية منذ الحملة الاستردادية الفاشلة على شمال أفريقيا فى أواخر أيام الامبراطور ليو الأول . وبالرغم من بقاء زينون على

عرش الامبراطورية حوالى سبعة عشر عاما (٤٧٤ ـ ٤٩١ م) فانه كان أشبه بالجالس على فوهة بركان ، نظرا لتعدد المؤامرات والحروب الأهلية فى عهده ، بالاضافة الى الأخطار الخارجية • واذا كان عهد أنستاسيوس (٤٩١ ـ ٥١٨م) قد اتخذ طابع الاصلاح ومعالجة مصادر الخطر فى الداخل والخارج ، فان نجاحه لم يكن كاملا ، لأن التركة التى ورثها عن زينون كانت ثقيلة • هذا فى الوقت الذى عانت فيه الامبراطورية طوال هذه الفترة من الأخطار المحيطة بها على أيدى القبائل الجرمانية فى الشرق والغرب على حد سواء •

تولى الامبراطورية بعد وفاة الامبراطور ليو الأول حفيده الطفل ليو الثانى وهو فى السادسة لعدم وجود وريث للعرش سواه وساعدته والدته أريادن Ariadne ، وتولى الوصـــاية والده زينون وذلك فى الثامن عشر من يناير سنة ٤٧٤ (١) • غير أن وجود طفل فى هذه السن على عرش الامبراطورية كان مدعاة لخلق صراعات عنيفة داخل القصر نفسه طمعـا على الانفراد بالسلطة • وتمثل هذا الصراع فى طموحات الامبراطورة فرينا Verina ؛ اذ عملت على بقاء نفوذها السابق • ومن الطبيعى أن يحاول زينون المحافظة على حق الوصـــاية على ابنه الطفـل الامبراطور •

وعلى الرغم من نجاح زينون فى استبدال وصايته على ابنه بالمشاركة القـانونية فى التاسع من فبراير ســنة ٤٧٤ ، ثم انفراده بالسلطة فى السابع عشر من نوفمبر سنة ٤٧٤ عند وفاة الطفل الامبراطور (٢) ، فان الامبراطورة فرينا دخلت فى صراعات السلطة الى أن دفعت حياتها ثمنا لطموحاتها التى استمرت الى ما يزيد على عشر سنوات •

حاكت فرينا مؤامرتها الأولى ضد زينون ، بيد أنها لم تجن الثمار التى كانت تشتهيها ، اذ لم يكد تمضى عدة أسابيع على اعتلاء زينون للعرش بعد وفاة ابنه حتى اضطر الى مغادرة العاصمة على وجه السرعة دون أدنى

---

(١) *Theodore Lector*, Ecclesiasticae Historiae, I, 24, PG, Tomus 86 Pars Prior, Col, 178 ; *Procopius*, History of the Wars, 3, p. 65; *Michel Le Syrien*, Chronique ed. Choubot, 2, (Paris, 1904), p. 143; *Lebeau*, Histoire du Bas-Empire, 7, (Paris, 1872), p. 57. *J. B. Bury*, History of the Later Roman Empire, Vol. I. Second edition, (London 1923), p. 389 ; *Marcelinus Comes*, Chronicon, P. L. Tomus, LI, (Paris, 1846, Col. 931).

(٢) *Theodore Lector*, Op. Cit., Col. 179 ; *Malalas*, *Chronographia*, ed. Dindrof (Bonn 1831), p. 376; *Ostrogorsky*, History of the Byzantine State trans. by J. Hussey, (Oxford, 1968), p. 62.

مقاومة ، ولاذ بالفرار الى بلده فى اقليم أيسوريا Isouria فى آسيا الصغرى ، طلبا للنجاة ، ثم لحقته زوجته التى هربت من القصر (٣) وكانت فرينا قد أحكمت خطتها بالتعاون مع شقيقها باسيليسكوس Basiliscus الذى تمكن من استمالة الأخوين الأيسوريين ايللوس Illus ، وتروكوندس Trocundes الى جانبها وهما اللذان كانا من أشد الرجال اخلاصا للامبراطور زينون · واذا كان هروب زينون جعل الآمال تتراقص أمام عينى فرينا على أنها ستظل سيدة الامبراطورية الأولى فان أخاها باسيليكسوس فاقها فى الخداع والدهاء ، ونجح فى اغتيال صديقها بتريكيوس Patricius ، الذى كانت تأمل أن يكون امبراطورا وزوجا لها ، واعتلى باسيليسكوس العرش فى التاسع من يناير سنة ٤٧٥ · (٤) ومن الطبيعى أن تسوء العلاقات بين فرينا وشقيقها باسيليكوس ، كما ساءت بينها وبين ابنتها أريادن زوجة زينون من قبل ، ولا سيما أن باسيليسكوس سارع بوضع التاج على رأسه كما توج زوجته زينونيز Zenonis امبراطورة ، ومنح ابنه ماركوس Marcus لقب قيصر ، ثم توجه بعد ذلك أغسطس Augustus فى العام نفسه (٥) ·

غير أن باسيليسكوس لم يستمر على العرش سوى عشرين شهرا ، لتعدد المؤمرات ضده ، وللعجز الشديد فى ميزانية الدولة ، ولسياسته الدينية التى تميزت بالتخبط · ففى عهده حدثت مذبحة رهيبة ضد الأيسوريين فى العاصمة ، وهو الأمر الذى لم يرض عنه حليفه ايللوس الأيسورى · كما أنه أغضب ثيودريك سترابو Theodoric Strabo والذى ساعده على الوصول الى العرش ، وبرغم ذلك لم يقم بتعيينه قائدا عاما للجيش ، ونظرا لأنه كان يمت بصلة القرابة للامبراطور (ابن شقيقته) ، هذا من ناحية ، كما كان يحظى برضاء زينونيزمن ناحية ثانية · وهكذا أغضب باسيليسكوس من عاونه فى الوصول الى السلطة فى الوقت الذى اضطر فيه الى ابتزاز الأموال من الكنيسة ، وفرض الضرائب القاسية لحاجته الماسة للمال ، لأن الامبراطور زينون كان قد

---

(٣) *Marcellinus Comes*, Chronicon, PL, Tomus 51, pp. 931-932, *Evagrius*, History of of the Church, p. 339; *Michel Le Syrien* Op. Cit. P. 143; *Lebeau*, Op. Cit., 7, p. 73.

(٤) Joshua, Chronicle, ed. Wright, (Combridge, 1882), p. 9; *McCabe*, The Empresses of Constantinople, (London, 1913) pp. 12-13; Bury, Op. Cit., I, p. 391; *A.H.M. Jones*, Later Roman Empire. (Oxford, 1964), Vol. 1, p. 225; *Marcellinus Comes;* Op. cit. ,Col. 932.

(٥) *Theodore Lector*, Op. Cit., Col. 179 ; *Evagrius*, Op. Cit., p. 340; *Lebeau*, Op. Cit., 7, pp. 73-74; *Bury*, Op. cit., 1, p. 391.

نقل الى قلعة أيسوريا ، البقية الباقية فى خزانة الدولة المنهارة (٦) ٠ وزاد على ما تقدم من حكم استبدادى ، أن حدة كراهية الشعب له ، انتقلت الى جنود القصر ، الذين عانوا من بخله الشديد (٧) ٠ هذا فى الوقت الذى لعبت فيه فرينا دورها عن طريق توزيع الذهب على رجال مجلس الشيوخ ، وكبار الموظفين ، للعمل على سرعة عودة زينون الى العرش (٨) ٠ وهذا التصرف من قبل فرينا ، انما كان انتقاما من شقيقها ، الذى أضاع عليها فرصتها الذهبية فى الوصول للسلطة ٠

وهكذا أضحت العاصمة على استعداد لاستقبال زينون الذى ظل متحصنا ، وقويا فى اقليمه ، بعد أن انضم اليه الاخوان ايللوس وتروكندس Tracundes اللذان أرسلهما باسيليسكوس ضد زينون بيد أنهما تحالفا مع زينون للقضـــاء على باسيليسكوس ورغم محاولات باسيليسكوس العسكرية لوقف زحف زينون صوب العاصمة فان أرمانيوس قائد جيشه خانه أيضا ، وانضم الى زينون هو الآخر ، مقابل اعلانه قائدا عاما للجيش ، وتعيين ابنه قنصلا ووريثا للعرش بعد زينون ٠ وعلى ذلك دخل زينون العاصمة دخول الظافرين ، دون مقاومة على الاطلاق ٠ أما باسيليسكوس فقد لجأ ومعه زوجته وأولاده ، الى الكنيسة طلبا للحماية ، فى نهاية شهر أغسطس سنة ٤٧٦ ٠ غير أن مصيره ، وكل أسرته ، كان الموت فى احدى قلاع اقليم قبدوقية بعد تركهم جميعا دون طعام أو شراب (٩) ٠

وهكذا انتهت أولى مؤامرات فرينا الى لا شىء كمـــا أن الفوضى والأطمـــاع الشخصية أضرتا كثيرا بالامبراطورية فى الداخل والخارج شرقا وغربا اذ أنه قبـــل سقوط باسيليسكوس بشهر واحد فحسب سـقط القسم الغربى من الامبراطورية فى يدى أدواكر Odoacer أحد حاشية الامبراطور الصبى أوغسطولوس Augustulus ، والذى كان تحت وصاية والده أوريستيز Orestes ، وذلك بعد أن رفض والد الامبراطور أوغسطولوس ضـغط القوط والخاصـة بضرورة منحهم ثلث ايطاليا ٠ غير أن أدواكر وافق على مطالب القوط مقـابل الاعتراف به

---

(٦) *Lebeau* ,Op. Cit., 7, p. 83; *Bury*, Op. Cit., 1, p. 389; *Jones*, Op. Cit., 1, p. 225.

(٧) *Procopius*, Wars, 3, p. 69.

(٨) *Lebeau*, Op. Cit., 7 p. 83 ; *McCabe*, Op. Cit., p. 13.

(٩) *Marcellinus Comes*, Op. Cit., p. 932; *Procopius*, Wars, 3, pp. 67-71 ; *Theophanes* Chronographia, 1, ed. Classen, (Bonn 1839), pp. 192-193., *Evagrius* Op. Cit., p. 348; *Michel Le Syrien*, Op. Cit., II, P. 144 ; Lebeau, Op. Cit., 7, pp. 86-88; *Bury*, Op. Cit., 1, pp.392-393; McCabe, Op. Cit., p. 14 ; *Jones*, Op. Cit., p. 225.

ملكا عليهم ، وقام بنفى الامبراطور الصبى فى احدى القلاع فى الثالث والعشرين من يولية سنة ٤٧٦ ، وتخلص القوط من أوريستين بالقتل بعد ذلك بخمسة أيام فحسب (١٠) وعلى ذلك يمكن القول أن فترة العشرين شهرا التى قضاها باسيليسكوس فى السلطة كانت من أحلك الفترات فى تاريخ الامبراطورية شرقا وغربا ٠

على أية حال ، اتخذت عودة الامبراطور زينون للسلطة طابع القبول العام من العناصر السياسية فى الدولة ، حيث استقبله مجلس الشيوخ وأعلنت الأفراح ، وأقيمت الألعاب فى السيرك ، بناء على أوامر الامبراطور زينون ، وعين أرمانيوس قائدا عاما للجيش ، وأعلن ابنه قيصرا ، تنفيذا للاتفاق السابق بينهما (١١) ٠

غير أن زينون كان حريصا على الاستئثار بالسلطة دون منازع ، وبخاصة أن أرماتيوس كان يمت بصلة القرابة للامبراطورة فرينا (١٢) ٠ لذلك ـ وبناء على مشورة ايللوس ـ تمكن زينون من اغتيال أرماتيوس ، وعزل ابنه الذى كان قيصرا ، وأجبره على الانخراط فى السلك الكهنوتى ، فى العالم التالى (٤٧٧م) (١٣) ٠

على أن صراعات السلطة تجددت لزيادة سلطات ايللوس واصطدامه بشخصية الامبراطورة فرينا ، وأدى هذا الصراع الى القاء القبض عليها ، وسجنها فى احدى القلاع فى اقليم أيسوريا (١٤) ٠ غير أن هذه الحادثة حركت أطماع ماركيان Marcian أحد أبناء الامبراطور أنثيميوس Anthemius الذى كان امبراطورا على القسم الغربى ومعاصرا للامبراطور ليو الأول ، وكان مركيان هـذا زوجا لابنه فرينا الصغرى ، ليونتيا Leontia فطالب ماركيان بالعرش لصالح زوجته على أساس أنها أحق بالعرش من غيرها ٠

على أية حال نجح ماركيان فى استمالة احدى الفرق العسكرية ، وانضم اليه جماعات من القبائل الجرمانية ، وخاض معركة شرسة حول القصر الامبراطورى بالقسطنطينية ٠ وأوشك ان يكون سيدا للقصر ،

---

(١٠) *Procopius*, Wars, 5, pp. 3-5; *Marcellinus Comes*, Op. Cit., p. 932.

(١١) Michael Le Syrien, Op. cit., II, p. 144.

(١٢) ***Evagrius***, Op. Cit., P. 363.

(١٣) *Evagrius*, Op. Cit., p. 363; *Michel Le Syrien*, Op. Cit., II, p. 148; *Lebeau*, Op. Cit., 7, p. 89; McCabe, Op. Cit., p. 15; *Bury*, Op. cit., I. P. 393; *Jones*, Op. cit., 1, p. 225.

(١٤) *Bury*, Op. cit., 1 p. 394; *Jones*, Op. Cit., 1, p. 225.

لولا أنه أضاع الفرصة بتأجيل عملياته العسكرية ، حتى صباح اليوم التالى . لذلك فان الهزيمة حلت به ، واضطر الى الهرب الى كنيسة الرسل طلبا للحماية . غير أن زينون أخرجه من هناك بالقوة ، ونقله الى مدينة قيصرية فى اقليم قبدوقية . وهناك تم اجباره على الانخراط فى السلك الكهنوتى سنة ٤٧٩ (١٥) .

على أن حادثة اعتقال الامبراطورة فرينا وسجنها فى قبدوقية ، بناء على نصيحة ايللوس ، المستشار الأول للامبراطور ، تركت أثرا عظيما فى نفس ابنتها الامبراطورة أريادن ، لذلك دبرت أريادن مؤامرة للتخلص من ايللوس ، بيد أن هذه المؤامرة لم يكتب لها النجاح ، وان كان ايللوس قد فقد أذنه اليمنى نتيجة لتلك المؤمراة كما فقد ثقته فى زينون بصفة نهائية ، برغم تأكيدات زينون بعدم علمه بتلك المؤامرة وبناء على ذلك ترك ايللوس العاصمة وترك منصب القائد العام للجيش . وشغل منصب قائد قوات الشرق ، وأقام فى أنطاكية ، ومعه وفد كبير من الأيسوريين سنة ٤٨١/٤٨٢ (١٦) .

ويبدو أن ايللوس هذا قد عقد العزم على القيام بتمرد مسلح للقضاء على زينون ، اذ رفض كل الجهود التى بذلها زينون لاطلاق سراح فرينا ، كما ظل محتفظا بشقيق زينون ، لونجينوس Longinus ، رهينة برغم مطالبة زينون له باطلاق سراحه . فى الوقت الذى نجح فيه ايللوس فى خلق شعبية كبيرة له فى انطاكية ، وضم الى جانبه ليونتيوس Leontius الذى كان قد أرسله زينون للوساطة . وخطا ايللوس بعد ذلك خطوة سياسية على ضوء المتغيرات السياسية الجديدة — ولكى يضفى قناعا من الشرعية على موقفه الانفصالى — ألا وهى اخراجه عدوته بالأمس الامبراطورة فرينا من سجنها ، حيث أعلنت بيانا ووزعته على الأقاليم الشرقية هاجمت فيه زينون ، وأعلنت تأييدها للامبراطور الجديد ليونتيوس فى مدينة أنطاكية ، بناء على ترشيح ايللوس (١٧) .

غير أن زينون لم يقف مكتوف اليدين ، وانما استعان بالعناصر الجرمانية ، وعلى رأسهم ثيودوريك Theodoric وحنا السكيثى

---

(١٥) *Evagrius*, Op. cit., p. 364; *Theophanes*, Op. Cit., I, pp. 196-197; *McCabe*, Op. Cit., 7, pp. 104-106; Jones, Op. Cit., p. 227.

(١٦) *Bury*, Op. Cit , I, pp. 395-396; *McCabe*, Op. cit., p. 17; *Downey*, A History of Antioch in Syria, (New Jersey, 1961, p. 490).

(١٧) Bury, Op. cit., p. 396; *McCabe*, Op. cit., p. 18; *Downey*, Op. cit., pp. 493-494.

John the Scythian بهـدف القضـاء على هذه الحركة الانفصـالية الخطيرة (١٨) ، وبخاصة أن الثوار وسعوا جهودهم واتصلوا بالفرس ، وقدموا اليهم الأموال ، مقابل التأييد والمساعدة (١٩) . واتصلوا بالأمراء الذين يحكمون أقاليم ارمينيا الرومانية حيث حصلوا على تأييدهم (٢٠) . كما اتصلوا بأدواكر فى ايطاليا ، بيد أنه اعتذر عن تقديم المساعدة (٢١) .

على أية حال ، فان الامبراطورية التى أقامها ايللوس فى انطاكية لم يقدر لها البقاء سوى عامين (٤٨٢ ــ ٤٨٤م) ، حيث تمكنت القوات التى أرسلها زينون من القضاء عليها ، والقاء القبض على كل من ايللوس وليونتيوس ، وتم قتلهما ، وتعليق رؤوس الثوار بالقسطنطينية ، وقطعت أيدى من كان معهما ، وذلك سنة ٤٨٨ (٢٢) . وهكذا يمكن القول ان عهد زينون كله ــ باستثناء السنوات الثلاث الأخيرة من حكمه ثورات واضطرابات ومؤامرات كلها ، بلاشك ، أضرت بالامبراطورية بشكل خطير ، ومزقت الدولة فى الداخل شر ممزق .

شجعت الحركة الانفصالية فى أنطاكية العناصر السامرية (٢٣) فى فلسطين حيث قاموا بدورهم بحركة انفصالية ، فاستولوا على مدينتى

---

(١٨) *Jones*, Op. cit., 1, p. 229; DoWne,y A History of Antioch, p. 495.

(١٩) *Joshua*, Op. cit., p. 11.

(٢٠) *Procopius*, Buildings, ed. and tr. by H.B. Dewing, (London, 1940), p. 185.

(٢١) *Bury*, Op. cit., I, p. 497.

(٢٢) *Joshua*, Op. cit., p .12; *Bury*, Op. cit., I, p. 398; *McCabe*, Op. cit., p. 18; Downey, Op. Cit., p. 496.

(٢٣) السامرة أو السامريون هم طائفة من اليهود عاشوا بفلسطين وينسبون الى مدينة السامرة Samaria — Sebastia وهى تقع شمال غرب مدينة نابلس — Sichem Neoplis (Naplous) وجنوب غرب مدينة بيسان Scythopolis وموطنهم الأصلى كوت Khuth وبابل Bobylon وعـوه Awa وحماة Hamath وسفراويم Sfrawayim ونقلهم سليمنصر Shalmanasr ملك آشيور ... الى هناك ... وامتدت طائفتهم فى المنطقة ما بين قيصرية Caesarea الى شرق الأردن وزادت قوتهم فى قيصرية وبعض المدن الأخرى . ولهم ترجمة خاصة للأسفار الأولى من العهـد القديم ولبذهم اليهود باعتبارهم منشقين ، كما كرههم المسيحيون على أساس أنهم فى حكم الوثنيين . وفى القرن الرابع الميلادى قامت نهضة سامرية على يد بابا رابا Baba Rabba ، احد أبناء كبير كهنة السامرة ، وأقيم العديد من المعابد ، وظهرت حركة قومية ، ونهضة ادبية ، هذا فى الوقت الذى ازداد اهتمام المسيحيون بفلسطين لما بها من أماكن مقدسة بالنسبة اليهم ، وبخاصة بعد اعتراف أباطرة الرومان بالديانة المسيحية . على أن ثورة السامريين فى عهد زينون ترجع جذورها الى سنة ٤٣٨ عندما شملت تشريعات ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ ــ ٤٥٠م) السامريين حيث حرمهم من الوظائف الشرقية ، =

نابلس وقيصرية . وأعلنوا جوستوس Justus ملكا عليهم ، بعد أن قتلوا الكثيرين من المسيحيين . بيد أن القوات الرومانية تمكنت من القضاء عليهم . وقتل ملكهم وارسال رأسه وتاجه للامبراطور زينون (٢٤) .

وهكذا كانت صراعات الأيسوريين مع بعضهم البعض من أجل السلطة ، هى الطابع العام الذى ساد عهد زينون ، وهى المشكلة الأولى التى جابهت الامبراطور أنستاسيوس ، عند اعتلائه عرش الامبراطورية ، لأنه تولى السلطة فى الامبراطورية على عكس كل توقعاتهم .

فقد نجحت الامبراطورة أريادن Ariadne فى اختيار أنستاسيوس امبراطورا والزواج منه بعد أربعين يوما من وفاة زوجها زينون (٢٥) . فى الوقت الذى توقع فيه الايسوريون اعتلاء لونجينوس Longinus شقيق زينون للسلطة خلفا له . ولما كانت العناصر الأيسورية هى المهيمنة على السلطة والوظائف المهمة فى الدولة ، كان اختيار أنستاسيوس امبراطورا بمثابة ضربة شديدة لم تتحملها عناصرهم التى جاهدت للمحافظة على وضعها فى الدولة ، عن طريق التآمر ومحاولة اعلان لونجينوس امبراطورا (٢٦) .

غير أن أنستاسيوس . الذى كان على علم ودراية تامة بطبيعة الصراع الداخلى على عرش الامبراطورية بحكم عمله السابق بالقصر الامبراطورى قبل اعتلائه العرش اغتنم فرصة حالات الشغب التى حدثت فى السنة الأولى من حكمه أثناء عرض مسرحى ، فى ميدان سباق الخيل ، وأثناء حضوره شخصيا ، حيث أشعل المشاغبون الحرائق ، فى ميدان سباق الخيل ، وحطموا تماثيل الامبراطور والامبراطورة ، للقضاء على المشاغبين حيث سالت دماء الكثيرين فى هذه الفتنة بيد أن انستاسيوس اضطر الى

= ومنعهم من بناء المعابد الجديدة ، وحرم عليهم الدعوة الدينية بين العبيد والاحرار ، انظر :

Procopius, The Secret History, p. 97; *Zachariah*, Chronicle, p. 232; *Milman*, The History of the Jews, 2, p. 224-225; *Parkes*, A History of Palestine from 135 A.D. to Modern Times, pp. 79-81.

وانظر جيبون ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ج ٢ ، ص ٥٣٣ ، د. قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة فى العصور الوسطى ، ط ٢ ، ص ١١٣ ــ ١١٥ .

(٢٤) *Procopius*, Buildings, pp. 349353; Malalas, Op. cit., pp. 382-383; *Michel* Le Syrien, Op. cit., II, pp. 148-149; *Dubnov*, History of the Jews, 2, pp. 208-209.

(٢٥) *Joshua*, Op. cit., p. 15; *Evagrius*, Op. cit., p. 366; Zacharish, Op. cit., p. 150; *Chronicon Paschale*, p. 840.

(٢٦) *Johsua*, Op. cit., p. 15; *Zachariah*, Op. Cit., pp. 150-151.

عزل حاكم العاصمة جوليان Julian بناء على رغبة المشاغبين ، وتعيين سيكونديتوس Secondinus خلفا له (٢٧) • وسارع أنستاسيوس باتهام الأيسوريين بأنهم وراء أعمال الشغب وقام باجراءات سريعة للقضاء على نفوذهم داخل العاصمة • فأجبر لونجينوس شقيق زينون الذى كانت قد رشحته العناصر الأيسورية لاعتلاء العرش ـ على الانخراط فى السلك الكهنوتى ونفاه الى الاسكندرية ، وظل بها حتى وافته المنية هناك بعد سبع سنوات • كما طرد لونجينوس وكنيته كالوفس Calovs ، والذى كان يشغل وظيفة رئيس دواوين القصر ، وكذلك كل كبار الشخصيات الأيسورية ـ أجبرهم على مغادرة العاصمة الى أقاليمهم ، كما منع الاعانة المالية التى كانت مقررة للأيسوريين منذ عهد زينون (٢٨) •

ويبدو أن انستاسيوس كان مدركا أن الصدام المسلح بينه وبين الأيسوريين واقع لا محالة ، بالرغم من اخراجهم من العاصمة ، لذلك أتبع معهم أسلوب المداهنة ، الى أن يتمكن من اعداد الجيش اللازم لسحقهم فى عقر دارهم ، فبالرغم من رفضهم دفع الضرائب للدولة ، وسيطرتهم على الأقاليم المحيطة بأقليمهم فانه جرب معهم أسلوب المصالحة ، بيد أنهم أغلقوا الباب فى وجهة ، ورفضلوا الهدايا التى أرسلها لهم (٢٩) • فلم يعد أمام أنستاسيوس سوى حسم الموقف عسكريا • وتقابلت جيوش أنستاسيوس بقيادة حنا السكيثى ، وحنا الأحدب John the Hunchback مع الأيسويين بالقرب من كوتيايم Cotyaeum (كوتاهية) ، فى سهول اقليم فريجيا Phrygia فى آسيا الصغرى فى خريف سنة ٤٩٢ • وبالرغم من التفوق العددى للقوات الأيسورية ، والتى دعمها معنويا اشتراك كونون Conon الإسقف السابق لمدينة أفاميا Apamee (قلعة المضيق) ، فان الهزيمة الساحقة لحقت بهم (٣٠) وشكلت هذه المعركة

---

(٢٧) Bury, Op. cit., p. 432; *Stein*, Historie du Bas-Empire, T. II, (Parsi, 1948), p. 82.

(٢٨) *Theodore Lector*, Op. cit., p. Col. 187; *Evagrius*, Op. cit., p. 366; *Theophanes*, Op. cit., p. 211. *Holmes*, The Age of Justinian and Theodora, Vol. I, *second edition* (London, 1912), p. 165, Stein, Op. cit., II, pp. 82-83.

وذكر المؤرخ الكنسى ايفاجريوس أن المنحة السنوية التى عرفت باسم Isaurica والتى عادت الى خزانة الدولة كانت خمسة آلاف رطل من الذهب سنويا انظر : *Evagrius*, Op. cit., p. 376.

(٢٩) *Zachariah*, Op. ciy., p. 151.

(٣٠) *Theodore Lector*, Op. cit., Col .187; *Malalas*, Op. cit., pp. 393-394; Evagrius Op. cit., p. 375; *Theophanes*, Op. cit.,, J. p. 213; Lebeau, Op. cit., 7, pp. 230-231; *Bury*, Op. cit. 1, p. 433; *Stein* Op. cit., II. pp.83-84 ; *Jones*, Op cit., p. 230.

بداية النهاية للأيسوريين بوصفهم قوة سياسية كبرى فى كيان الامبراطورية ٠

غير أن الأيسوريين لم يستسلموا ، وواصلوا النضال كما فعلوا من قبل ابان الصراع بين ايللوس وزينون ٠ وظلت الحرب قائمة فى المناطق الجبلية فى اقليم أيسوريا حتى سنة ٤٩٨ ، وهى السنة التى شهدت نهاية البقية الباقية من قياداتهم بما فيهم الأسقف السابق كونون (٣١) ٠

والواقع أن انستاسيوس نجح فى القضاء التام على نفوذ الأيسوريين وكسر شوكتهم بشكل نهائى ٠ ولم يكتف بهدم قراهم ، وحصونهم ، ومنع الاعانات التى كانت مقررة لهم أيام زينون ، وانما عاملهم كما لو كانوا ليسوا من رعايا الامبراطورية ، أو أنهم أسرى حرب ، فقام بتهجيرهم الى اقليم تراقيا ، أما كبار قادتهم فقد علق رؤوس بعضهم على أعمدة فى ضاحية سيكاى Sycae ، بعد ارسالها الى القسطنطينية ، حيث شاهدتها الجماهير التى كانت تمقت الأيسوريين ٠ وبدافع من الرغبة فى التشفى والتشهير ، أقام أنستاسيوس عرضا عسكريا ، اعلانا للنصر ، يضم كبار قادة الأسرى من الأيسوريين والحديد فى أيديهم ، وحول أعناقهم ، وطاف العرض شوارع القسطنطينية ، وكذلك فى ميدان سباق الخيل ٠ (٣٢) وبذلك يكون أنستاسيوس قد قضى على أكبر العناصر قوة ، تلك التى هددت عرشه لمدة سبع سنوات ٠

واذا كانت المشكلة الأيسورية قد ظهرت فى عهد زينون ، وتمكن الامبراطور أنستاسيوس من حلها فى عهده وبشكل حاسم ، فان المشكلة الدينية والخلافات المذهبية شغلت الامبراطورية فى عهدى زينون وأنستاسيوس بشكل عمل على تمزيق كيان الامبراطورية ، وحدوث انقسامات ، بالرغم من الجهود المضنية التى بذلها الامبراطوران ، اذ انها مشكلة لها جذورها ودوافعها المتعددة منذ عقد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ٠

فمنذ عهد مارقيان (٤٥٠ – ٤٥٧ م) ، وخليفته ليو الأول (٤٥٧ – ٤٧٤م) ، ظل سكان مصر والشام وآسيا الصغرى متمسكين

---

(٣١) *Theodre Lector*, Op. cit., Col. 187; *Zachariah*, Op. cit., p. 151; *Vasiliev*, History of the Byzantine Empire, 1, p. 230.

(٣٢) *Evagrius*, Op. cit., p. 375; *Lebeau* ,Op .cit., 7, p. 238; *Holmes*, Op. csit., 1, p. 176; *Bury*, Op. cit., 1. p. 433; *Stein*, Op. cit., II, p. 84; *Vasiliev*, The Byzantine Empire, 1, p. 238.

بالمونوفيزيتية (٣٣) . لذلك لم يكد يعلم رجال الدين في مصر أن الطبيب ثيوتيستوس Theotistus المصري صار رئيسا لدواوين قصر الامبراطور باسيليسكوس حتى بادروا بارسال وفد من رجال الدين يضم الراهب ثيوبومبوس Theopompus شقيق ثيوتيستوس . واذا كان هذا الوفد الديني المصري قد ذهب لمقابلة الامبراطور للتهنئة واعلان الولاء ، فانه استغل الفرصة ، واغتنم اللحظة بذكاء تام وذلك بتسخير رئيس دواوين القصر لصالح قضيتهم الدينية . واستطاع أعضاء الوفد تحقيق مرامهم بسرعة بعد أن ضموا اليهم رئيس دواوين القصر الذي تأثر بشقيقه ثيوبومبوس هذا من ناحيـــة ، ولوجـود علاقة قوية بين الامبراطور باسيليسكوس وبين ثيوتيستوس الذي كان الطبيب الخاص للامبراطور قبل اعتلائه للعرش من ناحية ثانية . على أية حال نجح الوفد الديني المصري في الحصول على موافقة الامبراطور بشأن عودة البطريرك تيموثيوس Timotheus من منفاه بعد أن قضى خمسة عشر عاما في مدينة خيرسون Cherson (٣٤) . وتوقف تيموثيوس في القسطنطينية حيث احتفل به البحارة المصريـون هنـاك احتفالا رائعـــا ، وطافوا بـه في شـــوارع العاصمة (٣٥) .

---

(٣٣) اسد رستم ؛ الروم ، جـ ١ ص ١٣٤ ، السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية ص ٥٨ . والمونوفيزيتية تعني الاعتقاد بطبيعة واحدة في المسيح عيسى (عليه السلام) ، وأن الطبيعة البشرية ذابت في الطبيعة الالهية . وكان ترتيلهم المقدس الذي وضـــعه بطرس القصار بطريرك أنطاكية « قدوس الله ، قدوس القوى ، قدوس الحي ، الذي صلب من اجلنا » . انظر :

S. Salville, "L-Affaire de L'Hénotique», Echos d'Orient, T. XVIII, (Paris, 1918), pp. 256-257; *Héfélé*, Histoire de conciles, traduction Leclero, (Pasis, 1908, T. II, pp. 857-858; *Tixeront*, Histoire des dogmes (Paris, 1912), t. III. pp. 104-107.

(٣٤) *Zachariah*, Op. cit., pp. 103-104; *Evagrius*, Op. cit., p. 340; *Michel Le Syrien*, Op. cit., II, p. 144; *Lebon*, Le Monophysisme Severien, (Lovain, 1909), pp. 25-26; Frend, The Rise of the Monophysite Movement, secone edilion, (Cambridge, 1979), p. 170.

(٣٥) المصادر المونوفيزيتية تصـــــف هذا الاحتفـــال دون أن تذكر كلمة النمس Aelurus وهي الكنيـــة المذكورة بعـــد اسم تيموثيوس ، وانما تذكر كلمة قديس قبل ذكرها لاسمه ، انظر :

Zachariah, Op. cit., p. 104; *Michel Le Syrien*, Op. cit., II, p. 144.

أما المصادر الخلقيدونية ، فانها تذكر كلمة النمس قبـــل اسم تيموثيوس ، وتصف اسم تيموثيوس ، وتصف الاحتفال ، وهي تكيل العبارات الجارحة للبحـــارة المصريين ، وتصفهم بأنهم جماعة من المجرمين والغوغاء ، وتقول ان « النمس » سقط من فوق الحمار ، بعد الطواف به في انحاء القسطنطينية وكسرت ساقه ، انظر :

Theodore Lector, Op. Cit., Col. 179-182; *Theophanes*, I, p. 187.

ولا شك أن مثل هذه الأساليب تعبر عن حدة الكراهية بين أتباع المذهبين في تلك العصور .

ويبدو أن شخصية تيموثيوس كانت قوية ، فقد تمكن فى فترة وجيزة من أن يصبح صديقا حميما للامبراطور باسيليسكوس وزوجته ، وكل الذين كانوا بالقصر الامبراطورى من الشخصيات الكبرى ، وساعده على اقناع الامبراطور باصدار رسالة عامة دينية ، أعلن فيها صراحة لعن كتاب ليو The Tome of Leo (٣٦) وقرارات مجمع خلقيدونية (٣٧) . وهذه الرسالة كتبها أحد أعضاء الوفد الدينى المصرى الذى زار القسطنطينية وصدرت فى التاسع من أبريل سنة ٤٧٥ (٣٨) . وعلى أية حال ، فان صدور هذه الرسالة مكن تيموثيوس من الظهور للمرة الثانية على كرسى بطريركية الاسكندرية وعودة كل المنفيين من أصحابه ، ومنهم بطرس الانطاكى Peter of Antioch ، وبولس الافسوسى Paul of Ephesus وأساقفة آسيا الصغرى ، وأنستاسيوس Anastasius of Jerursalem والعديد من الأساقفة (٣٩) . ولا شك أن الاستجابة لمنشور الامبراطور باسيليسكوس فى مصر وفلسطين وأنطاكية وسوريا وآسيا الصغرى ، أظهر مدى الانتشار الواسع للآراء المعارضة لقرارات مجمع خلقدونية (٤٠) .

كان لحضور تيموثيوس الى القسطنطينية ردود فعل عند أكاكيوس Acacius بطريرك القسطنطينية . ففى بداية الأمر اتخذ موقفا متعاطفا مع تيموثيوس وأعد له قبل حضوره من منفاه ، محل اقامة فى كنيسة ارين Irene ، وخصص له بعض رجال الاكليروس لتقديم الخدمات اليه . بيد أنه ساورته الشكوك فى تنحيته عن وظيفته ، وتعيين الراهب المصرى تيموثيوس ، شقيق رئيس دواوين القصر بدلا منه . لذلك وبدافع شخصى بحت ، حاول عرقلة حضور تيموثيوس الى العاصمة غير أن جهوده

---

(٣٦) البابا ليو الاول (٤٤٠ ـ ٤٦١م) ارسل فى الثالث عشر من شهر يونية سنة ٤٤٩ رسالة الى فلافيان بطريرك القسطنطينية ، وهى المعروفة برسالة العقيدة (Tome) أشار فيها الى أن المسيح عيسى ليس الا شخصا واحدا ، وهو كلمة الله ، اتحدث فيهما الطبيعتان الالهية والبشرية ، على الرغم من أن كلا منهما كاملة ، غير مختلطة بالأخرى وتؤدى ، وظائفها الخاصة فى نطاق وحدة الشخص ، انظر السيد البـاز العرينى الدولة البيزنطية ، ص ٥٢ ، حاشية ١ .

(٣٧) *Zachariah*, Op. cit., p. 104; *Evagrius*, Op. cit., p. 340; *Lebon*, Op. cit., p. 26.

(٣٨) *Frend*, Op. cit., p. 170.

(٣٩) *Zachariah*, Op. cit., p. 107; *Michael Le Syrien*, Op. cit., II, p. 146; *Lebon*, Op. cit., p. 26; *Salaville*, L'Affaire de L'Henotique, p. 257.

(٤٠) *Jones*, Op. cit., 1, p. 227.

باءت بالفشل (٤١) • فاضطر أكاكيوس الى التظاهر بالترحيب بتيموثيوس الى أن صدر منشور باسيليسكوس • فرفض أكاكيوس التوقيع على المنشور أو الاعتراف به • وزاد على ذلك أن أعلن الحداد فى أيا صوفيا ، وظهر بملابس الحداد بين حشد كبير من المصلين المتعاطفين معه (٤٢) •

وبهدف المحافظة على كرسيه الأسقفى قام أكاكيوس باثارة رؤساء الأديرة فى القسطنطينية ، فى خريف ٤٧٥ م ، وحثهم على طلب مساعدة البابوية السريعة • واذا كان أكاكيوس لم يستطع منع دخول تيموثيوس الى العاصمة ، فانه فى هذه المرة نجح فى تأليب الامبراطور باسيليسكوس، بناء على رسالة البابا سيمبليكيوس Simplicius فى يناير ٤٧٦ م ، والتى امتدح فيها ثبات وحزم أكاكيوس فى الأزمة ، واتهم فيها تيموثيوس، كما فعل البابا ليو الأول (٤٤٠ ــ ٤٦١ م) من قبل ، هذا فى الوقت الذى أرسل فيه البابا سيمبليكيوس Simplicius رسائل الى الامبراطور باسيليسكوس والى أكاكيوس ، والى رؤساء أديرة العاصمة طالبا منهم ازاحة تيموثيوس (٤٣) •

ولما كان موقف الامبراطور باسيليسكوس غير قوى فى العاصمة بصفة خاصة ، وفى الدولة بصفة عامة ، وأن رسالة البابا أتت فى الوقت الذى كان يجاهد فيه زحف زينون على العاصمة و « كان خائفا على العرش » (٤٤) ، لذلك كله رضخ باسيليسكوس ، وأصدر على الفور منشورا مضادا يلغى المنشور السابق (٤٥) •

على أن عودة زينون للعرش فى نهاية أغسطس سنة ٤٧٦ ، غيرت كل قرارات باسيليسكوس ، ففى السابع عشر من ديسمبر سنة ٤٧٦ ، صدر مرسوم بالغاء كل قرارات باسيليسكوس وعادت الأحوال الكنسية الى ما كانت عليه • والأمر المهم فى هذا المجال هو استرداد أكاكيوس لحقوقه على الكنائس فى آسيا الصغرى ، هذا فضلا عن امتيازات كرسى العاصمة (٤٦) • وأصدر زينون مرسوما بعزل كل من بطرس القصار

---

(٤١) *Zachariah*, Op. Cit., p. 104.

(٤٢) *Theodore Lectuor*, Op. cit., Col. 181; *Lebon*, Op. cit., p. 27 : *Salaville*, Op. cit., p. 259; *Bury*, Op. cit., 1, p. 391.

(٤٣) *Lebon*, Op. cit., p. 29; *Frend*, Op. Cit., pp. 172-173.

(٤٤) *Michel Le Syrien*, Op. cit., II. P. 144, *Leoon*, Op. cit. p. 29.

(٤٥) *Evagrius*, Op. cit., p. 345; *Fleury*, Histoire Ecclesiastique, p. 602; *Lebon*, Op. cit., p. 29; *Salaville*, Op. cit., p. 260 : Frend, Op. cit., p. 173.

(٤٦) *Salaville*, Op. cit., p. 260, *Frend*, Op. cit., p. 174.

Peter the Fuller أسقف أنطاكية ، وبولس الافسيوسي Paul of Ephesus ولم يرسل أمرا بالعزل الى تيموثيوس « النمس » في الإسكندرية ، بيد أنه وافته المنية في الحادى والثلاثين من يوليو سنة ٤٧٧ م (٤٧) ٠

ولما كان أكاكيوس على دراية ، بقوة المشاعر المضادة لمجمع خلقيدونية في الشرق ، فقد راودته نفسه بالحصول على لقب البطريرك العالمي عن طريق التقرب الى الأساقفة والرهبان والعلمانيين في الاسكندرية والشرق عن طريق اصداره « كتاب الاتحاد » Henoticon في الثامن والعشرين من يوليو ٤٨٢ م (٤٨) ٠

ويبدو أن الظروف السياسية الحرجة التي كان يمر بها زينون هي التي أجبرته على اصدار قانون الاتحاد في هذا الوقت بالذات ، إذ كان في حرب طاحنة مع المنشقين بأنطاكية ، وبخاصة إذا ما عرفنا أن الذي قام بنقل قانون الاتحاد الى مصر هو بيرجاميوس Pergamius الذى عين مديرا ماليا في مصر (٤٩) ٠ وقانون الاتحاد هو محاولة لتخفيف حدة الخلافات المذهبية التي آثارها المونوفيزيتيون والخلقيدونيون ، اذ ان أهم ما ورد في قانون الاتحاد هو عدم ذكر عبارة طبيعتين أو طبيعة واحدة (٥٠) ٠

غير أن قانون الاتحاد فشل في إرضاء المتطرفين وبخاصة الرهبان في مصر وفلسطين وسوريا ، الذين طالبوا بادانة واضحة ومحددة لمجمع خلقيدونية ، وبالمثل لم يكن مقبولا من اتباع مجمع خلقيدونية المتعصبين ، وهم « الرهبان الساهرون » بالقسطنطينية غير أن قادة كل من الفريقين وافقوا عليه (٥١) ٠ وعلى أية حال ، فقد ظهرت حكومة زينون على أنها حققت حيادا صريحا ، اذ ظلت مصر ثابتة على مذهب الطبيعة الواحدة وفي سورية وفلسطين فان أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة حققوا نصرا ٠ وفي انطاكية ، فان بطرس القصار تولى البطريركية سنة ٤٨٤ ؛ وكذلك خليفته

---

(٤٧) *Evagrius*, Op. cit., p. 346; *Liberatus*, Brevarium, PL 68, Col. 1020 A : *Fleury*, Op. cit., pp. 604-605.

(٤٨) *Zachariah*, Op. cit., p. 106; *Evagrius*, Op. cit., p. 351, *Lebon*, Op. cit., p. 31 ; *Tixeront*, History of Dogmas, 3, pp. 102-103; *Frend*, Op. Cit pp. 176-177.

(٤٩) *Evagrius*, Op. cit., p. 351.

(٥٠) أسد رستم ، الروم ، جـ ١ ، ص ١٣٣ ، السيد الباز العريني ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٥٨ ٠

(٥١) *Frend*, Op. cit., p. 182; *Jones*, Op. cit., 2 p. 228.

بالاديوس Paladius اللذان ظلا متمسكين بقانون الاتحاد بقوة ، وكذلك فعل سالوستيوس Sallustius الذى صار بطريركا فى أورشليم سنة ٤٨٦ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فبعد وفاة أكاكيوس سنة ٤٨٩ أصبحت للخلقيدونيين اليد العليا فى القسطنطينية وتم انتخاب أوفيميوس Euphemius الذى كان نصيرا قويا لمجمع خلقيدونية (٥٢) ٠

غير أن البابوية فى روما لم ترض عن قانون الاتحاد ، لأنه أكد حق الامبراطور فى املاء ارادته على الكنيسة ، وهو اجراء أتى بعد رفض البابوية لرسالة باسيليسكوس لصالح المونوفيزيتيين ، حيث عملت البابوية جاهدة على الغاء هذه الرسالة ، واجبار باسيليسكوس على اصدار رسالة مضادة الغت الرسالة السابقة ٠ وخاصة اذا ما نظرنا الى رسالة باسيليسكوس الأولى ، وقانون الاتحاد الذى أصدره زينون بمثابة اجراءات لا تصدر سوى عن مجمع مسكونى ، وهو أمر ليست روما على استعداد للاعتراف به الا لنفسها فحسب (٥٣) ٠ وعلى ذلك قامت البابوية ، بناء على اتصالات رؤساء الأديرة ، بالقسطنطينية والأساقفة ، ورجال الاكليروس فى مصر (٥٤) ، وجهود « الرهبان الساهرون » الذين أقضوا مضجع أكاكيوس ، بمراسلة بطريرك روما ، بتوجيه اللوم الشديد الى أكاكيوس لأنه أكد على أنه ، « رئيس لكل الكنائس » (٥٥) ٠

بيد أن أكاكيوس لم يرد على رسالة البابا فيلكس الثالث Felix III (٤٨٣ ـ ٤٩١ م) فاضطر البابا الى ارسال ، وفد للامبراطور زينون يطلب منه تنفيذ قوانين مجمع خلقيدونية ، وضرورة طرد بطرس بطريرك الاسكندرية لأنه « منشق » وضرورة ارسال أكاكيوس للدفاع عن نفسه (٥٦) ٠

غير أن أكاكيوس لم يذهب الى روما ، ولم يحقق الوفد البابوى شيئا من مهمته ، وعلى ذلك عقد مجمع فى الثامن والعشرين من يوليو سنة ٤٨٤ ضم سبعة وعشرين أسقفا فى روما ، وأصدروا قرار حرمان كنسى ضد أكاكيوس على أساس أنه منافق ، لأنه عين (الهراطقة) ، وأهان وفد

---

(٥٢) *Jones*, Op. cit,. I, p. 228.

(٥٣) *Bury*, Op. cit., I, p. 402.

(٥٤) *Frend*, Op. cit., p. 182.

(٥٥) *Evagrius*, Op. cit,. pp. 359-360; *Lebon*, Op. cit. ,p. 33.

(٥٦) *Evagrius*, Op. cit., p. 360; *Theophanes*, Op. cit., I, p. 204; *Frend*, Op. cit., p. 182; *Victor Junensis*, Chronicon, Col. 947.

البابا (٥٧) • وبالرغم من تبادل الرسائل بين البابا فيلكس والامبراطور زينون (٥٨) ، تجاهل الامبراطور معارضـــة البابا • ومن ثم بـدأ ما عرف باسم الانشقاق الاكاكى Acacian Schism ، وهو الانشقاق الأول فى تاريخ الكنيسة بين روما وبيزنطة ، والذى استمر قائما حتى سنة ٥١٨ (٥٩) ومع ذلك ظل زينون محافظا على الحيـــاد المذهبى ، اذ كان أوثيميوس (٤٩٠ ـ ٤٩٦ م) بطريرك العاصمة خلقيدونى المذهب •

وعلى أثر وفاة زينون طالبت الجماهير الامبراطورة أريادن بأن يكون الامبراطور الجـديد أرثوذكسيا (خلقيدونيـا) (٦٠) قبل ابلاغهم عن شخصية أنستاسيوس ، وبعد ظهوره أمامهم لأول مرة فى ميدان سباق الخيل (٦١) •

على أن الامبراطور أنستاسيوس كان شـــخصية معروفـة جيدا للامبراطورة (٦٢) • وكذلك كان معروفا بالنسبة للبطريرك (٦٣) فى

---

(٥٧) *Evagrius*, Op. cit., p. 360; *Liberatus*, Breviarum, Col. 1028; *Tixeront*, Op. cit., p. 103; Lebon, Op. cit., p. 33; *Salaville*, L'Affaire de L'Henotique, p. 255, *Frend*, Op. cit., p. 182.

قام أحد « الرهبان الساهرون » بتثبيت قرار الحرمان على طيلسان البطريرك أكاكيوس أثناء اقامته قداس القربان المقدس ، انظر :

Liberatus, Op. cit., Col. 1028.

(٥٨) *Evagrius*, Op. cit., pp. 359-360.

(٥٩) *Harnack*, History of Dogma, 4, p. 228; *Lebon*, Op. Cit., p. 33; *Salaville*, Op. cit., p. 255.

(٦٠) مات زينون فى العاشر من ديسمبر سنة ٤٩١ ، وقبل أن توارى جثته التراب ، دخلت الامبراطورة أريادن المقصورة الامبراطورية Kathisma فى ميدان سباق الخيل ، الذى احتشد به المواطنون والجنود الذين هتفوا : « قدمى للعالم امبراطورا أرثوذكسيا •• » انظر :

Bury, Op. cit., pp. 429-430; *Frend*, Op. cit., p. 191.

(٦١) عند ظهور انستاسيوس فى ميدان الخيل لأول بعد تتويجه مباشرة هتف الشعب قائلا : « احكم كما عشت ، لقد عشت طاهرا ، احكم طاهرا ، احكم بطهارة ، أعـد بناء الجيش احكم كما حكم مارقيان ، واطرد الواشين » • انظر :

Bury, Op. cit., p. 432.

(٦٢) يرجع الفضل الى الامبراطورة أريادن فى اعتلاء أنستاسيوس للعرش ، اذ كانت على معرفة به ، قبل وفاة زوجها • وحرصت على اعتلائه العرش والزواج منه بعد أربعين يوما من وفاة زوجها ، وكان انستاسيوس يعمل بالقصر الامبراطورى ، وتميز بالورع والتقوى ، ورجاحة العقل والمهابة ، والقوة والوسامة • وانه كان غير متزوج ، وهى بلا شك مؤهلات مكنته من الفوز بقلب الامبراطورة وبرياسة الدولة ، انظر :

Zacharaih, Op. Cit., p. 148 ; McCabe, Op. cit., p. 19.

(٦٣) اعتاد انستاسيوس قبل اعتلائه للعرش ، الذهاب الى كنيســة الحكمة والقاء الأحاديث الدينية ، وكانت ميوله الدينية تخالف مذهب خلقيدونية ، مما أدى الى قيام =

القسطنطينية قبيل اعتلائه للعرش • واذا كان البطريرك أوفيميوس قد حقق نجاحا عند اجباره أنستاسيوس بضرورة التعهد كتابة باتباع مذهب خلقيدونية ، فانه قد ترك شيئا فى نفس الامبراطور • وبخاصة أن هذا البطريرك كانت له حادثة مع أنستاسيوس قبيل اعتلائه للعرش ، عندما طرده من كنيسة الحكمة • وللباحث أن يتوقع حدوث صراع بين أنستاسيوس والبطريرك أوفيميوس الذى أحرج الامبراطور وطلب منه التعهد الكتابى ، وهو الأمر الذى لم يحدث من قبل تاريخ الامبراطورية منذ أن صارت المسيحية الديانة الرسمية للدولة •

على أية حال ، فان البطريرك أوفيميوس لم يتوقف عند هذا الحد وانما امتدت جهوده على الفور الى مراسلة البابا فيلكس الثالث ، ومن بعده جلاسيوس Glasius (٤٩٢ ـ ٤٩٦ م) ـ دون علم الامبراطور أنستاسيوس ـ وطالبهما بالعمل على طرد البطريرك بطرس بالاسكندرية (٤٨٢ ـ ٤٩١م) ، ومن بعده البطريرك أثناسيوس Athanasius (٤٩١ ـ ٤٩٨م) اللذين لعنا مجمع خلقيدونية وكتاب ليو (٦٤) • غير أن البابوية فى روما لم تكلل جهودها بالنجاح ، وبخاصة أن أنستاسيوس رفض طلب البابوية بشأن لعن أكاكيوس ، بطريرك القسطنطينية ، وعلى ذلك ساءت الأمور بين الامبراطور أنستاسيوس والبابوية ، على أثر رسالة البابوية الشهيرة والتى تحدد فيها مفهوم البابوية ـ فى ذلك الحين ـ بخصوص سلطتها التى اعتبرتها تفوق سلطة الامبراطور : « السيادة الأعلى فى هاتين السلطتين هى ، سلطة الكاهن لأنه عليه أن يقدم يوم القيامة ، ما فعله الملك • وأنت تعرف أيها الابن البار (مخاطبا الامبراطور) ، أنه برغم تفوقك على كل الجنس البشرى فى المهابة بيد أنه عليك أن تحنى رأسك بخشوع لرئيس كهنة الأسرار المقدسة ، عندما تتلقى القرابين المقدسة من أيديهم ، وبالنسبة لشئون الكنيسة عليك أن تطيع ، لا أن

= خلاف شديد بينه وبين البطريرك أوفيميوس ، الذى اضطر الى منعه بالقوة من القاء أحاديثه الدينية بالكنيسة • بعد أن استعان البطريرك بالامبراطور زينون • لذلك امتنع أوفيميوس عن حضور حفل تتويج أنستاسيوس ما لم يوقع أنستاسيوس على تعهد كتابى باتباعه المذهب الخلقيدوني ، وبخاصة أن هناك شبهات حامت حول أنستاسيوس باعتناقه مذهب مانى ، كما قيل أن والدته كانت تدين بمذهب مانى ، وأن خاله كان يدين بمذهب آريوس ، انظر :

Theodore Lector, Op. cit., Col. 186-187; **Evagrius**, Op. cit., p. 40; *Frend*, Op. Cit., p. 191; Duchesne, L'Eglise au vi Si(cle, (Paris, 1925), p. 6; *Victor Jununensis* Op. Cit., Col. 948.

(٦٤) *Zachariah*, Op. cit., pp. 149-150; *Bury*, Op. Cit., I, p. 436; *Jones*, Op. Cit., I, p. 232.

تأمر .. لقد سحقت شغبهم أثناء الألعاب الرياضية . أفلا تستطيع أن تمارس سلطاتك فى أمر يتعلق بصالح أرواحهم ؟ .... دعهم يقولون ان الكرسى الرسولى محب للفخر والظهور ، فهم مثل المريض الذى يلوم الطبيب عندما يستعمل الآلات الحادة من أجل شفائه . وليس فخرنا سوى لطاعتنا لتعاليم آباء الكنيسة ، وماذا نسمى هؤلاء الذين يعارضوننا ويحاربون الثالوث الأقدس نفسه ؟ » على أنه لا يوجد رد للامبراطور على هذا الخطاب المفعم بالكبرياء (٦٥) .

على أن للباحث أن يتوقع أن تزيد العلاقات بين البابوية والامبراطور سوءا ، وهو الأمر الذى عمل على زيادة حدة الانشقاق الذى بدأ سنة ٤٨٤ م (٦٦) .

هذا فى الوقت الذى كانت فيه الصراعات الدينية قوية بين بطارقة الاسكندرية وبيت المقدس ضد أوفيميوس بطريرك القسطنطينية . كما زادت العلاقات سوءا بين الامبراطور وأوفيميوس لرفض الأخير تسليم التعهد الكتابى الذى كان قد وقع عليه أنستاسيوس بناء على اصرار أوفيميوس عند اعتلاء أنستاسيوس للعرش . وعلى أية حال ، انتهت حدة الخلاف بينهما بأن رمى أوفيميوس الامبراطور أنستاسيوس بالهرطقة . وهنا نفد صبر الامبراطور ، وعقد مجمعا دينيا تقرر فيه عزل أوفيميوس ونفيه الى أوكاتيا Euchatia بإقليم بونتس Pontus سنة ٤٩٦ ، بعد أن أدانه المجمع (بالهرطقة) ، وتجديد الالتزام بقانون الاتحاد (٦٧) . وعلى أثر نفى أوفيميوس عين الامبراطور أنستاسيوس مقدونيوس (٤٩٦ — ٥١١م) بطريركا بالقسطنطينية ، وألزمه بالتوقيع على قانون الاتحاد والعمل به (٦٨) .

---

(٦٥) *Hodgkin*, Italy and her Invaders, 3, pp. 390-391; *Dvornik*, «Pope Gelasius and Emplror Anastasius I», Byzantinische Zeitischrift, 44, Munchen 1951, pp. 112-113; *Ullmann*. The Growth of the Papal Government in the Middle Ages, pp. 18-20; *Frend* Op. cit., p. 195.

(٦٦) *Bury*, Op. cit., I, p. 437.

(٦٧) *Lebon*, Op. cit., p. 40; *Bury*, Op. Cit. I,. p. 437; *Duchesne*, Op. Cit., p. 11; *Jones*, Op. Cit., I. p. 232.

(٦٨) *Theodore Lector*, Op. cit., Col. 190; *Lebon*, Op. cit., p. 40.
وكان مقدونيوس يعمل من قبل أمينا للكنوز المقدسة بكنيسة الحكمة ، والذى كانت لديه الوثيقة التى وقعها أنستاسيوس عند اعتلائه للعرش ، بناء على اصرار أوفيميوس . وهذه الوثيقة كانت السبب الأول للخلافات التى نشأت بين أنستاسيوس ومقدونيوس ، حيث رفض الأخير تسليم الوثيقة للامبراطور . وهى التى إعتبر أنستاسيوس وجودها تحت حوزة مقدونيوس بمثابة إهانة للسيادة الامبراطورية ، إنظر :
Evagrius, Op. cit., p. 370.

والواقع أن الفترة التى شغل فيها مقدونيوس الكرسى البطريركى فى القسطنطينية شهدت نشاطات دينية على المستوى العام فى الامبراطورية كما تميزت هذه الفترة بالتزام أنستاسيوس بسياسة الحياد الدينى بين المذاهب المتصارعة . ففى ذلك الحين حاول البابا أنستاسيوس الثانى (٤٩٦ ـ ٤٩٨ م) خليفة البابا جلاسيوس، انهاء الانشقاق بين القسطنطينية وروما ، وراسل الامبراطور أنستاسيوس بأسلوب يختلف عن أسلوب البابا جلاسيوس ، وعرض عليه الموافقة على قانون الاتحاد ، بعد حذف ما ورد به بشأن مجمع خلقيدونية مقابل حذف اسم أكاكيوس ، ولعنه ، بيد أن هـذه المحاولة لم يكتب لهـا التوفيق (٦٩) . وتأييدا لسياسة أنستاسيوس الحيادية ، فانه استقبل أيضا الوفد الخلقيدونى الذى زار العاصمة برياسة القديس سابا ، الذى أرسله أيليا (٤٩٤ ـ ٥١٦م) بطريرك أورشليم الخلقيدونى ، وأكرم وفادة هذا الوفد (٧٠) .

غير أن العناصر المونوفيزيتية بالشرق ، قامت بجهد كبير برياسة ساويرس (٧١) ، الذى زار القسطنطينية واجتمع بالامبراطور ، وظل بها والوفد المرافق له ، والبالغ عدده مائتى راهب لمـدة ثـلاث سنوات (٥٠٨ ـ ٥١١ م) ، أسـفرت عن اقتنـاع أنسـتاسيوس بالمذهب المونوفيزيتى ، وأقر النص المونوفيزيتى الجديد ، « الله الذى صلب من أجلنا » (٧٢) معلنا بذلك نهاية فترة الحياد المذهبى ، وانحيازه التام للمونوفيزتية وعزل مقدونيوس ، وعين بدلا منه تيموثاوس (٥١١ ـ٥١٨م) المونوفيزيتى بالقسطنطينية (٧٣) وكذلك فعل فى الكراسى الأسـقفية

---

(٦٩) Theodore Lector, Op. cit., Col. 191; *Hodgkin*, Op. cit., 3, p. 392.

(٧٠) سعيد بن بطريق ، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، ص ١٩٣ .

(٧١) ساويرس من مواليد سوزوبوليس Sozopolis التابعة لمدينة بسـيديا Pisidia وكان قد درس القـانون فى بيروت ، بيـد أنه ترك مهنة المحاماة ، وتنصر وانخرط فى سلك الرهبنة . وعند ذلك ذهب الى القسطنطينية حيث نال اعجاب الامبراطور أنستاسيوس ، انظر :
Evagrius, Op cit., p, 372; *Lebon*, Op. cit. ,p. 43.

(٧٢) *Evagrus*, Op. cit., p. 386; *Zachariah*, Op. Cit., p. 169.
واغابيوس ، كتاب العنوان ، جـ ٢ ، ص ٤٢٥ ، ابن العبرى ، تاريخ ابن العبرى ، ص ١٤٦ .

(٧٣) *Zachariah*, Op. cit., p. 177; *Lebon*, Op. cit,. p. 44.

بالأقاليم الشرقية (٧٤) · ولم يعبأ أنستاسيوس بمراسلات سيماخوس Symmachus (٤٩٨ ـ ٥١٤م) بابا روما بشأن اتجاه الامبراطور نحو (المونوفيزيتية) ، مما اضطر البابا الى ارسال خطاب لعن فيه الامبراطور ، وساويرس ، وأتباع مذهب الطبيعة الواحدة (٧٥) ·

غير أن المتغيرات داخل الامبراطورية ، أجبرت الامبراطور على ضرورة الاتصال بالبابوية فى روما · ويرجع الفضل فى ذلك لجهود فيتاليان القوطى الذى ارتدى ثوب الكاثوليكية ، فى وقت كانت القسطنطينية غير راضية عن سياسة أنستاسيوس الموالية لأصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ، فبالرغم من أن القوات المتحالفة فى اقليم تراقيا Thrace كانت قد أعلنت ثورتها تحت قيادة زعيمها فيتاليان Vitalian نتيجة لنقص الاعانة المالية المقررة لهم ، فان هذا القائد سرعان ما تبنى الفكرة الكاثوليكية ، والتى كان لها أنصار عديدون فى داخل العاصمة ، وهم الذين شجعوه على التطلع للعرش (٧٦) ·

على أية حال ، سرعان ما قوى نفوذ فيتاليان ، بعد أن جمع جيشا قيل أنه زاد على الخمسين ألفا من الهون ، والبلغار ، وربما من السلاف ، وألحق هزائم بجيوش الامبراطورية وتمكن من أسر هيباتيوس Hypatius ابن شقيقة الامبراطور · وهدد فيتاليان العاصمة أكثر من مرة ، بعد أن حاصرها برا وبحرا الى أن رضخ أنستاسيوس لمطالب فيتاليان سنة ٥١٤ ، والاتصال بالبابوية فى روما (٧٧) ·

---

(٧٤) عزل الامبراطور أنستاسيوس ، بطريق أنطاكية فلابيانوس (٤٩٨ ـ ٥١٢م) ، الخلقيدونى المذهب لاعتراضه على سياسة الامبراطور الجديدة ، وعين مكانه ساويرس (٥١٢ ـ ٥١٨م) ولنفس السبب عزل ايليا Elias (٤٩٤ ـ ٥١٦م) بطريرك أورشليم ، وعين مكانه حنا (٥١٦ ـ ٥٢٤م) ، انظر :
Evagrius, Op. cit., pp. 370-371; *Zachariah*, Op. Cit., p. 187 .
وسعيد بن البطريق ، نفس المصدر ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ·
أما بطارقة الاسكندرية فكانوا جميعا من أتباع المذهب المونوفيزيتى ، منذ بداية عهد أنستاسيوس حتى نهايته ، انظر ابن المقفع ، تاريخ بطارقة الكنيسة القبطية فى الاسكندرية (باريس ، ١٩٠٧) ص ٤٤٨ ـ ٤٥١ ·

(٧٥) سعيد بن البطريق ، نفس المصدر ، ص ١٩٥ · والجدير بالذكر أن سعيد بن البطريق وهو خلقيدونى المذهب ، لعن ساويرس ، فى نفس الصفحة ، اذ ورد بالنص « ساويرس الملعون » هذا بخلاف ابن المقفع المونوفيزيتى ، قال عن ساويرس « ساويرس الفاضل » انظر ابن المقفع ، نفس المصدر ، ص ٤٤٩ · وهذا يدل على حدة الخلاف المذهبى وردود فعله فى نفوس المختلفين مذهبيا ·

(٧٦) *Holmes*, Op. cit., I .p. 180; *Bury*, Op. cit., I pp. 447-448.

(٧٧) *Zachariah*, Op. cit., p. 185 ; *Holmes*, op. cit, p. 180.

وإذا كان أنستاسيوس هو الذى عرض على البابا هورميزداس Hormisdas (٥١٤ – ٥٢٣م) ضرورة عقد مجمع دينى فى هرقلة باقليم تراقيا Heraclea in Thrace (وهى على شاطىء بحر مرمرة غرب القسطنطنية بحوالى ستين ميلا) فى أول يوليو سنة ٥١٥ (٧٨) ، بناء على ضغط فيتاليان ، فان هذا المجمع لم ينعقد ، لهزيمة فيتاليان من ناحية ، ولتشدد البابوية فى الغرب من ناحية ثانية : حيث اشترطت العودة الى قرارات مجمع خلقيدونية ، وكتاب ليو ، ولعن أكاكيوس ، (وكل المنشقين من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة) ، وهو الأمر الذى رفضه أنستاسيوس • على أن الرسائل بين البابا والامبراطور أنستاسيوس لم تتوقف الى أن كانت آخر رسالة أرسلها أنستاسيوس للبابا هورميزداس فى الحادى عشر من يوليو ٥١٧م ، وهى الرسالة التى اتسمت بالعنف والحزم : « نستطيع أن نتحمل الاهانة ، بيد أننا لا نسمح لأحد أن يصدر الينا الأوامر ••• » (٧٩) ومن المعروف أن أنستاسيوس توفى بعد ذلك بعام تقريبا (فى التاسع من يوليو سنة ٥١٨ م) ، لتبدأ الامبراطورية عهدا جديدا من الناحية الدينية فى عصر جوستنيان ، حيث حقق هورميزداس كل ما أراد •

هكذا كانت أحوال الامبراطورية الداخلية المضطربة من عوامل قيام الحركات الانفصالية فى الداخل ، والصراعات المذهبية ، والصراع على السلطة ، الأمر الذى شجع القبائل المقيمة على الحدود الشرقية على مهاجمة آسيا الصغرى ، وشبه جزيرة البلقان ، وهو الأمر الذى استنزف أموال الدولة ، وكان شغلها الشاغل فى تلك الفترة التاريخية •

الواقع أن حالة الفوضى السياسية ، والحروب الأهلية ، والصراعات على السلطة فى عهد زينون بصفة خاصة شجعت القبائل الجرمانية على مهاجمة اقليم تراقيا على وجه الخصوص سواء من الجهة الشمالية الشرقية على يد البلغار ، أم من الشرق على الشواطىء المطلة على البحر الاسود •

---

(٧٨) Frend, Op. cit., pp. 231-232.

كان الامبراطور أنستاسيوس قد أرسل رسالتين الى البابا هورميزداس بخصوص عقد هذا المجمع الدينى الرسالة الأولى فى الثامن والعشرين من ديسمبر ٥١٤ ، والثانية فى الثانى عشر من يناير ٥١٥ ، ويلاحظ أنه خاطب هورميزداس على أنه « رئيس الأساقفة والبطريرك » • انظر :

Collectio Avellana, No. 107, 109, pp. 499-900, 501-502.

(٧٩) *Colleoctio Avellana*, No. 138; p. 565; *Hodgkin*, Italy and her Invaders, 3, pp. 418-427; *Vasiliev*, Justin the First, p. 160. *Frend*, Op. cit., pp. 231-233.

إذ قامت جماعات من قبائل ماساجيتاى Masagetae وهم ضمن الشعب السكيثى Scythian ، الذين عاشوا على الشواطىء الشرقيــة لبحر قزوين ، بمهاجمة اقليم تراقيا (٨٠) • بيد أن البلغار كانوا أشد القبائل خطورة • وهم الذين استقروا خلف نهر الدانوب • وبرغم ذلك نجح المحالفون Foederates من القوط الشرقيين ، بزعامة ثيودريك فى كبح جماح البلغار ، والتصدى لهم فى عقر دارهم ، بعــد أن عبر نهر الدانوب ، ومصرع زعيمهم ليبرتيم Libertem ، والذى اضطر للفرار أمام ثيودريك ورجاله (٨١) • على أن رحيل ثيودريك الى ايطاليا ســنة ٤٨٨م جعل الأقاليم الشمالية الشرقية للامبراطورية لقمة سائغة لهجمات البلغار لسنوات متتالية ، ذلك أنه كان يتولى ـ قبل رحيله ـ التصدى لغارات البلغار من جهة ، وأنه بخلو الأقاليم الشرقية من القوات العسكرية التى نقلها أنستاسيوس فى عهده للتصدى للايسوريين من جهة ثانية ـ كل ذلك أدى الى ضعف الأقاليم الشمالية الشرقية للامبراطورية ، فبدأت هذه الغارات الشديدة سنة ٤٩٣ ، حيث عبر هؤلاء الجرمان نهر الدانوب ، وهاجموا اقليم تراقيا ، وقتلوا جوليان Julian قائد الاقليم عندما تصدى لهم (٨٢) • على أن أشد غارات البلغار ضراوة كانت سنة ٤٩٩ ، فبالرغم من حشد الامبراطورية لقوات بلغ عددها خمسة عشر ألف مقاتل ، فانها منيت بالهزيمة النكراء ، وتشتت الجيش الامبراطورى بعد مقتل قائده أريستوس Aristus ومعه أربعة آلاف قتيل (٨٣) • وبدت خطــورة غارات البلغار فى اتباع أسلوب الاغارات الخاطفة السريعة ، التى تركزت على السلب والنهب ، ثم العودة سريعا ، وبصفة خاصة فى الفترة ما بين ٤٩٩ ـ ٥٠٢م ، بالرغم من محاولات أنستاسيوس تقــديم الأموال لهم لاسترداد الأسرى ، وصرفهم عن هجماتهم • بيد أن جهوده باءت بالفشل لعدم وجود القوات الكافية للتصدى لهم (٨٤) •

وقد كان سكان العاصمة وضواحيها من الطبقات الغنية يمتلك أهلها الضياع والقصور التى تعج بالنفائس ومظاهر الرفاهية والترف ، وأمام

---

(٨٠) *Evagrius*, Op. cit., p. 339.

(٨١) *Lebeau*, Op. cit., pp. 7, 141-144.

(٨٢) *Lebeau*, Op. cit., 7, p. 232 ; *Bury*, Op. cit., I, p. 435; *Stein*, Op. cit., p. 89; *Jones*, Op. city., I, p. 231.

(٨٣) *Lebeau*, Op. cit., p. 224; *Bury*, Op. cit., I, p. 432. *Stein*, Op. cit., p. 90; *Jones*, Op. cit., I, p. 231.

(٨٤) *Procopius*, Buildings, pp. 291-293; *Theophanes*, p. 222; *Cedrenus*, Historiarum Compendium, ed. Bekker, I, p. 628, *Bury*, Op. cit., I, p. 439.

هذا الخطر حاول أنستاسيوس حماية العاصمة وضواحيها ببناء سور ضخم حول هذه المناطق وأحاط بالعاصمة (٨٥) ، وأطلق عليه « السور الطويل » اذ بلغ طوله أربعين ميلا ، وسمكه احدى عشر قدما ، وله أبراج ارتفاعها واحد وثلاثون قدما وبدأ من البحر الاسود حتى بحر مرمرة (٨٦) . وعلى أية حال ، فانه منذ بناء هذا السور ، توقفت اغارات البلغار ، ولم تتجدد الا سنة ٥١٧م بعد أن عبروا نهر الدانوب ، وهزموا القائد بومبيوس Pompius وتوغلوا فى مقدونيا Macedonia . وبرغم ارسال أنستاسيوس الأموال اليهم مع حنا حاكم اقليم ايلليريا ، مقابل عودتهم من حيث أتوا فانهم رفضوا هذا العرض ، واستمروا فى التوغل حتى اجتاحوا كل الأقاليم الغربية من العاصمة ، ثم انسحبوا بعد أن أخذوا معهم الغنائم وآلافا من الأسرى (٨٧) . وكانت لغارات البلغار — آثار سيئة على المناطق البلقانية التى كادت ، تخلو من السكان ، لذلك كان من الطبيعى أن يتدهور الانتاج الزراعى بها ، وأن تصاب ميزانية الدولة بنقص شديد (٨٨) .

وتعرضت الأقاليم الشرقية بآسيا الصغرى لاغارات قبائل الهون السابيرى Sabiri بشكل لم يسبق له مثيل سنة ٥١٥م . حيث قامت هذه القبائل ، التى تغطى المناطق الشمالية المحيطة ببحر قزوين ، بعبور الممرات القوقازية ، والاغارة على أقاليم أرمينيا الرومانية ، وقبدوقية ، وجلاتيا ، وبنتس ، وأحدثوا الخراب والدمار فى المدن التى أغاروا عليها . فى الوقت الذى لم يتمكن أحد من التصدى لهم ، ثم عادوا محملين بالغنائم — ولم يكن أمام الامبراطور أنستاسيوس سوى تقديم المساعدات العاجلة للمنكوبين ، واعفاء الأقاليم التى أصابتها الأضرار ، من الضرائب لمدة ثلاث سنوات . وقام بتشييد الأسوار والحصون للمدن الكبيرة فى اقليم قبدوقية (٨٩) .

ويبدو أن الشعب التزانى Tzani (واسمه القديم قبل عهد بروكوبيوس Sani) ، استغل فرصة انشغال أنستاسيوس بالحرب

(٨٥) *Procopius*, Buildings, pp. 291-293; *Holmes*, Op. cit., I, p. 124.

(٨٦) *Procopius*, Op. cit., p. 293; *Evagrius* Op. cit., p. 376; *Holmes*, Op. cit., I., p. 125; *Bury*, Op. cit., I, p. 435.

(٨٧) *Lebeau*, Op. cit., 7, p. 439; *Stein*, Op. cit., p. 106-107; *Bury*, Op. cit., I, p. 436; *Jones*, Op. cit., 1, p. 235.

(٨٨) *Bury*, Op. cit., I, p. 436.

(٨٩) *Procopuis*, Wars, 2, p. 533; *Malalas* Op., cit., p. 406; *Evagrius*, Op. cit., p. 385; *Theophanes*, Op. cit., I, p. 249; *Cedrenus*, Op. cit., I., p. 633; *Lebeau* Op cit., 7, pp. 433-434.

مع الفرس ، وهاجم الأراضي الرومانية حتى وصلت اغاراتهم الى اقليم بونتس Pontus (٩٠) وبالرغم من وجود اتفاقات قديمة بين أباطرة الرومان ، وهذا الشعب على عدم الاعتداء على الأراضي الرومانية ، مقابل اعانة مالية كل عام ، فانهم اعتادوا القيام بغاراتهم الفجائية بغية السلب والنهب ، محدثين الأضرار البالغة بالاقاليم التى كانوا يمرون بها ، وهى أرمينيا الرومانية ، والأقاليم الرومانية الأخرى ، حتى شاطىء البحر الأسود ، ويبدو أن طبيعة بلادهم الجبلية ، وقسوة الحياة عندهم ـ حيث عاشوا فى مناطق جبلية عالية بها منابع نهر فاسيز Phasis الذى يصب فى البحر الأسود عند لازيقا ـ هى التى دفعتهم الى مواصله اغاراتهم بغية الحصول على الطعام فى منطقة تحيط بها ايبيريا شمالا ، وأرمينيا الفارسية جنوبا • غير أنه فى بداية عصر جوستنيان نجحت الامبراطورية في احتوائهم ، بعد اعتناقهم المسيحية وانخراطهم في الجيش الروماني (٩١) .

على أن هجمات القبائل لم تكن من الشرق أو الشمال الشرقى فحسب ، بل امتدت وشملت أيضا الجنوب الشرقى للامبراطورية • فعلى الحدود الجنوبية لمصر تعرضت المدن هناك جنوب جزيرة فيلة Philae لغارات قبائل البليمى Blemyes • وكلفت الدولة الكثير فى التصدى لهم • ويبدو ذلك واضحا عندما ذكرهم أنستاسيوس ضمن القبائل التى اعتادت الاعتداء على حدود الدولة بصفة دائمة ، فى تلك الرسالة التى أرسلها الى قباذ ملك الفرس (٤٨٨ ـ ٥٣١م) ، ابان مطالبة الفرس للمساعدات المالية ، ورفض أنستاسيوس تقديم تلك المساعدة متذرعا بحاجته الشديدة للمال للتصدى الى تلك القبائل المخربة (٩٢) • وبالرغم من تقديم الامبراطورية المساعدات المالية لتلك القبائل منذ عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م) ، واستمرارها فى دفع المساعدات لها حتى بداية عصر جوستنيان ، فانها دأبت على القيام بغاراتها • وهكذا يمكن القول ان المحاولات التى بذلتها الامبراطورية تجاه تلك القبائل والخاصة بتقديم المال اليهم ، واقامة المعابد المشتركة للمسيحية والوثنية فى جزيرة فيلة ، كل هذه الأمور لم تحقق الهدف المنشود منها فى تحقيق الأمن الا بعد أن استعمل جوستنيان منطق القوة وهدم معابدهم الوثنية التى بالجزيرة ، وأخضعهم للسيادة الرومانية (٩٣) •

---

(٩٠) *Theodor Lector*, Op. cit., p. 194; *Lebeau*, Op. cit., p. 7. p. 384.

(٩١) *Procopius*, Wars I, pp. 135-117, 2, p. 539; *Ibid*, Buildings, pp. 203-205.

(٩٢) *Joshua*, Op. cit., p. 13.

(٩٣) *Procopius*, Wars, I, p. 185-189.

كانت هجمات القبائل فى هذه الفترة ، وبصفة خاصة الهجمات من الشرق مصدر خطر على كل من الامبراطورية الفارسية والرومانية • بل ان الدولة الفارسية تعرضت لحروب طويلة مع أعدائهم على الحدود الشمالية الشرقية من الهياطلة أو الهون البيض ، ولذلك لم تقع اعتداءات على الحدود بين القوتين العظمتين • وعلى ذلك يمكن القول ان الربع الأخير من القرن الخامس شهد سلاما حقيقيا من الفرس والرومان (٩٤) بل ان زينــون ظل يقدم المساعدات المالية للفرس ، حتى يتمكنوا من مواصلة الحرب ضد الهون ، الذين نظر اليهم كل من الفرس والرومان على أنهم عدو مشترك ، وحتى لا يتكرر ما فعله الهون بالأراضى الرومانية فى سوريا على عهــد الامبراطور أركاديوس Arcadius (٣٩٥ – ٤٠٨م) ، عندما اخترقوا الأراضى الفارسية ، واجتاحوا أراضى الامبراطورية الرومانية ، وأحدثوا بها الخراب والدمار (٩٥) •

على أن المساعدات المادية التى قدمها زينون للفرس استمرت حتى وفاة فيروز ملك الفرس (٤٥٩ – ٤٨٤م) (٩٦) غير أن الامبراطور زينون امتنع عن تقديم هذه المساعدات لخليفته بلاش (٤٨٤ – ٤٨٨م) ، لأن بلاش أعلن تأييده ، للحركة الانفصالية فى أنطاكية ، بعد أن تسلم من قادتها اعانة مالية • ولذلك أرسل اليه زينون يذكره بأحقية الرومان فى مدينة نصيبين قائلاً : « ان الضرائب التى تحصلون عليها من مدينة نصيبين تكفيكم ، والتى كانت منذ سنوات عديدة يحصل عليها « البيزنطيون » (٩٧) بيد أن بلاش لم يبد أى ميول عدوانية ضد الرومان ، لظروفه الداخلية والخارجية الحرجة ، بل على العكس من ذلك ، فقد اتسم عهده بالتسامح الكامل مع المسيحيين فى بلاده ، وفى أرمينيا الفارسية ، وبخاصة بعد أن نجح فى عقد معاهدة سلام مع الهياطلة لمدة عامين (٩٨) • وهــكذا يمكن القول ان الخلافات بين القوتين العظميين أمكن علاجها بالأســلوب الدبلوماسى دون اللجوء الى استخدام القوة ، وهو الطابع الذى ساد فى عهد زينون •

---

(٩٤) *Zachariah*, Op. cit., p. 151; *Diehl*, Justinien et la civilisation Byzantin au VI Siécle, p .208, *Stein*, Op. cit., II, p. 65.

(٩٥) *Joshua*, Op. cit., pp. 7-8.

(٩٦) *Ibid*, Op. cit., pp. 8-9; *Zachariah*, Op. cit., p. 153.

(٩٧) *Joshua*, Op. Cit., p. 12; *Bury*, Op. cit., II, p. 10.

(٩٨) *Michel Le Syrien*, Op. cit., II, p. 151; Bury, Later Roman Empire, 2, p. 7.

على أن السلام بين القوتين العظميين تعرض للخطر فى بداية عهد أنستاسيوس ، الذى رفض تقديم أى مساعدات مالية للملك الفارسى قباذ ، الذى كان قد اعتلى السلطة فى بلاده ، بمساعدة الهون ، والذى أرسل رسالة الى أنستاسيوس يطالبه بسرعة المساعدة المالية ، وفى نفس الوقت يهدده بالحرب فى حالة عدم الدفع (٩٩) .

ولما كان الرومان على علم بطبيعة الصراع بين الفرس والهون ، فقد اغتنموا كل الفرص التى من شأنها العمل على بقاء الخلافات بين الفرس والهون ، وذلك عن طريق الاصرار على عدم مساعدة الفرس ماديا (١٠٠) . بيد أن قباذ كان جادا فى تهديده ، لحاجته الملحة للمال ، وبدأ عملياته العسكرية ضد الأراضى الرومانية بالاستيلاء على مدينة مارتيروبوليس Martyropolis (ميافارقين) ، واستسلمت له دون قتال ، وتسلم قباذ من سكانها ضرائب عامين (١٠١) . ثم سقطت بعدها مدينة ثيودوسيوبوليس Theodosiopolis (أرضروم) ، فى يدى قباذ (١٠٢) .

غير أن أنستاسيوس لم يتمكن من التصدى لقباذ الا بعد أن استولى الفرس على مدينة آمد Amida ، وتعرضت لأشد ألوان التخريب والدمار . وبالرغم من حشد أنستاسيوس قوات كبيرة لتحرير مدينة آمد ، فان الجيش الرومانى لم يتمكن من حسم المعركة ، كما أن الفرس اكتفوا بتشديد قبضتهم على ما تحت أيديهم ، وسمحوا للعرب الموالين لهم بالاغارات الخاطفة على الأقاليم الرومانية (١٠٣) .

وهكذا نجح الفرس فى خطتهم التى كانت تهدف الى فرض ارادتهم على الرومان ، واجبارهم على تقديم المساعدات المالية لهم ؛ اذ ان قباذ ظل متمسكا بمدينة آمد لمدة ثلاث سنوات ، والقوات الرومانية عاجزة عن تحريرها مما اضطر أنستاسيوس الى طلب الصلح طبقا للشروط الفارسية ، حيث عقدت معاهدة سلام سنة ٥٠٥ ، تعهد فيها الرومان بدفع اعانة مالية قدرها خمسة آلاف رطل من الذهب سنويا (١٠٤) .

---

(٩٩) **Joshua**, Op. Cit., p. 10.

(١٠٠) *Theodore Lector*, Op. cit., Col. 210; *Procopius*, Wars, 1, p. 49; *Theophanes*, Op. cit., I, p. 222; *Lebeau*, Op. cit., 7, p. 324; *Bury*, Op. cit., p. 11.

(١٠١) *Procopius*, Buildings, pp. 187-191.

(١٠٢) *Joshua*, Op. Cit., pp. 38-64; *Zachariah*, Op. cit., pp. 153-162;

(١٠٣) *Procopuis*, wars, 1, pp. 49-77; *Marcellinus Comes*, Op. cit., Col. 936.

(١٠٤) *Procopius*, Wars, 1, p. 77; Zachariah, Op. cit., p. 163 ; *Lebeau*, Op. cit., 7, p. 378.

وكشفت الحرب الفارسية عن نقاط ضعف في الجبهـــة الرومانية ، تبلورت في ضرورة اقامة قلعة عسكرية على الحـــدود مع الفرس ، تكون نقطة انطلاق للجيوش الرومانيـــة ، ولحماية المنـــاطق العربية التابعـة للامبراطورية من هجمات الفرس والعرب الموالين لهم (١٠٥) . ومن أجل تحقيق هذا الهدف سارع أنستاسيوس بتحويل مدينـــة دارا Daras الى قلعة عسكرية ، بها كل المتطلبات التي تسمح لهـا بالقيام بمهمتها على أكمل وجه ، وأطلق عليها أنستاسيوبوليس Anastasiopolis وبالرغم من أن هذا الاجراء يخالف المعاهدات بين القوتين العظميين بشأن عدم اقامة قواعد عسكرية على الحدود ، فان أنستاسيوس استغل فرصة انشغال قباذ في الحرب ضد الهون ، وسارع في انجاز هذا العمل الضخم الذي استغرق أكثر من عامين . كما سلك الأسلوب الدبلوماسي لمعالجة التهديدات الفارسية ، عن طريق تقديم الأموال والهدايا (١٠٦) كمـــا استغل أنستاسيوس الفرصة لصالح الامبراطورية ، وسارع أيضا بتقوية قلعة ثيودرســـيوبوليس Theodosiopo'is (أرضروم) ، في أرمينيـــا الرومانية ، وحولها الى قلعة حصـــينة وسماها أنســـتاسيوبوليس أيضا (١٠٧) .

ومنذ معاهدة السلام سنة ٥٠٥ ، فان العلاقات الفارسية الرومانية ظلت عادية ، ودون حروب ، حتى بداية عصر جوستنيان (١٠٨) .

ويتضح للباحث أن هذه الفترة التي اعتلى فيها عرش الامبراطورية زينون ، وخلفه أنستاسيوس كانت فترة صعبة بالنسبة للفرس والرومان ، اذ ظلت القوتان العظميان تعمـــلان بصفة مستمرة للتصـــدي لاغارات القبائل ، وهو الأمر الذي اســـتنفد القـــدر الكبير من قواهمـا المادية والعسكرية . كما أن ما قام به قباذ ، من احتلاله لبعض المدن الرومانية انما كان هدفه في المقام الأول ، هو فرض الارادة على الرومان ، وضـــمان التعهد باستمرار دفع الاعانة المالية للفرس ، ولم يكن هدفه التوســـع وضم الأراضي بأية حال من الأحوال .

---

(١٠٥) *Joshua*, Op. cit., p .70; Zachariah, Op. cit., p. 104.

(١٠٦) *Joshua*, Op. cit., p. 70; Procopius Wars, 1, p. 81; *Zachariah*, Op. cit., pp. 165-166; ***Procopuis***, Buildings. pp. 99-101; *Malalas*, Op. cit., p. 209; ***Theophanes***, Op. Cit., p. 231; *Cedrenus*, Op. cit., I,, p. 630.

(١٠٧) *Procopius*, Buildings, pp. 201-203; Malalas, Op. cit., p. 399.

(١٠٨) *Holmes*, Op. cit., I, p. 178; *Bury*, Op. cit., II. p 14.

وإذا كان القسم الشرقي من الامبراطورية قد نجا من غارات القبائل ، في هذه الفترة التاريخية ، فان القسم الغربي قدر له الوقوع في أيدي هذا السيل العرم من القبائل ، وترتب على ذلك سقوط آخر أباطرة القسم الغربي ، الامبراطور الطفل روموليوس أجوستولوس Rumulus Augustulus وتمكن أدواكر Odovacer من اعتلاء السلطة هناك ، ونفي الامبراطور سنة ٤٧٦ (١٠٩) · على أن أدواكر عمل على ارضاء الامبراطور زينون باعلانه التبعية له ، وذلك بارساله الشعارات والرموز الامبراطورية الى القسطنطينية ، للتعبير عن تبعيته ، وأنه يحكم في ايطاليا باسم زينون ، واستجاب زينون — مكرها — لهذا الطلب ، وأصبح أدواكر من الناحية القانونية حاكما على ايطاليا بالتعيين وذلك سنة ٤٨٠ (١١٠) ·

ولا شك أن اتصالات أدواكر بالامبراطور زينون ، ومحاولاته في الحصول على تأييد لوضعه الجديد ، كحاكم على ايطاليا ، وارساله شعارات ورموز الامبراطورية الى القسطنطنية ، انما كان هدفه في المقام الأول ، اضفاء قناع من الشرعية على وضعه الجديد في روما ذاتها ، أمام الشعب الروماني · وذلك في وقت كان فيه أدواكر على علم بطبيعة الصراع الداخلي على العرش في القسطنطينية ذاتها من ناحية ومن ناحية أخرى معرفته أن القسطنطينية ذاتها لم يعد في مقدرتها العمل على القضاء عليه بعد أن ضاع الاسطول الروماني في معركة باسيليسكوس الفاشلة ضد الوندال سنة ٤٦٨ · ولذلك كانت استجابة زينون لمطالب أدواكر ، من منطلق سياسة الاعتراف بالأمر الواقع ، على مضض ، حتى تحين الفرصة لتأديب أدواكر ، في الوقت المناسب ، وحينما واتت زينون الفرصة ، فانه لم يضيعها على الاطلاق وكان ذلك على يد ثيودريك ·

---

(١٠٩) *Marcellinus Comes*, Op. cit., p. 932; *Procopius*, Wars, 3, pp. 3-5; Jones, The Decline of the Ancient World, p. 92.

(١١٠) *Bradely*, The Goths, p. 138; *Holmes*, Op. cit., p. 544; *Vasiliev*, Byzantine Empire, I, p. 107; *Franzious*, History of the Byzantine Empire, p. 55; *Jones*, Op. cit., p. 92.

وكانت طموحات ثيودوريك (١١١) بالبلقان قد وصلت الى حد تهديد عرش زينون ، ولذلك اقترح على ثيودريك أن يذهب الى ايطاليا ، ومعه كل شعبه على أن يحكمها نيابة عن الامبراطور ، بعد القضاء على أدواكر ، واستجاب ثيودوريك لهذا العرض لأنه تلاقى مع طموحاته ، وتحرك ثيودوريك صوب ايطاليا سنة ٤٨٨ (١١٢) ٠ على أن ثيودوريك لم يتمكن من السيطرة على ايطاليا بصفة نهائية الا سنة ٤٩٣ ، بعد مقتل أدواكر ، وهناك سارع ثيودوريك بابلاغ الامبراطور أنستاسيوس ، ويذكره بعهده مع زينون ، ويطالبه بالاعتراف به حاكما على ايطاليا (١١٣) ٠ غير أن اعتراف أنستاسيوس الرسمى بحكم ثيودوريك على ايطاليا كان سنة ٤٩٧ ، حيث أرسل اليه الرداء الأرجوانى والتاج الخاص بأباطرة الغرب (١١٤) ولا ريب أن هذا يدل على أن الامبراطور أنستاسيوس ، أدرك الفرق بين حكومة ثيودوريك وحكومة أدواكر ٠ واستمرت العلاقات على ما يرام ، بين ثيودوريك ، والامبراطور أنستاسيوس حتى أواخر أيامه ، ففى احدى رسائل الامبراطور ــ الى مجلس الشيوخ الرومانى فى روما ، وصف الامبراطور أنستاسيوس ثيودوريك « بالملك المجد الذى عهدنا اليه بالسلطة فى ادارة شئونكم » ٠ وذلك فى الثامن والعشرين من شهر يوليو سنة ٥١٦ (١١٥) ٠

---

(١١١) هو ثيودوريك بن ثيوديمير Theodoric, the son of Theodomer ولد سنة ٤٥٤ ، فى اقليم يقع جنوب شرق النمسا Austria حاليا ، وبالقرب من مدينة فينا Vienna ٠ وذهب الى القسطنطينية ، وهو فى الثامنة من عمره كرهينة بناء على اتفاقية سنة ٤٦٢ بين الامبراطور ليو الأول (٤٥٧ ــ ٤٧٤م) ، وخالة والمير Walmer ملك القوط ، وتعهد الأول بدفع ثلاثة آلاف رطل من الذهب سنويا للقوط مقابل حمايتهم حدود الامبراطورية ، وظل ثيودريك فى القسطنطينية عشر سنوات ، حيث نال قسطا وافرا من العلوم العسكرية ٠ وتربى على أعلى مستوى هناك ٠ ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره عاد الى قومه ، حيث اعتلى عرش القوط ، وهو العشرين سنة ٤٧٤م ، انظر :

Henry Bradely, The Goths, pp. 133-137.

وكانتور (نورمان ف) التاريخ الوسيط ترجمة وتعليق الدكتور قاسم عبده قاسم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ١٩٨ ٠

(١١٢) *Marcellinus Comes*, Op. cit., p. 934; *Procopius*, Wars, 3, p. 7. *Evagrius*, Op. cit., p. 395; *Bradley*, The Goths, p. 138; *Franzious*, Op. cit., p. 59; *Levtchenko*, Byzance des Origines a 1353, p. 53.

(١١٣) *Hodkgin*, Op. Cit., 3, pp. 390-392; *Martroye*, L'Occident A L'Epoque Byzantine, p. 33; *Holmes*, Op. cit., 11, p. 549.

(١١٤) *Bradley*, Op. cit., p. 156; *Hodgkin*, Op. cit., pp. 392-393; Martroye, Op. cit., p. 34.

(١١٥) Hodgkin, Op. cit., 3, pp. 424-425.

واذا كان هذا هو موقف كل من زينون وأنستاسيوس بالنسبة لايطاليا ، فان الموقف بالنسبة لشمال أفريقيـــا كانت له طبيعة مؤلمة بالنسبة للامبراطورية ، وكانت مهمة أباطرة الرومان العمل على اعادتها الى حظيرة الدولة ، وتأديب الوندال الذين اتسموا بالوحشية ومارســوا القرصنة ، فمنذ عهد جزيريك (٤٣٩ ــ ٤٤٧م) مؤسس دولة الوندال بشمال أفريقيا ، ظهرت هذه الدولة على صفحة التاريخ ، كدولة مغتصبة ، وعدوانية ، حتى صارت خطرا شديدا لا يمكن السكوت عليه ، بعد أن شملت أملاكها ، والتى اغتصبها من الامبراطورية ، شمال أفريقيا ، وكل الجزائر الواقعة غرب البحر المتوسط · هذا فى الوقت الذى مارست فيه أسلوب القرصنة ، والسلب والنهب فى ايطاليـــا ذاتها ، وامتد هــذا الأسلوب ليشمل الأجزاء الغربية من بلاد اليونان ، وجزائر بحر ايجه ، وامتدت أعمال القرصنة شرقا حتى جزيرة رودس (١١٦) ·

غير أن آمال الرومان لم تتوقف بشأن التصدى للوندال والعمــل على استرداد أراضى الامبراطورية السليبة · وكانت أولى تلك العمليات التى قام بهـــا الامبراطور الغــربى مارجوريـنــوس Marjorinus (٤٥٧ ــ ٤٦١ م) · حينما جمع جيشا كبيرا لهذا الهدف · بيد أن الخطة لم يكتب لهـــا التنفيذ لموته المفاجىء ، حيث قتل فى الثـــامن من أغسطس سنة ٤١٦ ، بعد أن قطع شوطا كبيرا على هذا الطريق (١١٧) ·

على أية حال ، قويت آمال الرومان ، بشأن ضرورة استرداد أراضى الامبراطورية وكانت هذه الفكرة الشغل الشاغل للامبراطور ليو الأول (٤٥٧ ــ ٤٧٤ م) ، الذى أعد حملة بحرية سنة ٤٦٧ م ، أنفق عليها مائة وثلاثين ألف رطل من الذهب ، وجمع لها أسطولا بحريا كبيرا ، من كل موانى شرق البحر المتوسط ، وأعدلها مائة ألف رجل لاسترداد شمال أفريقيا من الوندال · فى الوقت الذى تمــكن فيــه من اســترداد جزيرة سردينيا Sardinia دون صعوبة ، بقيـــادة ماركيليانوس Marcellianus · كما استطاعت القوات الرومانية بقيادة هرقليوس Heracleius من استرداد طرابلس فى ليبيا ، بعد هزيمة الوندال هناك وكذلك الاســـتيلاء على بعض المدن بسهولة · وترك هرقليوس أسطوله فى طرابلس وتقدم برا صوب قرطاجة · غير أن باسيليسكوس

(١١٦) *Procopius*, wars, 2, p. 53; *Vasiliev*, Justin the First, pp. 337-338.

(١١٧) *Procopius*, Wars, 3, pp 165-69 ; **Jones**, The Decline of the Ancient World, p. 90.

Basiliscus قائد الحملة البحرية ، الذى لم يكن على مستوى الكفاية منى بالفشل الذريع ، واحترق أسطوله ، على يدى جزيريك ، بعد أن رواغه فى مهلة لمدة خمسة أيـام للتشـاور مع عشـيرته بشـأن التسليم (١١٨) ٠

على أن هزيمة باسيليسكوس ، والقضاء على الأسطول البحرى ، جعلت الامبراطورية غير قادرة كليـة على التصدى للوندال ٠ فزاد جزيريك من غاراته الوحشـية وجمع الاسلاب والغنائم والأسرى من سواحل الجزء الشرقى من الامبراطورية ٠ لذلك لم يكن أمام الامبراطور زينون (٤٧٤ ــ ٤٩١ م) ، سوى اللجوء الى الحل الدبلوماسى ، وشراء السلام من جزيريك ، والاعتراف له بحق البقاء فى دولته ، فى الجزء الذى اغتصبه من أراضى الرومان بالقوة ، مع التعهد بعدم القيام بأعمال عدوانية ضد الوندال فى المستقبل ، ودفع فدية للأسرى الذين استولى عليهم جزيريك ، كل ذلك فى معاهدة ، بناء على جهود السفير البيزنطى ساويرس Severus سنة ٤٧٥ ، وهى المعاهدة التى قدر لها البقاء حتى عصر جوستنيان (١١٩) ٠

ظلت العلاقات السلمية قائمـة بين بيزنطة والوندال فى عهد الملك الوندالى هونريك Huneric (٤٧٧ ــ ٤٨٤ م) ، خليفة جزيريك، غير أن تعصب الوندال الشديد للمذهب الأريوسى ، واتباعهم اساليب وحشـية فى اضطهاد المختلفين معهـم فى المذهب من الأرثوذكس وغيرهم (١٢٠) ٠ أجبر زينون على ارسال أكثر من سفير بغية حمـاية الأرثوذكس من الاضطهادات فى عهده ٠ واذا كانت السفارة الأولى بقيادة الاسكندر Alexandre سنة ٤٨١ ، قد حققت شيئا من النجاح ، تلاه ذهاب وفد وندالى الى القسطنطينية حيث غمرهم زينون بالهدايا (١٢١) ، فان سفارة يورانيوس Uranius سنة ٤٨٤ منيت بالفشل الذريع ، حيث علق هونريك المشانق فى الشوارع أمام عينى السفير البيزنطى ، وعلى طول الطريق (١٢٢) ٠

---

(١١٨) *Procopius*, Wars, 3, pp. 55-63; *Martroye*, Op. cit., pp. 188-189; *Levtchenko*, Op. cit., p. 47.

(١١٩) *Procopius*, Wars, 3, p. 71; *Lebeau*, Op. cit., 8, pp. 70-71; Bury, Op. Cit., p. 390; *Brehier*, Vie et Mart de Byzance p .16.

(١٢٠) *Procopuis*, Wars, 3, pp. 73-75; *Lebeau*, Op. cit., 8, pp. 91-93.

(١٢١) Lebeau, op. cit., 8, p. 120, Martoye, op. cit., pp. 191-192.

(١٢٢) *Lebeau*, Op. cit., 8, p. 120; *Martroye*, Op. cit., p. 209.

على أن العلاقات بين بيزنطة والوندال استمرت طيبة فى عهدى الملك الوندالى جونثا موند Gunthamund (٤٨٤ ـ ٤٩٦ م) وخليفته ترازا موند Trasamund (٤٩٦ ـ ٥٢٣ م) بعد أن خفت حدة الاضطهاد تجاه الارثوذكس فى شمال افريقيا • وتوثقت علاقات الصداقة بين الوندال والامبراطور أنستاسيوس (١٢٣) ، وهو الأمر الذى مهد السبيل لتعزيز تلك العلاقات منذ بداية عصر الامبراطور جوستنيان •

والواقع أن عهد أنستاسيوس بالنسبة لهذه الفترة التاريخية له أهمية كبرى ، اذ استطاع اصلاح الكثير من أمور الامبراطورية ، وبصفة خاصة ، تمكن من الانتقال بالدولة من حافة الافلاس الاقتصادى التى ظلت تعانى منها نتيجة للنفقات الباهظة لحملة باسيليسكوس الفاشلة ضد الوندال سنة ٤٦٨ ، وما تلاها من حروب أهلية وصراعات على السلطة فى عهد زينون الى أن استطاع تصحيح المسار الاقتصادى للامبراطورية ، « وترك آلافا من أرطال الذهب التى يصعب حصرها أو عدها » • على حد قول المؤرخ المعاصر حنا ليدوس John Lydus (١٢٤) وهو المبلغ الذى قدره بروكوبيوس بحوالى ثلاثمائة وعشرين ألف رطل من الذهب (١٢٥) وبذلك مهد السبيل لخليفته جوستنيان الكبير للقيام بمشاريعه العديدة ، مما جعل عهد انستاسيوس ، من الناحية الاقتصادية مقدمة رائعة لعصر جوستنيان •

على أن الفضل فى انجازات أنستاسيوس الاقتصادية • يعود الى حسن اختياره للرجال الذين عاونوه ، وعلى رأسهم مارينوس السريانى Marinus the Syrian ، الذى لعب دورا مهما فى الاصلاحات المالية فى عهد أنستاسيوس • وكان مارينوس من أعظم المستشارين الذين وضع أنستاسيوس ثقته فيهم طوال فترة حكمه • وأثبت أنه رجل قدير ، ولاسيما أنه تدرج فى سلك الوظائف الاقتصـــادية من بداية السلم الوظيفى الى نهايته (١٢٦) •

---

(١٢٣) *Procopius*, Wars, 3, pp. 75-77; *Martroye*, Op. cit., pp. 209-210; *Vasiliev*, Justin, pp. 338-339.

(١٢٤) *John Lydus*, De Magistratibus, p. 244; Tsirpanlis, «John Lydus on the Imperial Administration», Byzantion, 44, (Bruxelles, 1974), pp. 479-480.

(١٢٥) Procopius, The Secret History, p. 137.

(١٢٦) *John Lydus*, Op. cit., p. 242; *Malalas*, Op. cit., p. 400; *Bury*, Op. cit., p. 443; *Stein*, Op. cit. II, p. 194; *Jones*, Later Roman Empire, I, p. 235

بدأ أنستاسيوس اصلاحاته الاقتصادية بالغاء « ضريبة التجارة Chrysargyron » وذلك سنة ٤٩٨ (١٢٧) بهدف تخفيف الأعباء الاقتصادية الثقيلة عن السواد الأعظم للشعب ، بالرغم من أن الدولة كانت فى ذلك الحين فى أمس الحاجة للأموال التى تدخل الخزانة من هذه الضريبة . بيد أنه تمكن بأساليب اقتصادية أخرى من تعويض العجز الناتج عن الغاء هذه الضريبة (١٢٨) . وترجع هذه الضريبة الى القرن الرابع الميلادى حيث فرضها الامبراطور قنسطنطين (١٢٩) . وكانت تجبى كل أربع أو خمس سنوات من كل أصحاب الحرف والمهن فى الامبراطورية ، ومن الخدم والشحاذين ، والمنحرفين ، وعن المواشى ، والدواب والخيول ، والحمير والبغال ، والكلاب ، وعانت الطبقات الفقيرة بصفة خاصة من عبء هذه الضريبة (١٣٠) . ومن الناحية الرسمية كانت تجبى مرة واحدة كل خمس سنوات . بيد أنه من الناحية الواقعية نجد أن تحديد جمعها كان متروكا لتحكم الجهاز الادارى . ووصل الأمر أن شعر السكان باليأس نتيجة لتكرار جمعها . فمن أجل تدبير المال اضطر الكثيرون من الآباء الى بيع أولادهم فى أسواق الرقيق ، وبناتهم للقائمين على الدعارة ، هذا فى الوقت الذى أعفى منها كبار رجال الدين التابعين للمذهب الارثوذكسى ، والمحاربين المتقاعدين ، الذين يمارسون الأعمال التجارية الصغيرة (١٣١) .

ولكى يزيل الامبراطور أنستاسيوس كل آثار هذه الضريبة البغيضة ، فانه جمع كل سجلاتها من الأقاليم ، وفى وسط ميدان سباق الخيل أقام احتفالا باحراقها أمام الشعب ، معلنا بذلك نهاية ، لارجعة فيها ، لهذه الضريبة التعسفية (١٣٢) . ويحق لنا أن نتصور المبالغ

---

(١٢٧) *Joshua*, Op. cit., p. 22; *Theodore Lector*, Op. cit., Col. 210; *Malalas*, Op. cit., p. 398; *Evagrius*, Op. cit., p. 384.

(١٢٨) تم تعويض النقص فى دخل الدولة من جراء الغاء هذه الضريبة من مساهمة مالية معادلة من دخل الممتلكات التابعة للامبراطور . وبيد أن الضياع التابعة للامبراطور زادت الى حد كبير فى عهد أنستاسيوس . وفى الدرجة الأولى من مصادرات ممتلكات زينون والأيسوريين ، والغاء الاعانة التى كان قد قررها زينون للأيسوريين ، انظر : Bury, Op. cit., p. 442.

(١٢٩) *Lebeau*, Op. cit,. p. 247; *Vasiliev*, Byzantine Empire, 1, p. 112.

(١٣٠) *Cedrenus*, Op. cit., I. pp .626-627; *Hodgkin*, Op. cit., 3, pp. 383-384; *Vasiliev*, Op. cit,. p. 112.

(١٣١) *Holmes*, Op. cit., I, p. 155.

(١٣٢) *Evagrius*, Op. cit., p. 347; *Holmes*, Op. cit., I., p. 156, *Vasiliev*, Op. cit., I, p. 112.

الضخمة التى كانت تدخل خزانة الدولة من هذه الضريبة ، اذا ما عرفنا أن مدينة الرها وحدها كانت تدفع كل أربع سنوات مبلغا قدره مائة وأربعين رطلا من الذهب (١٣٣) · ولا شك أن الشعب فى أنحاء الامبراطورية ، ابتهج لالغاء هذه الضريبة ، كما عبر عن ذلك مؤرخ معاصر (١٣٤) · ولاريب أيضا أن الكنيسة شعرت بالرضا لأنها الغت ما كان يحصل من المنحرفات اللاتى حصلن على الحق الضمنى من الناحية القانونية فى ممارسة الرذيلة دون عقاب ، لأن هذه الضريبة كانت تشملهم (١٣٥) ·

وعمل أنستاسيوس على زيادة دخل الدولة عن طريق التوسع فى تحويل ضريبة القمح annona الى ضريبة نقدية ، ولذلك سميت « ضريبة الذهب » أو الضريبة التى كانت تدفع ذهبا بدلا من ان تدفع عينية · ومن الواضح أنها ضريبة تتعلق بالأرض · وكان الهدف الأساسى منها اعانة الجيش · بيد أن هذه الضريبة كانت عبئا ثقيلا على الطبقات الفقيرة ، حتى بدا أن كل الاصلاح المالى يأخذ نظرة عملية تنظيم الأعباء الضريبية أكثر من انقاصها بشكل واقعى (١٣٦) ·

على أن أكثر الاصلاحات المالية أهمية ، بناء على نصيحة مارينوس السريانى ، والذى كان يشغل فى ذلك الحين وظيفة « رئيس حكام الأقاليم » Pratorian Prefect ، هو الغاء النظام الذى بمقتضاه كانت المجالس المحلية بالمدن Curiae تقوم بجمع الضرائب ، وكلف أنستاسيوس موظفين عرفوا باسم « المطالبون بحقوق الدولة » Vindices لتحمل هذه المسئولية وهم الذين كانوا مسئولين مباشرة أمام رئيس حكام الأقاليم · وقد أدى هذا الأسلوب الاقتصادى الى زيادة كبيرة فى الدخل الحكومى (١٣٧) ويبدو أن مشكلة الأراضى المجدبة ، على عهد أنستاسيوس،

---

(١٣٣) *Joshua*, Op. cit., p. 22; p. 22; ***Vasiliev***, Op. cit., I, p. 112.

(١٣٤) ابتهجت مدينة الرها لالغاء هذه الضريبة ، وأقيمت الأفراح والأعياد ، وارتدى الجميع الثياب البيضاء ، وحملوا الشموع الطويلة ، والمباخر ، وطافوا باكبر الكنائس بالمدينة ، وظلت الاحتفالات لمدة أسبوع · وأصبح تاريخ الغاء هذه الضريبة ذكرى سنوية تحتفل بها المدينة كل عام ، انظر :

Joshua, Op. cit., pp. 22.

(١٣٥) *Evagrius*, Op. cit., pp. 377-378.

(١٣٦) *Evagrius*, Op. cit., p. 384; *Holmes* Op. cit., I, pp. 158-159; *Bury*, Op. cit., p. 444; ***Vasiliev***, Byzantine Empire, I., p. 113.

(١٣٧) *John Lydus*, Op. cit., p. 242 ; Holmes, Op. cit., p. 157; ***Vasiliev***, Byzantine Empire, 1, p. 113.

أصبحت أشد خطورة عن ذى قبل ، فوقع عبء الضرائب الاضافية ، على أناس غير قادرين على السداد مثلما وقع على الأراضى غير المنتجة ، لذلك أصبح ملاك الأراضى المنتجة مسئولين عن الدفع الكامل للضريبة الحكومية. وهذه القيمة الضريبية الاضافية عرفت باللغة اليونانية باسم «Epibole» وهى تعنى « الزيادة » ضريبة اضافية (١٣٨) .

ومن أجل التخفيف عن الطبقات الفقيرة ، وعدم استغلال التجار لهم، تابع أنستاسيوس بشدة عملية البيع الاجبارى للمواد الغذائية بسعر منخفض ، تحدده الدولة ، وهو ما عرف باسم Coemptio (١٣٩) . كما أصدر الامبراطور أنستاسيوس مرسوما ينص على أن المزارع الأجير الذى عاش فى نفس المكان لمدة ثلاثين عاما يصبح قنا Colonus ، ومرتبطا بالأرض ، بيد أنه لايفقد حريته الشخصية وحق التملك (١٤٠)

ولقد رحبت الطبقات الفقيرة فى الامبراطورية ، لاصداره عملة برونزية ، أطلق عليها follis بفئاتها الصغيرة ، لأن العملة النحاسية صارت نادرة التداول ، ورديئة فى نرعها ، ومجهولة القيمة . بيد أن أنستاسيوس ربط العملة الجديدة بالنقد الذهبى (١٤١) .

هكذا كانت أحوال الامبراطورية قبيل عصر جوستنيان ، والذى استطاع بثاقب بصره وبصيرته ، أن يدعم أركان الامبراطورية الرومانية ، عن طريق اعادة بناء الكيان العام للدولة فى الداخل ، بما أصدره من تشريعات تناولت شتى نواحى الحياة ، والذى تمكن من اعادة أمجاد الرومان باسترداد الأراضى السليبة فى الغرب ، والذى أعاد الاتحاد مع الكنيسة فى روما بعد الانشقاق والذى وحد قوانين الامبراطورية ، بعد أن تضاربت الآراء لتعدد التشريعات . والذى تصدى لأعداء الامبراطورية بالشرق دفاعا عن حدودها ، حتى يتفرغ لاستعادة ما فقدته الامبراطورية بالغرب . والذى كان جوهر سياسته « اقامة امبراطورية واحدة ، بقانون واحد ، وبكنيسة واحدة ، تحت رياسته » .

---

(١٣٨) Bury, Op. cit., p. 444; *Stein*, Op. cit., II, p 209; *Vasiliev*, Op. cit., I, p. 113.

(١٣٩) *Stein*, Op. cit., pp. 200-201.
و د. السيد الباز العرينى ، الامبراطورية البيزنطية ص ٦٠ .

(١٤٠) *Vasiliev*, Byzantnie Empire, 1, p. 113; *Stein*, Op. cit., p. 208.
و د. السيد الباز العرينى ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦١ .

(١٤١) *Bury*, Op. cit., p. 446-7; *Vasiliev*, Op. cit., I, p. 113.
و د. السيد الباز العرينى ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦٠ .

جوستنيان والامبراطورية العالمية

أسرة جوستنيان ونشأته الأولى ـ حضور جوستين الى القسطنطينية حضور جوستنيان الى العاصمة ـ اعتلاء جوستين للعرش ـ جوستنيان فى عهد خاله ـ جوستنيان الامبراطور ـ جوستنيان وثيودورا ـ الخلفية الأيديولوجية لسلطة جوستنيان ـ جوستنيان ونظرية المشيئة الالهية ـ ايمان جوستنيان الشديد بفكرة الامبراطورية العالمية .

دفع الفقر المدقع والحرمان الشـديد المزارع جوسـتين ، وهو فى العشرين من عمره ، الى ترك بلدته بيديريانا Bederiana باقليم الليريا Illyricum فى صحبة اثنين من أصدقائه ، والذهاب سيرا على الاقدام الى القسطنطينية لتحقيق حياة أفضل . وتحقق أمل جوستين بالعمل ضمن قوات الحرس الامبراطورى سنة ٤٧٠ . (١) وذلك فى وقت انشـــاء الامبراطور لقوة جديدة لحراسة القصر تحت اسم Excubitors لتكون عاملا لقيام توازن بعد أن ازداد نفوذ الجرمان . وتكونت هذه القـــوة الجديدة من سكان أقاليم مختلفة فى الامبراطورية شريطة أن يكون الجندى

(١) *Procopius*, The secret History, p. 68; *Bury*, Later Roman Empire, 2, pp. 18-19; *Diehl*, *Justinien*, p. S.; Holmes Op. cit., I p. 300; *Stein*, Op. cit., p. 221; *Vasiliev*, Justin the First, (Cambridge, 1950). p. 63.

وذكر زوناراس أن جوستين كان يعمل مزارعا أو راعيا للبقر والخنازير ، انظر : Zonaras, Epitom e Historiarum, 3, p. 144.

المنضم اليها يتمتع بقوة بدنية فائقة (٢) . ويبدو أن هجرة الشباب من أمثال جوستين وتركهم موطنهم الأصلى ، انما يرجع للخراب الشديد الذى أحاق بأقليمهم على أيدى جيش أتيلا Attila سنة ٤٤٧ ، بعد عبوره نهر الدانوب ، الامر الذى أجبر حاكم الاقليم فى ذلك الحين على نقل محل اقامته الى مدينة ثيسالونيك Thessalonique كما ذكر جوستنيان فى احدى (نوفلاته) (٣) . ولم تكتب السلامة بعد ذلك لهذا الاقليم ، اذ لم يكد يفق من هجوم أتيلا الوحشى ، حتى أكمل القوط الشرقيون على البقية الباقية من مظاهر الحياة به ، وذلك ابان اختلافهم مع ليو الأول ، الى أن اضطر الى عقد سلام معهم سنة ٤٦١ ، بعد أن تركوا اقليم الليريا ، وهو فى حالة يرثى لها ، لذلك كان طبيعيا أن يغادر — من بقى على قيد الحياة — السكان اقليمهم للحصول على حياة أفضل فى العاصمة (٤) .

على أية حال ، ظل جوستين يعمل فى الحرس الامبراطورى ضمن قوات Excubitors حتى اعتلائه للعرش . وبالرغم من عدم توافر مادة علمية تاريخية عن جوستين فى عهد زينون ، فأنه ظهر على مسرح الأحداث التاريخية فى عهد أنستاسيوس فى أكثر من موقف : فاشترك جوستين ، تحت قيادة حنا الأحدب ، فى القضاء على الأيسوريين ، فى آسيا الصغرى (٥) . وبعد انتهاء الحرب الأيسورية اشترك جوستين فى الحرب الفارسية ، فى عهد أنستاسيوس ابان محاولة استرداد مدينة آمد ، وفى مهاجمة الأراضى الفارسية متعاونا مع القائد كيلير Celer ، ولعب دورا مهما فى انهاء هذه الحرب ، وفى التوصيل الى سلام مع الفرس (٦) .

---

(٢) *Vasiliev*, Justin, p 64.

وكانت قوات حرس القصر فى ذلك الحين تتكون من الجماعات التالية : Sholanians وهم مسلحون بالدروع الذهبية والرماح والخوذات الذهبية التى تعلوها حلية من الريش الأحمر ، ثم جماعة Excubitors ، وهم الذين تميزوا بالقوة البدنية والمقدرة القتالية العالية ويحملون قئوسا ذات حدين ، وجماعة Candidates وهى قوات كانت ترتدى الملابس البيضاء المحلاة بالذهب ويحملون سيوفا طويلة ، انظر :
MaCabe, Op. cit., p. 5.

(٣) *Les Novelles* de L'Empereur Justinien, tradites en francais par B. Berengev fils de Valesced (Drôme), Tome Premier, (Paris, 1811), Novelle, XI, p. 108.

(٤) *Vasiliev*, Op. cit., p. 64.

(٥) *Procopuis*, The Secret History, p. 68; *Holmes*, Op. cit., p. 300; *Stein*, Op. cit., p. 221; Vasiliev, Op. cit., p. 66.

(٦) *Joshua*, Op. cit., p. 65; *Procopius*, Wars, I, p. 61, II, p. 387; **Holmes**, Op. cit., 1., p. 301; *Stein*, Op. cit., II, p. 221; *Vasiliev*, **Justin**, p. 67.

على أن مقدرة جوستين الحربية ظهرت فى التصدى لهجوم فيتاليان vitalian الذى أعلن الثورة على الامبراطور انستاسيوس (٧) ونتيجة لما حققه جوستين من نجاح واخلاص للامبراطور أنستاسيوس فقد تدرج سلم الترقية حتى وصل الى منصب قائد الحرس الامبراطورى لفريق Excubitors وبمعنى آخر أنه أصبح فى عهد انستاسيوس قائدا للقوات التى بدأ حياته بها مجرد جندى عادى ، ويضاف الى ذلك أنه تمتع بعضوية مجلس الشيوخ ، كما حصل على لقب بطريق » (٨) ٠

وعلى ضوء تحسن أحوال جوستين الاقتصادية ، وما حققه من نجاح فى القسطنطينية ، فانه لم ينس شقيقته الوحيدة ، التى كانت فى بلدة توريزيوم Tauresium القريبة من بلدته ، لذلك طلب منها الحضور الى القسطنطينية ، ومعها صغيرها بطرس ساباتيوس Petrus Sabbatius وابنتها فيجيلانتيا Vigilantia وتبنى جوستين ابن شقيقته ، وحمل الصبى اسم التبنى « جوستنيان » ، واعتنى جوستين به عناية فائقة ، وعلمه أحسن تعليم (٩) ٠

ويبدو أن عدم انجاب جوستين كان أحد العوامل الرئيسية فى تبنيه لابن شقيقته ، اذ ان جوستين كان متزوجا من جاريته لوبيكينا Lupicina والتى تغير اسمها الى أيو فيماى Euphemia على أثر اعتلائه للعرش (١٠) ٠

استطاع جوستين السيطرة على كرسى العرش فى الامبراطورية فور وفاة الامبراطور أنستاسيوس فى التاسع من يوليو سنة ٥١٨ ، دون عقب (١١) ٠ فبالرغم من عدم وجود امبراطورة تساعد على تحديد شخص

---

(٧) *Procopius*, The secret History, p. 68; *Holmes*, op. cit., I, p. 301;
Bury, Later Roman Empire, 2, p. 19; *Stein* , Op. cit., p. 221.

(٨) *Theodore Lector*, Op. cit., Col. 203; *Chronicon Paschale*, p. 611;
Cederenus, Op. cit., II, p. 19; *Vusiliev*, Op. cit., p. 67.

(٩) *Procopius*, Buildings. p. 224, *Lebeau Historie du Bas-Empire*, 8 p. 87; *Diehl*, Justinien, pp. 5-6; *Holmes*, Op. cit., I. p. 87;
Diehl, Justinien, pp. 5-6; *Holmes*, Op. cti., I. p. 303; *Walton*, Historical In troduction to the Roman Law, pp. 297-298.

(١٠) *Theodore Lector*, Op. cit., Col. 203; *Procopius*, The secret History, p. 70; *Victor Jonnenensis*, Chronicon, Col. 952; Theophanes, Op. cit., I, p. 254; *Zonaras*, Op. cit., 3, p. 146, Lebeau, Op. cit., 8, pp. 10-11; *Holmes*, Op. cit., I, p. 301; *Bury*, Op. cit., II, p .19; *Vasiliev*, Justin, pp. 60-61.

(١١) كان هناك العديد من الشخصيات المشهورة من أقارب أنستاسيوس والذين كان لهم نفوذ كبير ، انظر ٠
Procopius, Wars, I, p. 83; *Evagrius*, Op. cit., p. 387.

الامبراطور الجديد ، كما فعلت أريادن ، التى توفيت قبـــل زوجهـــا أنستاسيوس بثلاث سنوات ، أو وجود قيصر ليتولى العرش بطريقة تلقائية، فان الموقف انتهى لصالح جوستين ٠

ففي ميدان سباق الخيل ــ وهو المكان الذى اعتاد شعب القسطنطينية على التجمع فيه للتعبير عن آرائهم بحرية تامة ــ اجتمع الشعب لمعـــرفة الامبراطور الجديد ٠ هذا في الوقت الذى رشحت فيه قوات الحرس التى يرأسها جوستين الضابط حنا John الذى كان يعمل ضـــمن قوات الحرس بالقصر ، وأحد أصدقاء جوستين ، بيد أن فريق الزرق اعترض عليه ، ورشقوه بالحجارة ٠ وأدت هذه الحادثة الى مقتل البعض ٠ وفى الوقت نفسه رشحت الجماهير جوستنيان لتولى الامبراطورية ، بيد أنه رفض ذلك العرض (١٢) ٠ ومن المحتمل أن رفض جوستنيان لهذا العرض مرجعه أنه كان على علم بما يدور في مخيلة خالة ووالده بالتبنى من مخططات (١٣) ٠ وبخاصة أن وجود جوستنيان في هـــذا الوقت بالذات في ميدان سباق الخيل ، وترشيح الشعب له لدليل على قوته وشعبيته ، وأن وجوده في ميدان سباق الخيل كان جزءا متمما لخطة خاله ، وكاجراء حيوى وتمهيدى لنجاح الخطة ٠

على أن الجماهير التى كانت خالية الذهن عمـــا يدور فى مخيلة جوستين ــ وربما جوستنيان ــ طالبت جوستنيان باعتلاء العرش ٠ هذا فى الوقت الذى رفض فيـــه ذلك العرض مبرهنا على حكمته ، ورويتـه وتبصره بالأمور ، وشعوره بالوفاء نحو خاله وولى نعمته ٠

على أية حال ، فقد امتلك جوستين كل عناصر النجاح : فالذهب الذى تحت يديه ، وزعه على كبار رجال القصر ، وأعضاء مجلس الشيوخ، الذين أعلنوا ترشيح جوستين ، وأيدهم فى ذلك كبار رجـــال الدولة ،

---

(١٢) *Manojlovic*, «Le Peuple de Conslanlinople», Byzontion XI ,(Bruxelles, 1936), pp. 691-692; *Cameron*, Circus Factions (Oxford, 1976), pp. 263-264.

(١٣) فور وفاة انستاسيوس سلم الخصى امانتيوس Amantius الحاجب بالقصر ، الى جوستين مبلغا كبيرا من المال لتوزيعه على كبار القادة والشخصيات التى لها المقـدرة على مساعدة ثيوكريتوس Theocritius لاعتلاء العرش ، وهو أحـــد اتباع امانتيوس وصنائعه ، وحتى يكون تحت سيطرته فى حالة نجاح الخطة ، لاستحالة اعتلاء امانتيـوس للعرش لانه لا يجوز أن يتولى الامبراطورية أحد الخصيان ، بيد أن جوستين استغل الموقف لصالحه شخصيا ، انظر :

Zachariah Op. cit., p. 190, *Evagrius*, Op. cit., pp. 387-8; *Chronicon Puschale*, Op. cit., pp. 611-612; *Malalas*, Op. cit., pp. 410-411; *Zonaras*, Op. cit., pp. 144-145; *Lebeau*, Op. cit., pp. 6-7.

والبطريرك حنا John ، ثم ذهبوا الى ميدان سباق الخيــل حيث عبر الشعب عن موافقته بهتافات التأييد ، وجرت مراسيم التعيين ، بعد أن قدم اليه موظفو القصر الزى الامبراطورى ، وألبســـه البطريرك حنا التاج الامبراطورى وظهر جوستين لأول مرة بالزى الرسمى فى المقصورة Kathisma بميدان سباق الخيل (١٤) .

وعبر جوستين عن مساعدة رجال القصر ، ومجلس الشيوخ له ، فى الوصول الى العرش فى الرســـالة الأولى الى البـــابا هورميزداس Hormisdas بعد ثلاثة أسابيع فقط (أول أغسطس سنة ٥١٨) ، من اعتلائه للعرش حيث قال : « بنعمـــة الثالوث الأقدس ، تــوليت الامبراطورية ، بأختيار كبار رجال قصرنا المقدس ، ومجلس الشيوخ ، ثم بموافقة وتأييد الجيش » (١٥) .

كان على جوستين أن يوطد دعائم حكمه ، لذلك وجد من صالحه تنحية كل أقارب أنستاسيوس عن وظائفهم ، برغم كثرة عددهم (١٦) . وعاقب الضابط حنا الذى راودته الرغبة فى اعتلاء العرش قبل انتهاء مجلس الشيوخ من اعلان جوستين ، وذلك باجباره على الانخـــراط فى السلك الكهنوتى (١٧) . وهى عقوبة مخففة درج عليهـــا أباطرة بيزنطة ضد الشخصيات المهمة فى الدولة ، كما بادر جوســـتين بالتخلص من أمانتيوس وجماعته بالقتل (١٨) .

غير أن جوستين كان قد ناهز السادسة والستين عند اعتـــلائه للعرش ، كما كان أميا ، ولا يتقن سوى المسائل العسكرية فحسب (١٩) لذلك كان طبيعيا أن يتولى أبنه (بالتبنى) جوستنيان – الذى كان فى

---

(١٤) *Bury*, Op. cit., II, p. 17; *Vasiliev*, Justin, pp. 71-72.

(١٥) Corpus Scripotrum Excelesiasticorum Latinorum Vol. XXXV, Coll, Avell., No. 141, p. 586; *Bury*, Op. cit., p. 18; *Vasiliev*, *Justin the First* p. 80.

(١٦) *Procopius*, wars, I, p. 83.

(١٧) *Victor Tonnenesis*, Op. cit., Col. 952.

(١٨) *Procopius*, The secret History, p. 71, *Marcellinus Comes*. Op. cit., col. 940; *Zachariah*, Op. cit., 189; *Victor Ionnensis* ; Op. cit., Col. 952; *Evagrius*, Op. cit., p. 388.

والجدير بالذكر أن بروكوبيوس حمل جوستنيان مسئولية حكم الامبراطورية فى عهد خاله وأنه يعتبر جوستنيان الحاكم الحقيقى للامبراطورية ، منذ اللحظة الأولى التى اعتلى فيها خاله جوستين العرش وهى الفكرة التى أكد عليها بروكوبيوس مرارا فى كل أعماله .

(١٩) *Procopius*, The secret History, p. 69; *Malalas*, Op. cit. p. 412; *Chronicon Paschale*, p. 617; *Lebeau*, Op. cit., 8, p. 8.

الخامسة والثلاثين من عمره – أمور الدولة منذ البداية ، نيــابة عــن جوستين (٢٠) • وبخاصة أنه كان مؤهلا لهذا العمل الشاق ، ولعل خير تعبير عن قدراته فى ادارة شئون الدولة ، ما كتبه عنـــه مؤرخ عصره ، « أنه كان بكل صدق امبراطورا بالطبيعة والوراثة » (٢١) •

والواقع أن جوستنيان من الناحية العملية كان المسئول الأول عن أمور الدولة سواء فى الداخل أو فى الخارج ، منذ اعتلاء خاله للعرش وهو ما سيظهر فى موضوع البحث ، حتى أنه يمكن القــول أن عصر جوستنيان من الناحية الواقعية يبدأ منذ سنة ٥١٨ ، برغم أن جوستنيان ظل وفيا لخاله ، وقبل مبدأ صعود السلم الوظيفى فى الدولة تدريجيا، وربما كان ذلك عن رغبة ورضا حتى يزداد حنكة ودراية بمجريات كل الأمور •

فقبل اعتلاء خاله للعرش ، كان جوستنيان ، يعمل ضمن الحرس الشخصى للامبراطور أنستاسيوس ، وهى القوات المعــروفة باسـم Candidati (٢٢) • وما أن اعتلى خاله العرش حتى تولى جوستنيان وظيفة قائد قوات الحرس الامبراطورى وهى وظيفة Count of Domestics ثم صار قائدا عاما للجيش سنة ٥١٩ (٢٤) • وتمكن جوستنيان من التصدى لرغبة فيتاليان فى اعتلاء العرش ، بعد أن صار خطرا شديدا على الدولة ، اذ كان قنصلا عاما سنة ٥٢٠ ، وقائدا كبيرا لاحدى فــرق الجيش (٢٥) • وفيتاليان هذا هو الذى أثارت طموحاته الكبيرة العـديد من المتاعب لفترة طويلة من عهد الامبراطور أنستاسيوس •

على أن جوستنيان اســتطاع أن يكسب الى صــفه فريق الزرق

---

(٢٠) Procopius, The Secret History, p. 70; Ibid, Buildings, p. 39.

(٢١) *Procopius*, Buildings, p. 9.

(٢٢) *Victor Tonenesis*, Op. cit., Col. 952.

(٢٣) Corpus Scriptorum Ecclesidasticorum Latniorum, Vol. XXXV, p. 614; *Bury*, Op. cit., p. 21, *Vasiliev*, Justin, p. 93.

(٢٤) *Victor Tonenesis*, Op. cit., Col. 952; *Bury*, Op. cit., II, p. 21; *Vasiliev*, Justin, p. 93.

(٢٥) *Procopius*, The Secret History, p. 71; *Zachariah* Op. cit., 8 ; pp. 20-21.

بالسـيرك عندما تولى القنصلية (٢٦) فى العام التالى على مقتل فيتاليان ٥٢١ م) ، حيث وزع مائتين وثمانيـة وثمـانين ألف صـوليدى Solidi واشترى للعروض المسلية عشرين أسدا وثلاثين نمرا ، وبعض الحيوانات الأخرى هذا بالاضافة الى الكثير من الخيول المزينـة للمتسابقين (٢٧) ٠

ظل جوستنيان يدبر شئون الدولة ، وحاول رجال مجلس السناتو سواء من تلقاء أنفسهم ، أو بناء على ايحاء من جوستنيان ـ الحصول على موافقة جوستين بمشاركة جوستنيان الرسمية له فى عرش الامبراطورية بيد أن جوستين بدافع الحرص على السلطة وبرغم أنه كان شيخا هرما ـ أمسك بزيه الارجوانى قائلا « حذار من أن يحاول أى شاب ارتداء هذا الثوب » (٢٨) ٠ ولاشك أن فى هذا القول اشارة الى ما فى نفس جوستين من حسد وغيرة تجاه ابن شقيقته وابنه بالتبنى ، لما لمسه من سـيطرة جوستنيان الفعلية على الدولة ٠

على أن فشل مجلس الشيوخ فى هذه المرة تلاه نجاح فى محاولته الثانية مع جوستين ، حيث أنعم جوستين على جوسـتينان بلقب قيصر سنة ٥٢٥ م (٢٩) وهذا يعنى أن جوستنيان أصبح بطريقة تلقائية وليا للعرش ، وخليفة لخاله فى حالة وفاته من الناحية المتعارف عليها فى الامبراطورية ٠

ولما مرض جوستين مرضا أقعده عن المشى ، اذ كان هذا المرض فى قدمه نتيجة لجرح قديم ، وكان قد بلغ السابعة والسبعين ، لذلك وافق فى هذه المرة على التماس رجال مجلس الشيوخ ، بأن تتم مراسيم تتويج جوستنيان كشريك له فى الحكم ، وجرت مراسيم التتويج فى غيبـة

---

(٢٦) مرتبة القنصل كانت موجودة فى روما الوثنية ٠ وكان بروتوس Brutus هو أول قنصل ٠ ومنذ عصر الامبراطور قنسطنطين ظلت القنصلية أعلى مرتبة فى الدولة ٠ غير أنها تحولت الى وظيفة شرفية ٠ والواقع أن هناك استحالة فى وجود القنصلية مع الملكية المطلقة ٠ بيد ان جوستنيان تمكن فى عصره من تحويلها الى عملية صورية ، فى ضـوء حكومته المقدسة الرامية الى الصالح العام ، ومحبة الانسانية والعمل على استعادة أمجاد الامبراطورية ، انظر :

C.N. Tsipranlis, «John Lydors on the Imperial Administration», Byzantion, Tome XLIV, (Bruxelles, 1974), pp. 499-500.

(٢٧) *Marcellinus Comes*, Op. cit., Col. 940; *Bury*, Op. cit., II ,p. 21; *Lebeau*, Op. cit., 8, p. 24.

(٢٨) *Zonaras*, Op. cit., p. 150; *Holmes*, Op. cit., II, p. 304.

(٢٩) *Marcellinus Comes*, Op .cit., Col. 941 ; *Victor Tonenensis*, Op. ct., Col. 953; *Michel Le Syrien*, Op. cit., II, p. 189.

جوستين ، وفى احدى قاعات القصر الامبراطورى ، وبحضور أعضاء مجلس الشيوخ ، والموظفين الكبار بالدولة ، والحرس الامبراطورى ، وممثلين عن الجيش ، ووضع البطريرك ابيفانيوس Epiphanius التاج على رأس جوستنيان · وجرت باقى الاجراءات المتبعة فى هذا المقام ، فيما عدا أنه تم بقاعات القصر ، وليس فى ميدان سباق الخيل ، كما جرت العادة ، وذلك فى الرابع من أبريل سنة ٥٢٧ (٣٠) وكان جوستين فى ذلك الحين ، قد بلغ حد الخرف ، حتى أصبح موضع سخرية شعبه ، وكان الجميع ينظرون اليه بازدراء لجهله بما يدور حوله ، ولذلك أسقط من كل الحسابات ، هذا فى الوقت الذى كان فيه جوستنيان محاطا بالتودد والتملق والرهبة (٣١) ·

ويبدو أن جوستين لم يشف من مرضه ، وظل ملازما للفراش ، لانه توفى بعد ذلك التاريخ بأربعة أشهر تاركا العرش بشكل طبيعى للامبراطور جوستنيان (٣٢) ·

أدرك بروكوبيوس ، مؤرخ العصر والقصر ، عبقرية جوستنيان ، وروعة الانجازات التى تمت فى عهده وسجلها فى مقدمة كتابه « عن

---

(٣٠) *Evagrius*, Op. cit., p. 393; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 320. *Bury*, Op. Cit., II, p. 22 ; *Vasiliev*, Justin, p. 96.

(٣١) Procopius. The Secret History pp. 88-89.

(٣٢) *Zonaras*, Op. Cit., p. 151; *Walton*, Op. Cit., pp. 297-298; *Stein*, Op. Cit., p. 275.

قدم بروكوبيوس بعض الملامح عن شخصية جوستنيان ، فذكر أنه كان متوسط الطول ، مستدير الوجه ، بشوشا ، ولا تفارقه الابتسامة ، كثير الصيام ، وأحيانا يصوم لمدة يومين متتاليين ، وخلال الأيام التى تسبق صيام عيد الفصح ، يعد نفسه بطريقة محددة وتجرى على وتيرة واحدة ، وقاسية ولا تتناسب مع شخصية امبراطور ، اذ اعتاد أن يستيقظ فى الصباح الباكر بصفة منتظمة ، ليرعى شئون الدولة ، ويظل يعمل حتى منتصف الليل · واذا ما ذهب الى الفراش فى وقت متأخر ، فانه كان يستيقظ على الفور كأنه لم يحتمل البقاء فى الفراش · وكانت عقليته من النوع الذى يهتم بالتفاصيل الدقيقة ، فى الوقت الذى كان فيه قادرا على معالجة الأمور الكبرى · ولم يسمح لنفسه بالانغماس فى الملذات أو تعاطى الخمور ، وعاش حياة التقشف والزهد · ولم يحدث على الاطلاق أن تناول وجبة طعام كاملة ، وانما يكتفى بتذوق الأطعمة التى يحبها · واعتاد تناول الأعشاب البرية المنقوعة فى الملح والخل · وهو شرابه الوحيد · كما كان من عادته التجول ليلا فى أنحاء القصر حتى الساعات المتأخرة من الليل · ولذلك أطلق عليه رجال القصر « الامبراطور الذى لا ينام » · انظر :

Procopius, The secret History, P. 78, 104, 109; *Ibid*, Buildings pp. 67-68; *Diehl*, Justinien, pp. 14-17; *Holmes*, Op. cit., II, pp. 365-367; *Bury*, Op. Cit, II, p. 25.

الانشاءات » ملخصا جهوده ، فى تحـــويل الدولة من حـــالة الفوضى والاضطراب ، الى الأمن والسلام ، وأنه تمكن رد كيد القبائل الجرمانية، وأضاف ممالك جديدة للسيادة الرومانية ، وشيد العديد من المـــدن الجديدة ، وبذل جهودا كبيرة فى تدعيم أركان الايمان الحقيقى ، وعالج الغموض والصعاب التى اكتنفت القوانين ، وسد الثغرات التى كانت تحدث للتحايل على القوانين ، وأقام التحصينات القوية التى شـــكلت سورا قويا حول كل حدود الامبراطورية زادت اكثر من الضـــعف فى عهده (٣٣) .

والواقع أن جوستنيان كان عظيما ، كما أحسن الاختيار عنـــدما تزوج من ثيودورا (٣٤) التى شاركته ، عن مقدرة ، هذه العظمة والتى لم تكن مجرد زوجة بل شريكا وتلمس منها جوستنيان الكثير من الذكاء والارتفاع الى مستوى المسئولية فى البت فى الامور ، انها الامبراطورة ثيودورا زوجة جوستنيان .

على ضوء مقدرته الفائقة فى تسخير من يرغب التعامل معهم ، حالف التوفيق جوستنيان سنة ٥٢٢ ، عندما شاهد ثيودورا Theodara لأول مرة بالقسطنطينية حيث كانت تعيش على ثمرة جهدها من الغزل والنسيج فى منزل متواضع (٣٥) . والواقع أن جوستنيان أحبها لقوة شخصيتها وجمالها ، فكانت جميلة الوجه ، وجذابة المظهر ، قصـــيرة القامة ، قوية النظرات ، وكانت فى عينى جوستنيان » أجمل امرأة فى العالم » (٣٦) . وتمكن جوستنيان من اجبار خاله على اصدار قانون سنة ٥٢٤ يسمح لعضو مجلس الشيوخ بالزواج من المحظية ، حتى يتمسكن بدوره من الزواج من ثيودورا ، اذ كان ذلك أمرا ممنوعا بالقـــانون . وبذلك أتاح جوستنيان الفرصة لكل شخص أن يتزوج من خليلته (٣٧) .

---

(٣٣) Procopius, Buildings, pp. 5-9.

(٣٤) عانت ثيوورا الكثير منذ طفولتها لوفاة والدها ، وهى فى الخامسة ، وقاست والدتها شظف العيش فى تربية ثيودورا واختها الكبرى كوميتو Comito واختها الصغرى انستاسيا Anastasia ، وعملت ثيودورا بالمسرح . واذا سلمنا بما قاله عنها بروكوبيوس فى تاريخه السرى ، فانها ، بدافع الحاجة سلكت ، الى حين ، الطريق المنحرف ، وزارت الاسكندرية ، وبعض مدن الشرق ، الى أن استقر بها المقام بالقسطنطينية ، انظر :
Procopius, The Secret History, pp. 82-86.

(٣٥) *Vasiliev*, Justin the First., p. 98.

(٣٦) *Procopius*, The Secret History, p. 86.

(٣٧) *Procopius*, The Secret History, p. 88; *Vasiliev*, *Justin*, p. 395.

ويبدو أن ذكاء ثيودورا ، ومقدرتها على تقدير عواقب الامور كانت من بين الأسباب التى جعلت جوستنيان ، وبصفة رسمية أكثر من مرة يعلن أنه يستشيرها فى الأمر ، فوصفها بانها الزوجة التقية ، والمبجلة ، وتكرر ذلك فى قوانينه الجديدة (٣٨) . ولعل ذلك ما دفع المؤرخ زوناراس الى القول بانه ، « فى عصر جوستنيان لم تكن هناك حكومة ملكية ، وانما حكم ثنائى ، لأن زوجته وشريكة حياته ، لم تكن تقل عنه نفوذا وسلطة ، بل ربما فاقته فى ذلك » (٣٩) .

كان جوستنيان امبراطورا فاقت انجازاته فى روعتها ، من سبقه من اباطرة بيزنطة ، كما خلدت بعض هـــذه الانجازات اسمه حتى يومنا هذا . وللباحث أن يطرح سؤالا ، هو : هل كان جوستنيان يعمل مـن فراغ ؟ أم أنه كان مبتكرا فى كل المحصلة التى خرج بها طـــوال فترة حكمه ؟ الواقع لا هذا ولا ذاك ، وانما كان جوستنيان ، بما ورثه مـن مفاهيم كامبراطور مسيحى ، هذه المفاهيم هى التى شكلت له الخلفيـــة الايديولوجية لسلطته الامبراطورية ، والتى تمكن بوعيه لها واستيعابه لكل جوانبها ، وحرصه الشديد ، وعمله المتواصل واصراره على تجديد الامبراطورية الرومانية فى كل المجالات ،واعادة أمجادها ، وغيرته الشديدة على اتحاد الكنيســـة على المذهب الخلقيـــدونى ، وتوحيـــد قوانين الامبراطورية ، من نجاحه الى حد كبير فى مشروعاته تلك . كل ذلك ثمرة ايمانه الشديد بضخامة العبء الملقى على أكتافه ، وأنه انما كان يقوم بواجب مقدس ، بحكم موقعه فى القصر « المقدس » وفى السلطة « بمشيئة الله » ، وأنه « ممثل المسيح على الأرض » . وهى كلها مفاهيم ورثهـــا عن أسلافه من الأباطرة منذ عهد الامبراطور قنسطنطين الذى آمن بالمسيحية واعترف بها ، كديانة شرعية مثل الديانات الآخرى بالامبراطوريه .

فالمسيحية تفرض على معتنقيها طاعة الحكام ، لأنهم يحكمون بمشيئة الله . ومبدأ الطاعة فرضه المسيح عليه السلام عندما قال : « اعطوا اذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (٤٠) . وبذلك صارت الطـاعة من الواجب المسيحى للحكام بالرغم من أن الحكام كانوا وثنيين فى ذلك الحين . وأن المسيح عليه السلام قال ذلك عندما حاول خصومة استدراجه الى التورط

---

(٣٨) *Nov.* viii, Chapitre, 1, p. 79; *Nov.* xxviii, C. V, p. 250; *Nov.* xxix, C., IV, p. 256; *Nov.* xxx C., vi, p. 264, C., xi, p. 270.

(٣٩) *Zonaras*, Op, Cit., p. 151.

(٤٠) متى ٢٢ : ٢١ ، مرقس ١٢ : ١٧ ، لوقا ٢٠ : ٢٥ .

فى معارضة سلطان روما (٤١) ٠ وتأكيدا للمبدأ القائل بأن الحاكم يحكم « بمشيئة الله » فى قول بوسل وتأكيده على ضرورة طاعة الحكام لا لمجرد الطاعة فحسب ، بل لأن لله سبحانه وتعالى ، هو الذى عينهم سلاطين ، وأن مقاومة هؤلاء السلاطين هى فى الوقت ذاته مقاومة لمشـــيئة الله ، وسيعاقب المسيحى لأنه قاوم مشيئة الله (٤٢) ٠ ولا شك أن كلمات بولس كان لها أثرا عميقا من الناحية السياسية اذ تحولت هـذه الكلمات الى نظرية سياسية مسلم بها ٠ وأكد عليها كل رجال الدين المسيحى فيمـا بعد ٠ وتكررت هذه النظرية السياسية عند بطرس ، والذى نصت أقواله على أن سلطة الحاكم مقدســة ، وأن طاعة هذا الحاكم من طاعة لله لأنها هى المشيئة الالهية ، وأن عقابه للأشرار ، ورضـــاه عن الأخيار انمـا هو لهدف تحقيق العدل (٤٣) ٠

على أن اطاعة الحاكم التى نادى بها بولس وغيره ، انما كانت تنصب على وظيفة الملك ، لاعلى شخص شاغل هذه الوظيفة ٠ فلم يكن لفضائل

---

(٤١) *Dunning*, A History of Political Theories, Ancient and Medieval, (London, 1930), 153, *A.J. Carlyle* A History of Political Thought in the West, Vol. I, (London, 1903), p. 92.

(٤٢) *Carlyle*, Op. Cit., pp. 99-90; *Dunning*, Op. cit., p. 153; *Ullmann*, A History of Political thought : The Middle Ages. Third Edition (London, 1970), p. 56.

وحسن خليفة ، تاريخ النظريات السياسية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٣٥م ، ص ٦٥ وحسن شحاته سعفان ، أساطين الفكر السياسى والمدارس السياسية ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص ١١٠ ، جورج سباين ، تطور الفكر السياسى ، الكتاب الثانى ، ترجمة جلال العروسى ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٩ ، ٢٦٥ ، **ونص ما قاله بولس** « لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان الا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سياخذون لأنفسهم دينونة ٠ فان الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة ٠ أفتريد أن لا تخاف السلطان ٠ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه ٠ لأنه خادم الله للصلاح ٠ ولكن ان فعلت الشر فخف ٠ لأنه لا يحمل السيف عبثا اذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر ٠ لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضا بسبب الضمير ٠ فانكم لأجل هذا توفون الجزية أيضا ٠ اذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه فاعطوا الجميع حقوقهم ٠ الجزية لمن له الجزية الجباية لمن له الجباية ، الخوف لمن له الخوف والاكرام لمن له الاكرام ٠

انظر رسالة بولس الرسول الى أهل رومية الاصحاح الثالث عشر ١ ـ ٧ ٠

(٤٣) قال بطرس الرسول فى رسالته الأولى « فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب ٠ ان كان للملك فكمن هو فوق الكل ٠ أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لنا على الخير لان هكذا هى مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء كالأحرار وليس كالذين عندهم سترة للشر بل كعبيد الله ٠

« أكرموا الجميع ٠ أحبوا الاخوة ٠ خافوا الله ٠ أكرموا الملك » ٠ رسالة بطرس الرسول الأولى الاصحاح الثانى ١٣ ـ ١٧ ٠

الحاكم أو نقائصه صلة بهذا الاحترام المفروض لمنصبه . فالحاكم الفاسد – عند أصحاب هذا الرأى – ليس الا عقوبة على اثم اقترفه رعاياه وطاعته – بالرغم من فساده – واجبة على هؤلاء الرعايا (٤٤) .

والواقع أنه فى قول بولس ، «لأنه ليس سلطان الا من الله» يستطيع المرء أن يتحدث عن السلطان بالتفويض . وأن الله عين نائبا عنه فى الأرض ، وأن هذا النائب ، هو تجسيد لهذه السلطة الآلهية . وعلى ذلك فان السلطة تأتى للشعب « من أعلى » ، وأن السلطان مسؤول أمام الله وحده ، وهذه النظرية يمكن أن يطلق عليها أيضا النظرية الثيوقراطية، على أساس أن كل السلطات مردها الى الله (٤٥) .

على أن ايمان المسيحية باله واحد ، ساعد على تأكيد الفكرة القائلة بأنه طالما أن هناك الها واحدا فى السماء ، فعلى ذلك لا يصح أن يكون هناك سوى ملك واحد على الأرض (٤٦) . كما أن الأبحاث الحديثة قد كشفت عن أن المسيح عليه السلام كان ملكا وكاهنا ، وهذا بدوره أكد المركز الملكى للامبراطور ، وبخاصة أن يوسيبيوس Eusebius فى القرن الرابع الميلادى ، هو المسئول بصفة أساسية عن هذه الأيديولوجية ، عندما ربط بين الايمان باله واحد ، بمفهوم سلطة الامبراطور الرومانى : فقد أعلن أنه قبل الأمبراطور أغسطس Augustus كان هناك اعتقاد بتعدد الألهة وعبادتها ، كما كان هناك العديد من الحكام . بيد أنه بعد مجىء المسيح عليه السلام ، الذى كان معاصرا لعهد الامبراطور أغسطس ، فكان هناك اله واحد ، ولذلك يجب أن يكون على الأرض امبراطور واحد ، فى وضع يسمح له بتحقيق السلام ، والطهارة ، والدين القويم . وأصبح الشعار المميز لهذه الأيديولوجية « اله واحد ، وامبراطور واحد ، وكنيسة واحدة (٤٧) . فالامبراطور طبقا لهذه

---

(٤٤) Carlyle, Op. Cit., p. 90.

وحسن شحاته سعفان ، أساطين الفكر السياسى والمدارس السياسية ، ص ١١٢ ، جورج سباين ، تطور الفكر السياسى ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ، نومان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٦ .

(٤٥) *Ulmann*, A History of Political Thought, p. 13.

(٤٦) *Otto Gierke*, Political Theories of the Middle Ages, Translated with an introduction by J.W. Maitland, (Cambridge, 1927), p. 10.

(٤٧) *Ullmann*, A History of Political Thought, pp. 32-33.

الايديولوجية الفريدة التى ابتكرها يوسيبيوس هو فى الحقيقة « خليفة الله على الأرض » ، ولذلك فعليه ان يتولى كل شئون الحياة على الأرض » • ومن الناحية النظرية ، فالامبراطورية المسيحية هى امبراطورية عالمية تضم كل العالم Oikoumene • (٤٨)

وأوضح يوسيبيوس أن مهمة الحاكم من زاوية التقديس ، فقال : طالما أن الله وحده هو الكريم الحق ، والحكيم القوى ، ومصدر العدل والحكمة ، والنور والحياة ، والحق والفضيلة ، وخالق الملوك وكل الحكام وأصحاب السلطة ، فأنه من الواضح أن الامبراطور ، وهو الذى يقوم بدور الوسيط بين الله والبشر ، يمتلك أيضا هذه الفضائل الملكية ، على مثال مملكة الله بالسماء ، ومن ثم ظهر نعت جديد أضيف للامبراطور ، وهو أنه « محب للانسانية » • Philanthros

وانطبق هذا النعت نفسه على المسيح عليه السلام ، عند ممارسة الطقوس الدينية والصلوات فى الكنيسة وهذه النظرية تعبر عن معتقدات قنسطنطين الدينية ، وعن تجاربه ، وناسبت أفكار زمنها ، وحاجات الدولة والمجتمع لدرجة أنها بقيت دون تغيير لعدة قرون ، وساهمت فى تشكيل النظريات السياسية فى كل من الشرق والغرب فيما بعد (٤٩) •

على أنه لا يخفى على المرء أن الاعتراف بالمسيحية فى عهد قنسطنطين جاء فى الوقت الذى تأثر فيه أباطرة الرومان بالعادات السياسية الشرقية التى كانت سائدة فى مصر وفارس بشأن اعتبار الامبراطور ممثلا للاله على الأرض ، ووجوب تقديس هذا الامبراطور بل ووصل الأمر على تأليه دقلديانوس • ولاشك أن هذه السمات تركت بعض بصماتها على فكر يوسيبيوس وغيره من رجال الفكر المسيحى •

أيد القديس أمبروز Ambrose (٥٠) النظرية الداعية بأن الحاكم

---

(٤٨) *Maragoulias*, Byzantine, Christianity : Emperor, Church, and the West (Chicago, 1970), p. 7, *DoWney*, Constantinople in the Age of Justinian (Norman ,1960), pp. 47-48.

(٤٩) *Wilheln Ensslin*, The Emperor and the Imperial Administration, Byzantium, edited by N.H. Baynes, third edition, (London ,1953), p. 278; *Downey*, Constantinople in the Age of Justinian, p. 48.

(٥٠) **حسن شحاته سعفان** ، اساطين الفكر السياسى ، ص ١٠٨ ، **نورمان بيتز** ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٧ — ٨٩ •

هو ممثل الله ، حيث قال بوضوح ان الملك مقدس لأنه خليفة الله ، بل ان أمبروز هو أول من استخدم تعبير Vicar of God غير أنه استخدم تعبيرا آخر قال فيه ، « أن الملك رمز لله والأسقف يمثل رمزا للمسيح (٥٢) ·
كما أن هذه النظرية أيدها أيضا القديس أوغسطين (٥٣) · وأكد على ذلك بقوله حتى على أسوأ الحكام من أمثال نيرون Nero فهو استمد سلطته من الله (٥٤) ·

وهكذا يتحدد مفهوم المشيئة الالهية عن الملك المسيحى ، الذى يحكم العالم المسيحى · وكحاكم مطلق Autokrator فانه وريث لفكرة الامبراطور العالمى · وأن حكمه لكل العالم Oikumene بكل حدوده السياسية والجغرافية هو هدفه وغايته طوال حياته — وأنه وحده له كل الحق والأحقية فى أن يكون السيد الأعلى للعالم · وأما الحكام الآخرون من المسيحيين فانهم مجرد ممثلين للامبراطور المحب للمسيح · وأن الأراضى التى كانت تابعة للامبراطور من قبل ، وصارت فى حوزة غير المؤمنين ، فلابد أن تعود فى يوم ما الى سيادة الامبراطور ، فهو الملك الشرعى والمدافع

---

(٥١) القديس أمبروز أسقف ميلانو Milan، عاصر الامبراطور الغربى فالتينيان الأول (٣٦٤ — ٣٧٥)· وكذلك الامبراطور ثيوديسيوس الكبير (٣٧٩ — ٣٩٥م) الذى رفض القيام بمراسيم القربان أمامه لارتكابه مذبحة ثيسالونيكا Thessolonica وهو من رواد تكوين الفكر المسيحى وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الدولة والكنيسة · ويتبلور فكره فى أنه ينبغى النظر الى الامبراطور على أنه ، « فى نطاق الكنيسة ، لا فوق الكنيسة » · انظر :
Carylyle, Op. Cit., I, pp. 179-184; *Dunning*, Op. Cit., pp. 133-134.

(٥٢) *Caryle*, Op. Cit., I, p. 149, 179.

(٥٣) القديس اوغسطين ولد سنة ٣٥٤ ، فى مدينة بشمال أفريقية ، وفى كتابه « الاعترافات » سرد تاريخ حياته ، وكيف مر بتجربة صوفية أدت الى اعتناقه المسيحية سنة ٣٨٧ ، بعد أن كان واقعا تحت تأثير الفلسفة الأفلاطونية ، ثم مذهب مانى · وفى سنة ٣٩١ ، رسم أسقفا لمدينة هيبو Hippo فى أفريقيا · ومن اشهر مؤلفاته بجانب الاعترافات ، مدينة الله Civitas Dei والذى بدأ كتابته من سنة ٤١٣ حتى سنة ٤٢٦ ، وهو المؤلف الذى بسط فيه معظم آرائه السياسية ، حيث يصور المدينة السياسية المثالية كما يتخيلها مبنية على حب الله وعبادته ، حيث تتآلف القلوب ، وتتجمع الأفئدة ، فهم يتمتعون بالمعيشة مع الله ، وفى الله حيث تمتاز دولة الله بتحقيق العدل والسلام ، انظر :
Hearnshaw, Some Great Political Idealists of the Christian Era., (London, 1937), pp. 9-21.

(٥٤) *Carlyle*, Op. Cit., I, p. 151.

عن الايمان المسيحى ، والمسئول عن التبشير به (٥٥) لأن الله اختـــاره، ومنحه السلطة التى ليست الا صورة أرضية لسلطة الله المقدسة ، وهو ما عبر عنه يوسيبيوس منذ ظهور الامبراطورية المسيحية • وأن المسيح مسحه بزيت البركة ، فهو خليفة الله على الأرض ، ونائب المسيح فى قيادة الجيش ، وفى منزلة الحواريين (٥٦) •

وهذه الأيديولوجية الامبراطورية كانت مزيجا من المثل المسيحية والمفاهيم الهلينستية ، وقبل كل شىء الأفكار الشرقية ، وكلها تجمعت على التأكيد على المركز الفريد للامبراطور ، وليس من قبيل المصادفة أن هذه الأيديولوجية لم تصل الى مداها الا بعد أن نقل الامبراطور قنسطنطين العاصمة الى القسطنطينية (٥٧) •

كما أن الجمع بين السلطة الملكية والسلطة الكهنوتية كانت السمة المميزة للمركز الفــــريد للامبراطور ، فهى التى عبرت عن عمله كنائب للمسيح ، Christ Vicegerent على الأرض ، وبذلك أصبحت قوانين ، ومراسيم ، وأوامر الامبراطور هى قوانين ، ومراسيم ، وأوامر السماء ، عرضها الله على الشعب عن طريق الامبراطور ، وهذه القوانين مقدسة • ولذلك كما لابد من الصمت عند ممارسة الطقوس المقدسة ، فانه يتحتم الاصغاء عند قراءة أو اعلان قرارات الامبراطور أو قوانينه ، بل ان القديس حنا ذهبى الفم St. John Chrysostom ذهب بعيدا عندما نصح الشعب بالانصات الى الكتاب المقدس بنفس الورع والمهابة التى تبدو عليهم عندما يستمعون فى « صمت مقدس » الى تلاوة القوانين الامبراطورية ، وذلك فى الفترة ما بين نهاية القرن الرابع وبداية الخامس للميلاد (٥٨) •

وبناء على وظيفة الامبراطور كنائب لله God's Vicar وممثل للمسيح على الأرض ، فان شخصه ومركزه ، وكل ما يتعلق به أحاطتهم هالة من التقديس والورع لتأكيد منزلته الفريدة بين البشر (٥٩) فقام الامبراطور بتأدية الطقوس الدينية التى تتناسب مع مهمته كنائب للمسيح : فعلى سبيل المثال ، قام الامبراطور بتمثيل المسيح نفسه عندما دخل مدينة

---

(٥٥) *Ensslin*, The Emperor and the Imperial Administration, pp. 272-273.

ونورمان بيتز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٦ •

(٥٦) *Gierke*, Political Theories of the Middle Ages, pp. 30-32.

(٥٧) نورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧٨ •

(٥٨) *Ullmann*, A History of Political Thought, p. 33.

(٥٩) *Grieke*, Political Theories of the Middle Ages, pp. 33-34.

بيت المقدس ، وذلك عند الاحتفال بأحد السعف (يوم الأحد الذى يسبق عيد الفصح) وفيه يتم احياء ذكرى دخول المسيح ظافرا الى بيت المقدس حيث نثر على طريقة سعف النخيل ، وقلد المسيح أيضا بغسله أقدام أثنى عشر فقيرا فى الاحتفال بيوم خميس العهد ، وفى الاحتفال بعيد الميلاد كان الامبراطور يتناول الطعام لمدة أثنى عشر يوما متتالية مع أثنى عشر شخصا من الطبقة الارستقراطية البيزنطية (٦٠) ٠

والواقع أن الامبراطور كان « القانون الحى » والذى يعنى أن مشيئته وحده ، دون أى شىء آخر ، لها قوة القانون ٠ لذلك كانت « مشيئة الامبراطور » (دون أخذ رأى الرعية) هى مصدر القانون (٦١) ٠ وطالما أن الامبراطور كان مسئولا أمام الله عن الامبراطورية ، فانه كان عليه أيضا مراعاة اتباع شعبه للايمان الصحيح ، وذلك عن طريق اصدار التشريعات التى تكفل سلامة ذلك ٠ هذا بالاضافة الى حقه فى تحديد الضرائب ، وتنظيم الدولة ، وقيادة الجيش ، واصدار قرارات السلم والحرب ، كما قام بتعيين الموظفين الذين كانوا مسئولين أمامه وحده ، كما هو مسئول أمام السماء ٠ وكان موقعه فوق الرعية ، ومن الناحية القانونية ، وليس ضمنهم ، كما أن كل السلطات العامة تتم باسم الامبراطور (٦٢) ٠

وهذا المركز المحاط بهالة التقديس للامبراطور تم التأكيد عليه عن طريق الرمزية فى الاحتفالات ، والتى كانت عاملا فى غاية الأهمية فى تمكين الأجيال التالية من تجديد أيديولوجيتها المفهومة ضمنيا ، فكل تصرفات الامبراطور تحمل طابع الأعمال المقدسة (٦٣) ٠ فالاحتفالات بالأعياد الامبراطورية تظهر فى ثوب الطقوس المقدسة وكل المبانى التى تضم القصر المقدس ، هى أماكن مقدسة ، لأنه فى وسطها تقع قاعة العرش ، التى كانت أكثر الاماكن قدسية عن أى مكان آخر فى القسطنطينية ٠ ففى هذه القاعة يوجد عرش الامبراطور ، وهو الرمز الذى يظهر المكانة العالية للعرش الامبراطورى ، ففيها - بعد أن يحصل الامبراطور على تأييد الشعب - يتوجه للسماء يصلى من أجل هذا الشعب ، وهى اشارة ترمز لدور الامبراطور فى الوساطة بين المسيح

---

(٦٠) *Ullmann*, A History of Political Thought, The Middle Ages, pp. 33-34.

(٦١) *Diehl*, Byzantium : Greatness and Decline, tr. Nomi woflord, (New Jersey, 1934) p. 27; *Ullmann*, Op. Cit., p. 34.

(٦٢) *Ullmann*, Op. Cit., pp. 57-58.

(٦٣) نورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٩٢ ٠

والشعب المسيحى . وهذه الرمزية توضح لنا أن الامبراطور هو نائب الله (٦٤) . Vicar of Pantokerator وأنه نفسه حاكم الأرض Autokrator وأخيرا فان مجلس الشيوخ كان يحمل اسم مجلس الشيوخ المقدس .

وجرت العادة قبل عصر جوستنيان أن تظل صـــورة الامبراطور متمثلة أمام الشعب بصفة مستمرة ، على العملة ، والتماثيل ، والفسيفساء والصور الزيتية ، والمنسوجات . وفى قاعة المحكمـة فى كل أنحـــاء الامبراطورية ، وكذلك فى مكاتب كل كبار موظفى الدولة توجد صورة للامبراطور ، وتشير الى أن القاضى أو الموظف الذى يجلس تحت الصورة انما يعمل باعتباره ممثلا مباشرا للامبراطور . وكان القسم يتم أمام صورة الامبراطور . واذا ما حاول شخص ما اتلاف صورة الامبراطور أو خدش تمثاله عوقب بتهمة العيب فى الذات الامبراطورية . كمـــا اعتاد الشعب الاحتفاظ بصور وتماثيل الامبراطور سواء أكانوا فى الهواء انطلق أو فى المبانى العامة ، بما فيها الكنائس وكانت ترسم الصـــور التى تصور الامبراطور كمنتصر على الأعداء ، أو يتقبل ولاء واجلال الشعب له ، وتصـــوره منتصرا على الأعداء الجرمانيين ويقدم القربان للمسيح ، ويرأس الألعاب فى ميدان سباق الخيل (٦٥) .

تلك كانت كل مظاهر ، ومفاهيم السلطة الامبراطورية التى ورثهـا جوستنيان ، بكل مقوماتها ، ومصادرها . ولاشك أنها شـــكلت خلفية أيديولوجية للامبراطور جوستنيان فى كل تصرفاته كأمبرطور مسيحى رومانى .

بيد أنه قبل ان نتطرق بالبحث عن ملامح سياسة جوســتنيان العامة على ضوء الميراث الأيديولوجى ، فقد حفظ لنا التاريخ وثيقة فى غاية الأهمية ، حيث تقدم بها الشماس آجابيتوس Agapetus بكنيسة الحكمة المقدسة (أيا صوفيا) تضمنت معلومات فى غاية الأهمية عـن سلطة الامبراطور ، وواجباته والمفاهيم السائدة فى ذلك الحين . وهى فى شكل مجموعة من النصائح وتقديم المشورة . وقدمها اليه عندما انفرد جوستنيان بالحكم ، وهى على شكل فقرات : بدأها بالتأكيد على نظرية المشيئة الالهية ، وذكره بضرورة الالتزام بالقوانين التى يصدرها ، وتحقيق العدل بين الرعية والوثيقة تركز على تقوى الله ، وأنه لا فضل لغنى على

(٦٤) *Ullmann*, A History of Political Thought . The Middle Ages, pp. 34-35.

(٦٥) *Downey*, Constantinople in the Age of Justinian, pp. 52-53.

معدم الا بالتقوى • وأن الله يطلب منا أن نشكره على نعمه بالأعمال الصالحة وليس بمجرد الكلمات ، وأن واجب الامبراطور هـو محبـة البشرية Philantropa ، وفى الوثيقة صيحة اشتراكية ، اذ نادى أجابيتوس بضرورة اعادة توزيع الثروة للقضاء على حالات التخمة المفرطة عند الأثرياء، وحالات الفقر المدقع عند المعدومين ، ولاشك أنها صيحة جزئية ومبكرة ، وتقدم لنا الوثيقة الدليل على أن جوستنيان نال قسطا عاليا من التعليم، وأنه كان محبا لدراسة الفلسفة (٦٦) •

ويبدو للباحث من واقع الوثائق الرسمية أن جوستنيان قد برهن على تفهمه الكامل للمفاهيم السائدة ، وأنه حريص على التراث الذى ورثه عن أسلافه بشأن أيديولوجية السلطة الامبراطورية ، اذ أعلن فى الخامس عشر من ديسمبر سنة ٥٣٠ ، فى مقدمة أمر التكليف الموجه الى تريبونيان بشأن اعداد مجلد واحد فقط يطلق عليه ديجست Digest يضم كل القوانين السارية المفعول ، وحذف ما لم يعد يناسب العصر ، « اننا نحكم امبراطوريتنا بتفويض من الله ، الذى أنعم بها علينا من فضله فى علاه ، ونبذل أقصى جهدنا لاعادة بناء الدولة ، ونتوجه بقلوبنا الى السماء متوقعين مساعدة الاله الموجود فى كل الوجود • ولذلك لا نضع ثقتنا فى جيشنا ، ولا فى جنودنا ، ولا فى قادتنا فى الحرب ، ولا فى براعتنا ، بيد أننا نعلق كل آمالنا على العناية الالهية للثالوث الأقدس فحسب ، خالق عناصر الحياة فى كل أنحاء العالم والتى منها تكونت على الأرض » (٦٧) •

ومن أجل التأكيد على عالمية الامبراطورية ، حمل جوستنيان الألقاب التى حملها كل من الامبراطور أوغسطس وتراجان (٦٨) • الامبراطور، القيصر ، قاهر الألمان ، والقوط ، والفرنجة ، والجرمان ، والوندال ، والأفارقة ، التقى ، المبتهج ، الشهير ، المظفر ، الأقدس على الدوام (٦٩) • ثم يعيد التأكيد على هذا المفهوم فى احدى (نوفلاته) : « أن الله ، فى الحقيقة ، أناب السلطة الامبراطورية لرعاية شئون العالم » (٧٠) • لذلك كانت حيـاته كلهـا جهادا من أجل تحقيق مملكة الأرض المسيحية

---

(٦٦) *Barker*, Social and Political Thought in Byzantium, pp. 54-61.

(٦٧) C.H. *Monro* (translator), The Digest of Justinian, Vol. I, (Cambridge, 1904), p. xii.

(٦٨) Diehl, Byzantium, p. 30.

(٦٩) *R.W. Lee*, The Elements of Roman Law with a translation of the Institutes of Justinian, (London, 1956), p. 42.

(٧٠) Novelle, xxx, Chaptire, xi, p. 271.

العالمية . واستهدفت كل انجازاته اقامة هذه المملكة على دعامتى العدل والسلام .

عبر جوستنيان عن ايمانه الشديد ـ كنائب لله على الأرض ـ بضرورة العمل لكى يعيش رعاياه فى سلام ويجنبهم المتاعب : « اننا نعمل ليلا ونهارا من أجل كل ما يعود بالخير على رعيتنا ، وبما يرضى الله » (٧١) . على أن رعايته للمصالح الدنيوية يجب الا تجعله يغفل عن رعاية الأمور الدينية التى لابد أن تسير وفقا لتعاليم السماء ، مصدر السلطة الممثلة فى شخصه على الأرض :

« منحت السماء برحمتها نعمتين عظيمتين للبشر : احدهما تتعلق بالأمور المقدسة ، والأخرى ترعى الشئون الانسانية ، وكلاهما من مصدر واحد . وليس هناك هدف عند الامبراطور يسمو على الكهنة على منزلتهم المقدسة ، لاقامة تآلف واقعى فى ادارة الدولة ، طالما ظل الكاهن طاهر الذيل على الدوام ، وينعم بالقدرة على التعليم وفقا لما أراد الله ، وطالما حكم الامبراطور الدولة التى كلفه الله برعايتها على النهج السليم » (٧٢) .

وتأسف جوستنيان بشدة على انكماش حدود الامبراطورية الرومانية لتراخى من سبقه من الأباطرة ، وظل يلفت الانتباه الى نشاطه وشجاعته من أجل العمل على اصلاح أخطائهم (٧٣) . ومن ذلك قوله بشأن ايمانه بضرورة استرداد الأراضى السليبة : « لدينا أمل كبير فى الله فى استرداد الأراضى التى كان يمتلكها الرومان القدماء والتى امتدت بين المحيطين » (٧٤) .

ولكى يضمن تحقيق العدل بين الرعية ، سن التشريعات التى تؤكد على ذلك لحكام الأقاليم ، وفيها أمرهم بضرورة معاملة المواطنين الشرفاء بروح الأبوة ، وأن يعملوا على حماية الشعب من المظالم ، وأن يرفضوا كل أنواع الرشوة ، وأن يتوخوا العدالة فى أحكامهم وقراراتهم الادارية ،

---

(٧١) *Nov. 8*, Préface, pp. 77-78; *J. Bussell*, The Roman Empire, Vol. II, (London 1910), p. 50.

(٧٢) *Nov. 6*, Préface, p. 45, *Bussell*, Op. cit., p. 51.

(٧٣) *Nov. 25*, Chapitre, 2, p. 229, *Nov. 30*, Chapitre, xi, p 2,71; *Holmes*, Op. cit., II, pp. 430-481.

(٧٤) *Nov. 30*, C. II, p. 271, *Diehl*, *Justinien*, p. 23; *Ibid*, Le Monde *Oriental*, (Paris, 1936), p. 54.

وأن يقضوا على الجريمة ، ويعملوا على حماية الأبرياء ومعاقبة المذنبين طبقا للقانون ، وأن يعاملوا الشعب كما يعامل الوالد أولاده (٧٥) ٠

واذا كانت تشريعات جوستنيان تعطى انطباعا لايخامره أدنى شك فى اهتمامه بتحقيق العدالة بين المواطنين ، بروح الأبوة ، واقامة الامبراطورية العالمية المسيحية ٠ فهناك مصدر آخر غير هذه التشريعات أقر كل ما جاء بها من أهداف نبيلة ــ برغم أن هذا المصدر شـــارك بروكوبيوس فى مهاجمة حنا القبدوقى بعنف شديد ــ انه المؤرخ حنا ليدوز John Lydus الذى امتدح جوستنيان وأثنى عليه ، لكرمه ، وحبه للبشر ، وعمله على تعزيز السعادة الانسانية ، واعتداله رعبقريته الأدبية ، وجهوده المتواصلة من أجل تحقيق السلام ، والرفاهيـــة ، واسترداد الأراضى السلبية ، وتحقيق العدالة بتشريعاته الامبراطورية (٧٦) ٠

على أن جوستنيان ظل يؤكد أيضا على انتمائه للاباطرة الرومان ، وأنه وريث لهم ، ومن الزم واجباته المحافظة على التراث الرومانى (٧٧) ٠ والذى لم يحاول أحد من الأباطرة السابقين القيام به ٠ غير أن جوستنيان أقدم على هذا العمل بالرغم من صعوبته البالغة « لقد بدا ذلك الأمر على أنه غاية فى الصعوبة ، بل وفى الحقيقة ، كما لو كان مستحيلا ٠ غير أننا نرفع أيدينا للسماء ، ونصلى من أجل المساعدة الالهية ، لذلك أخذنا على عاتقنا مهمة تنفيذ هذا المشروع واثقين فى أن الله سيمدنا بعونه ، ورعايته لاتمام هذه الانجازات التى تبدو أمامنا وكأنها من الأمور المستحيل تنفيذها » (٧٨) ٠ ويبدو أنه اعتاد على التأكيد أنه معين بالمشيئة الالهية ، وأن الله خير عون له فى كل خطواته الاصلاحية ، ففى احدى (نوفلاته) الى حنا القبدوقى بشأن الاصلاحات الادارية « لدينا أمل فى فضل الله ، لدرء هذه المساوىء ، فهو الله الذى وضع التاج على رأسنا ، وهو الله الذى أنعم علينا بكل خير ، وهو الله الذى ألبسنا الزى الأرجوانى ، وهو الله الذى أنعم علينا بكرمه ، بما لم يحظ به أحد من أسلافنا » (٧٩) ٠

---

(٧٥) *Nov. 30* C. 8, p. 84; *Vasiliev*, Byzantine Empire, 1, p. 159.

(٧٦) *Isirpanlis*, «*John Lydos on the Imperical* Administration», Byzantion, 44, (Bruxelles, 1974), p. 482.

(٧٧) *Monro*, The Digest of Justinian, 1, p. 15; *Diehl*, Justinien, p. 22.

(٧٨) *Monro*, Op. Cit., pp. 13-14.

(٧٩) Nov., 30, C. 11, p. 271.

غير أن شدة ايمانه بالله ، وبالمذهب الارثوذكسي (الخلقيدوني) ، جعله يعمل جاهدا على استئصال شأفة (الهرطقة) بكل صورها ، وهو الأمر الذى أكد عليه فى تشريعاته وعمل على تنفيذه (٨٠) • ويبدو أن أقوى هذه الطوائف : أتباع آريوس ، الذين عاشوا فى سلام فى عهد من سبقه من الأباطرة ، بعد أن ملكوا الضياع ، وانتشرت كنائسهم فى كل مكان ، واحتوت على الكنوز من الذهب والفضة ، بيد أن جوستنيان اتبع معهم أساليب المصادرة وكل ألوان التعذيب (٨١) •

وعلى ضوء ما تقدم ، يبدو للباحث أن مفاهيم جوستنيان ، كان اطارها العام ، أيديولوجية : « دولة واحدة ، بكنيسة واحدة ، وبقانون واحد ، تحت رياسته » •

ويبدو أن خير شاهد على ذلك النصب التذكارى الذى أقامه جوستنيان سنة ٥٤٣ م حيث شيد تمثالا فى ميدان أغسطيوم Augusteum بالقسطنطينية ، أمام كنيسة الحكمة (أيا صوفيا) ومجلس الشيوخ • على أن الجديد فى فكرة هذا التمثال أن جوستنيان حمل فى يده اليسرى كرة معدنية ترمز الى أنه ملك الدنيا ، وعليها صليب ، وهو الرمز الذى تحققت بفضله كل الانتصارات أما اليد اليمنى، فانها كانت مرفوعة بشكل يرمز الى تحذير المعتدين بالشرق • وقد أقيم هذا التمثال المعدنى للامبراطور جوستنيان ، وهو يرتدى بدلته الحربية ويمتطى جوادا معدنيا ، والتمثال كان مرفوعا على عمود ضخم وطويل بشكل غير عادى (٨٢) •

---

(٨٠) Nov., 8, C. 4, p. 249.

(٨١) *Procopius*, The Secret History, pp. 96-97, 106.

(٨٢) *Procopius*, *Buildings*, pp. 33-35; *Malalas*, Op. Cit., p. 482; *Zonaras*, op. cit., p. 157; *Diehl*, Justinien, p .29; *Holmes*, Op. Cit., I., P. 528; *Downey*, Constantinople in the Age of Justinian, p. 43; *Mango*, The Art of Byzantine Empire, pp. 111-113.

وظل هذا التمثال كاحدى عجائب القسطنطينية ، وقد شاهده الرحالة طافور • وقال ان العمود المقام عليه التمثال كان اعلى من قبة كنيسة الحكمة (أيا صوفيا) ، (أى أعلى فى عمارة مكونة من عشرين طابقا) ، وان الكرة المعدنية التى بيد جوستيان كانت تبدو كالبرتقالة بالرغم من أنها تسع خمسة عشرة جالونا • انظر : رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر ، ترجمة د• حسن حبشي ، ص ١٤٤ ، ٢٧١ ، وظل هذا التمثال قائما الى أن هدمه الأتراك وانظر :

Mango, Op. Cit., p. 27.

انجازات جوستنيان الداخلية فى الادارة والتشريع والعمارة والشئون المالية

الادارة : زيادة سلطة حكام الأقاليم ــ المحافظة على القيم الأخلاقية والقضاء على الفساد ــ اعادة تنظيم الأقاليم ــ تنشيط عملية جمع الضرائب ــ حنا القبدوقى .

التشريع : ايمان جوستنيان بأهمية القوانين ــ تريبونيان ــ دوافع جوستنيان الأساسية لانجازاته التشريعية ــ اصدار مجموعة جوستنيان القانونية ــ خطة عمل اصدار الديجست وأسباب ذلك ــ التطبيق العملى لتشريعات جوستنيان ــ الامبراطور هو المفسر الوحيد للقانون ــ اعادة تنظيم برامج الدراسات القانونية .

العمارة : روعة انجازات جوستنيان المعمارية ــ أنثيموس ــ كنيسة الحكمة قمة الفن المعمارى ــ الانشاءات الأخرى بالعاصمة ــ انشاء الجسور والسدود والقناطر والطرق ــ بناء العديد من المدن الجديدة ــ اعادة بناء انطاكية ــ الانشاءات الدينية والاجتماعية ــ بناء قلعة سيناء « سانت كاترين » .

الشئون المالية : الضرائب الجديدة وتنمية الموارد المالية ــ تنظيم بعض الضرائب القديمة ــ السياسة التقشفية ــ اجراءات تخفيف المعاناة عن الشعب ــ تنظيم أسعار الحرير .

اهتم جوستنيان بالنواحى الادارية والتشريعية والمعمارية والنظم المالية لكى يضع طموحاته الاستردادية موضع التنفيذ وينهض بالامبراطورية فى شتى المجالات • والواقع أنه ما كان له آن يحقق انجازاته الرائعة ما لم يكن هناك جهاز ادارى قوى ونشط استهدف فى المقام الأول العمل على ملء خزانة الدولة بالأموال اللازمة وبصورة منتظمة ، وبالقدر الذى يسمح للامبراطور بتحقيق مشاريعه العديدة فى استعادة أمجاد الامبراطورية الرومانية • لذلك كانت تشريعات جوستنيان الجديدة (نوفلاته) ، متضمنة العديد من القوانين التى استهدفت اصلاح الجهاز الادارى عن طريق العمل على زيادة سلطة حكام الأقاليم باعتبارهم ممثلين للامبراطور ، والمحافظة على القيم الأخلاقية والقضاء على الفساد بكل صوره، واعادة تنظيم الأقاليم بهدف تشديد قبضة الدولة فى الادارة ، وأخيرا تنشيط عملية جمع الضرائب التى كانت فى واقع الأمر محور ارتكاز سياسة جوستنيان فى كل اصلاحاته الادارية •

ويبدو أن حرص جوستنيان على نجاح سياسته الادارية الجديدة ، دفعه الى تحديد المبادىء الأساسية التى تفرض على حاكم أى اقليم الالتزام بها ، قبل شغله لمنصبه الجديد ، مع القسم بكل قيم الايمان المسيحى على التنفيذ ، وهى المبادىء التى تبلورت فى الالتزام بالايمان الكاثوليكى ، وطهارة الذيل ، والاهتمام بتحصيل الضرائب ، وتحقيق العدل بين الرعية ، والضرب بيد من حديد على أيدى المذنبين (١) •

ولكى يقضى على حالات الفوضى والاضطراب من جراء وجود سلطة عسكرية ، وأخرى مدنية بالاقليم الواحد ، أصدر جوستنيان القوانين التى استهدفت الاستغناء عن نظام الادارة الثنائية ، وعمل على توحيد الادارتين تحت سلطة حاكم واحد ، مع تقاضيه مرتب الوظيفتين السابقتين (٢) • والزم حكام الأقاليم بضرورة الجلوس فى عربة من الفضة ، وان يتقدمهم فى تحركاتهم الرسمية ضابط يحمل شعار

---

(١) انظر الملحق (نص القسم) •

(٢) *Nov. xxiv*, Chapitre I, pp. 220-221; Nov. xxxi Chapitre, I. p. 272; *Holmes* Op. cit., II, p. 482.

السلطة (فأس محزوم عليها مجموعة من القضبان) (٣) كما ألزم حاكم الاقليم بالقيام بزيارات ميدانية فى حدود اقليميه ، والا يجوز له تفويض أى شخص للقيام بهذه المهمة ، ولحاكم الاقليم الحق فى تحديد محل اقامته الدائم ، فى أى مدينة داخل اقليمه شريطة ان تتناسب هذه المدينة مع عظمة منصبه ، هذا فى الوقت الذى حذر فيه جوستنيان حكام الأقاليم من اللجوء الى محاولات تحقيق المكاسب بالطرق الملتوية ، أو محاولة ارهاق المواطنين . وأخيرا فانه ، « على حاكم الاقليم ، وحاشيته ، والحرس الذين يرافقونه عدم قبول أى شىء من الرعية ولايطالبون بشىء دون مقابل، والا يسمح حاكم الاقليم للجنود التابعين له بظلم الرعية ، لأن حمايتهم هى جزء من تعاليمنا » (٤) . ومنح حكام الاقاليم سلطة الاشراف على الذين يجبون الضرائب للخزانة العامة (٥) .

اتسم جوستنيان بالعفة والطهارة والمحافظة على القيم الأخلاقية لذلك حرص بشدة على أن يتحلى الحكام بدورهم بهذه الصفات بصفة أساسية كقدوة للرعية ، بل أنه فى الواقع سن التشريعات التى تلزم الجميع بذلك مع الضرب بشدة للقضاء على كل ألوان الانحراف والفساد بكل صوره المتعددة .

لذلك أصدر قانونا ينص على ألا يقوم الشخص المرشح لوظيفة حاكم اقليم بشراء هذه الوظيفة من أى من كبار موظفى الدولة أو التابعين لهم (٦) . وأن يتعهد حاكم الاقليم بمعاملة الرعية بحنان أبوى ، وأن يتخذ الاجراءات العادلة تماما ، ويمارس سلطات وظيفته ، « بأيدى نظيفة » (٧) . وأن يتجنب الحاكم الحصول على المكاسب بالطرق الدنيئة ، وأن يظل قانعا بالمرتب الذى حددته له الدولة (٨) . وعلى حاكم الاقليم الا تأخذه شفقة بالقتلة ، والزناة ، ومختطفى الفتيات ، وعليه أن يقمع اللصوصية بكل قسوة ، والا يجبن أمام أى قوى أو غنى

(٣) *Nov*. xxiv, Chapitre 3, pp. 223-224, Nov. C II, Chapitre, I, (Tome Second), pp .79-80; *Holmes*, Op. cit., II, p. 474.

(٤) *Nov*. xxviii, C. 4. p. 248; *Holmes*, Op. cit. ,II, p. 474.

(٥) *Nov*. 24, C. 3, pp. 223-224; *Nov*. 25, C., pp. 232-233; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 474.

(٦) *Nov*., 8, pref,. p. 77; *Diehl*, Justiniln, p. 276; *Ure*, Justinian, p. 147.

(٧) *Nov* 24, C. 1, pp. 220-221; *Nov*., 25, C. 2, pp. 229-230; Holmes, Op. cit., 2, p. 475.

(٨) Nov., 8, C. 8, pp. 84-85; Nov., 17, C. 1, pp. 136-137; Nov., 25 C. 2, pp. 229-230.
Diehl, Justinian, p. 277; *Holmes*, Op. Cit., 2, p. 475.

منتهك للقانون في حدود اقليمه (٩) . وعند وصول حاكم الاقليم الى منطقة عمله ، عليه أن يدعو رجال الاكليروس والعلمانيين للاجتماع به ، وأن يقرأ عليهم أوامر الامبراطور والتى بناء عليها قبله فى وظيفته ، على أن يعلق نسخة من هذه الأوامر فى كل منطقة فى نطاق سلطته (١٠) .

غير أن جوستنيان لم يقتصر على تقديم النصيحة والحصول على الالتزامات الشفهية من حكام الأقاليم بالسير طبقا لأوامره ، وانما لجأ الى الاحتياط والمراقبة المحلية لتصرفات الحاكم بطرق ثلاثة ، أولها أنه منح الأساقفة سلطة تلقى الشكاوى ضد حاكم الاقليم ، بل وحتى اختبار صلاحيتهم وذلك بالجلوس مع حاكم الاقليم على منصة القضاء لسماع الدعاوى القضائية التى يفصل فيها (١١) . وثانيها أنه أصدر أمرا الى الذين يتولون الدفاع عن المتهمين بالمدن عمل على تقوية أعمالهم ، لذلك عاد نشاطهم الى الوجود من جديد ، بعد أن كانت وظائفهم قد فقدت سمعتها (١٢) . وصار حاكم الاقليم محروما من حق طردهم من وظائفهم، بل أن جوستنيان ذهب بعيدا عندما منحهم صلاحية تقديم تقارير ضد حاكم الاقليم فى حالة محاولته التدخل فى أعمالهم (١٣) . وثالثا وأخيرا ، فان جوستنيان أعلن موافقته على قانون الامبراطور زينون الذى نص على ضرورة بقاء حاكم الاقليم لمدة خمسين يوما فى اقليمه عند انتهاء مدة خدمته ، حتى يكون مستعدا للرد على اتهامات كل الذين يعتقدون أنهم أصابهم أضرار بسبب عدم استقامته أو أمانته (١٤) .

على أن جوستنيان لم يستغن عن نظام الثواب والعقاب ، وذلك لكى يشجع المستقيم من حكام الأقاليم ، ويعاقب المنحرف منهم ، فاذا ما قدم كبار الموظفين تقارير ممتازة عن أى حاكم للاقليم سمح له جوستنيان

---

(٩) Nov., 17, C. 5, pp. 139-140; *Nov.*, 24, C. I, pp. 220-221;

(١٠) Nov., 17; C. 16, p. 146; Holmes, Op. cit., 2, p. 476.
Nov., 25, C, 2, pp. 229-230; *Diehl*, Justinien, p. 277; *Ure* Op. Cit., p. 147.

(١١) *Nov.*, 8, pref., pp. 92-93; *Edict* 12, C. 2, p. 703 in Corpus Juris Civils, ed. Fratres kriegelii, Paris III, Novellae, (Lipsiae, 1887); *Diehl*, Justinien, p. 279.

(١٢) *Nov.*, 15, pp. 126-133; *Homles*, Op. Cit., II; p. 477; *Jones* Later Roman Empire, 1, p. 280.

(١٣) *Nov.* 15, C. 1, 5, pp. 127-128, pp. 130-131; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 477.

(١٤) *Nov.* 8, C. 9, pp. 85-86; *Stein*, Op. Cit., II, p. 464; *Ure*, Op. Cit., p. 147

بالبقاء فى اقليمه (١٥) • ومن ناحية أخرى كانت مصادرة الممتلكات، والنفى ، والجلد ، والتعذيب من بين العقوبات التى أنزلها بالحاكم الذى خان الأمانة (١٦) •

تلك كانت قوانين جوستنيان التى حددت ضرورة التزام حكام الأقاليم بكل القيم الأخلاقية فى أعمالهم تحقيقا للعدل بين الرعية ، اذ أن العدل كان من أهداف جوستنيان الأساسية فى الحكم •

ومن أجل العمل على راحة الرعية اصدر جوستنيان عدة تشريعات، منها زيادة عدد محاكم الاستئناف ، وذلك بمنح طبقة المحترمين Spectabiles سلطة قضائية متوسطة بين حكام الأقاليم الصغرى وكذلك طبقة الأصفياء Clarissimi وأيضا طبقة الممتازين Illustres بالعاصمة (١٧) • ونتج عن ذلك ان التدفق الغامر لسكان الأقاليم صوب العاصمة قل بشكل واضح ، وبالمثل فان عمل القضاة المساعدين بالعاصمة زاد الى حد كبير ، وطلب منهم جوستنيان البقاء فى المحكمة الملكية « صباحا ، وظهرا ، ومساءا » • للفصل فى القضايا (١٨) •

وزيادة فى حرص جوستنيان على راحة الرعية ، وتخفيفا على العاصمة التى احتشدت بها الجماهير من عدة أقاليم ، استحدث جوستنيان وظيفة كويسزيتور Quaesitor المحقق بالعاصمة مهمته التعامل مع هذه الحشود والتحقق من جدية قضاياهم ثم توجيههم الى المحاكم المناسبة ، واذا ما ظهر أنهم حضروا فى زيارة لاطائل تحتها ، فان من سلطته الأمر باخراجهم من العاصمة ، واعادتهم الى أقاليمهم ومعهم خطابات توصية الى حاكم الاقليم (١٩) •

على أن أروع انجازات جوستنيان فى المحافظة على القيم الأخلاقية ، محاربته للبغاء بأسلوب عملى لم يسبقه امبراطور مسيحى فى ذلك ، اذ لاحظ جوستنيان أن تجارة البغاء نشطت بشكل خطير ، وسيطرت على

---

(١٥) *Nov.*, 28, C., 7, pp. 251-252; *Nov.*, 30, C., 10, pp. 269-270; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 477.

(١٦) *Nov.*, 8, C. 7, p. 83; *Nov.*, 30, C. 10, pp. 269-270; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 477; *Stein*, Op. Cit., II, p. 464.

(١٧) *Nov.*, 23, pp. 215-219 ; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 478.

(١٨) *Nov.*, 82, C., I, p. 453; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 478.

(١٩) *Nov.*, 80, C., I, p. 441-443; *Bury*, Op. Cit., II, p. 337; *Ure*, Op. Cti., p. 148; *Jones*, Op. Cit., I, p. 280.

البلاد جماعات تجارة الرقيق الأبيض الذين كانوا يشترون الفتيات الصغيرات من ذويهم الفقراء بمبالغ زهيدة لعرضهن فى سوق البغاء . ووصل الأمر الى عرضهن فى الشوارع كوسيلة للاغراء على ممارسة الرذيلة غير أن جوستنيان أعطى تفويضا لمديرى الأمن بالقضاء على بيوت الدعارة، وطرد تجار الفاحشة من العاصمة (٢٠) . وشاركت الامبراطورة ثيودورا زوجها فى ذلك ، حيث شغلت نفسها ، لفترة من الوقت ، فى عملية اعادة المنحرفات الى طريق الصواب . وقامت بعتقهن من أصحابهن بعد أن دفعت لهم ثمنا متفقا عليه عن كل واحدة (٢١) . وتم تحويل قصر مهجور على ساحل البسفور Bosphorus الى اصلاحية للمنحرفات وأطلقت عليه ثيودورا قصر التوبة Repentance (٢٢) .

ويبدو أن عادة اللواط كانت منتشرة فى ذلك الحين الأمر الذى دفع جوستنيان الى اصدار القوانين الصارمة للغاية بهدف محاربة هذه الرذيلة، فكان من بين هذه العقوبات التشهير الذى لم يسلم منه بعض الأساقفة (٢٣) .

على أن انسانية جوستنيان كمصلح اجتماعى ظهرت فى نفوره من تحويل الأطفال من الرقيق الى طواشية ، اذ أصدر قانونا يحرم ذلك مع تحديده عقوبة قاسية فى حالة مخالفة القانون وذلك بمصادرة كل ممتلكات المخالفين ونفيهم بعد اجراء عملية خصى لكل من خالف القانون هذا فى الوقت الذى نص فيه القانون على تحويل هؤلاء الرقيق الى أحرار اذا ما تمت لهم هذه العملية بعد صدور القانون (٢٤) .

تلك كانت تشريعات جوستنيان التى استهدفت المحافظة على القيم الأخلاقية ، والقضاء على الفساد بكل صوره .

على أن أبرز اصلاحات جوستنيان الادارية تمثلت فى مراجعة النظام الادارى الذى ظل ساريا منذ عهد دقلديانوس . واستهدف جوستنيان من اصلاحاته الادارية تفادى الصراعات بين السلطة الادارية والسلطة

---

(٢٠) *Nov.*, 14, pp. 122-124; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 479.

(٢١) *Malalas*, Op. Cit., pp. 440-441.

(٢٢) *Procopius*, Buildings pp. 75-77; *Ibid*, The secret *History*, p. 124.

(٢٣) *Nov.*, 77, pp. 431-433; *Procopius*, The secret History, p. 122, 138; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 480.

(٢٤) *Holmes*, Op. Cit., II, p. 480.

العسكرية داخل الاقليم ، ولتحقيق مزيد من الأمن باعطاء صلاحيات أكثر لحاكم الاقليم ، اذ أصبحت تحت يديه القوات العسكرية بالاضافة الى صلاحياته المدنية • ولاشك ان هذه المراجعة للنظام الادارى ، كانت تحمل فى طياتها أحكام السيطرة السياسة ، وزيادة الفاعلية الدفاعية وتحديد المسئولية •

ففى اقليم بونتوس Pontus منح جوستنيان حاكم هذا الاقليم صلاحيات عديدة ، بعد أن تعرضت هذه المنطقة لهجمات اللصوص والقتلة الذين كونوا عصابات مسلحة ، وهربوا من العدالة وذلك بانتقالهم من اقليم الى آخر ، هذا فى الوقت الذى لم يتجرأ حاكم الاقليم على تجاوز اقليمه لتعقبهم • ولذلك بدا الأمر على ضرورة تعيين حاكم أعلى له صلاحيات قضائية وعسكرية ومدنية ومالية (٢٥) • وتمتع حاكم اقليم تراقيا بنفس الصلاحيات التى تمتع بها حاكم اقليم بونتوس لتشابه الظروف حيث اشتدت حالة القلق والاضطراب فى تراقيا من جراء استمرار اغارات الشعوب الجرمانية (٢٦) •

وأما فى أرمينيا الرومانية (٢٧) فلم تكن سياسة جوستنيان قائمة على مجرد زيادة سلطة الحكومة فحسب ، وانما اعادة التنظيم الادارى لها ، اذ أقام جوستنيان أربعة أقاليم بدلا من اجراء تعديلات فى اقليمى أرمينيا الرومانية ، وذلك بضمه مدنا مجاورة مع عدم تعيين أى حاكم من أهالى أرمينيا على هذه الأقاليم الأربعة الجديدة كما كان متبعا من قبل •

ففى اقليم أرمينيا الأولى الجديدة عين جوستنيان حاكما برتبة برو قنصل Proconsul • واشتملت على مدن أربع من أرمينيا القديمة

---

(٢٥) *Edict* 8 p,. 691 in Corpus Juris Civilis, Paris III;
***Bury*, Op. Cit., II, p. 340.**

(٢٦) *Stein*, Op. Cit., II, p. 466, *Jones*, Op. Cit., I, p. 280.

(٢٧) يرجع تقسيم ارمينيا بين النفوذ الفارسى والرومانى الى سنة ٣٨٧ حيث قسم ارساك Arsaces ملك ارمينيا ، والذى كان فارسى الأصل مملكته بين ولديه تيجران Tigranes الذى حظى باربعة أضعاف المساحة التى كانت من نصيب أخيه الأصغر Arsaces المسمى • على اسم والده ــ وأدى هذا التقسيم الى ارتماء أرساك الصغير فى أحضان الرومان وحدوث صراع بين الأخوين • وانتهى الأمر باتفاق الفرس والرومان على اقرار هذا التقسيم مع ضم نصيب تيجران للنفوذ الفارسى ونصيب أرساك للنفوذ الرومانى • وظل هذا الوضع قائما حتى عصر جوستنيان ، انظر :
Procopius, Buildings, pp. 179-181; *E. Chrysos*, «The Title Basilius in the early Byzantine International Relations», Dumbarton Oaks Papers, 32 (New York, 1978), p. 36.

وهي ثيودوسيوبوليس Theodosiopolis وساتالا Satala
ونيكوبوليس Nicopolis وكولونيا Colonea ، هذا بالاضافة الى
مدينتين من اقليم بونتوس بوليمونياكوس Pontus Polemonaicus ،
وكذلك طرابيزون Trapez وكيراساس Cerasas ومدينة بازانيز
Bazanis أوليونتوبوليس Leontopolis ، والتى حملت اسم
جوستنيان بعد تجديدها ، وصارت عاصمة أرمينيا الأولى . وأرمينيا
الثانية شابهت أيضا اقليم أرمينيا الأولى القديمة ، واشتملت على مدينتيها
القديمتين وهما سيباستى Sebastea ، وسيباستوبوليس
Sebasloptis ، وكذلك مدن كومانا Comana ، وزيلا
Zela ، ومدينة بريزا Brisa من اقليم هيلينبونتوس
Helenopontus . وأرمينيا الثالثة اشتملت على مدن ميليتين
Melitene ، وأرى Area وأرابيسوس Arabissus
وكوكوسوس Cucusus ،وأراثى Arraethea وكومانا القبدوقية
Cappadocian Comana . وأخيرا أرمينيا الرابعة التى كانت
اقليما جديدا فى الاسم وفى المدن التابعة لها . فهذا الاقليم يتكون من
المناطق الرومانية فيما وراء نهر الفرات . (٢٨) (شرق أرمينيا الثالثة) ،
والذى كان يحكمه حكام من أهالى أرمينيا الرومانية ، وفى عصر جوستنيان
حكمه قنصل اتخذ مدينة مارتيروبوليس Martyropolis عاصمة له (٢٩) .

والواقع ان جوستنيان لم يكتف باجراء هذه التعديلات الادارية
فحسب فى أقاليم أرمينيا ، وانما عمل على صبغها بالصبغة الرومانية ،
اذ أنه حتى عصر جوستنيان ظل أهالى أرمينيا الرومانية يعيشون طبقا
لقوانينهم وعاداتهم الخاصة ، ولم يطلب منهم أحد من قبل تنظيم معاملاتهم
الخاصة وفقا للقانون الرومانى . وأبرز هذه الاصلاحات القانونية ما تعلق
بالملكية والارث والزواج ، حيث ألزمهم جوستنيان بالانصياع لقانون
الملكية الذى يسمح للمرأة بحق الارث بعد أن كانت محرومة كلية من
الارث الذى كان قاصرا على الأبناء من الذكور أو على الأقارب من الذكور
فى حالة عدم وجود عقب من الذكور للمتوفى . كما نص القانون على
ضرورة دفع مهر (صداق) للزوجة بعد أن كان الزوج يشترى
زوجته (٣٠) .

(٢٨) *Nov.*, 21, C., I, pp. 272-273; *Procopius*, Buildings., pp. 179-185; *Diehl;* Justinien p,. 280; *Jones*, The Cities of the Eastern Roman Empire, (Oxford, 1937), p. 226; *Stein*, Op. Cit., II, p. 471.

(٢٩) *Bury*, Op. Cit., II, p. 344; *Jones* ,Later Roman Empire, I, p. 281.

(٣٠) *Nov.*, II, pp. 167-168; *Edict* 3, pp. 682-683 in Corpus Juris Civilis, Pars III; *Bury*, Op. Cit., II, p. 345; *Stein*, Op. Cit., II, p. 471.

كانت عملية جمع الضرائب محور ارتكاز سـياسة جوسـتنيان الادارية • ولم يخف ذلك على الاطلاق بل ان حاجتـه الملحة الى خزانة عامرة جعلته يذكر حكام الأقاليم بصفة مستمرة بذلك ، « قبل كل شيء اجعلوا شغلكم الشاغل عملية جباية الضرائب » • هذا في الوقت الذي ظل فيه يحث الرعية بالتذكرة الدائمة « ادفعوا الضرائب على الفور • ان مشاريعنا العظيمة لايمكن أن يتم انجازها دون المال » (٣١) • وظـل جوستنيان يؤكد على حقه وحق زوجته في المحافظة على دخل الدولة ، وماله من عظيم الأهمية (٣٢) • وحذر دافعي الضرائب من أنه ليس لهم حق الشكوى ضد حاكم الاقليم في حالة اذا ما اتبع معهم القسوة عند تحصيل الضرائب (٣٣) • بل على العكس فانه الزم دافعي الضرائب بمسـاعدة حاكم الاقليم على جمعها في نهاية مدة عمله • واذا ما حاولوا التحرش به خلال الخمسين يوما المؤجلة لرحيلة عن الاقليم فانهم سيعرضون أنفسهم لأشد الوان العقوبات (٣٤) •

واكد جوستنيان على أنه يترفع عن محاكاة أسلافه من الأباطرة الذين باعوا وظائف الدولة ، ومن ثم حرموا أنفسهم من حق الاعتراض على أولئك الموظفين الاداريين الذين اختلسوا الموارد الماليـة للدولة • بيد أنه بدأ عهدا جديدا بحزم فيما يتعلق بالضرائب المطلوبة ولذلك ، « على الجميع أن يرتل ترانيم التمجيد لله وللمخلص لصدور هذه القوانين الجديدة » (٣٥) واعتقد جوستنيان أن المفاسد الإدارية المتراكمة انما كلها نتائج تسامح من سبقه من الأباطرة . وأن هذا التسامح أدى الى انخفاض حق الدولة في الضرائب الى الثلث ، بل وربما انخفض مايكون حقا لخزانة الدولة الى الربع فحسب (٣٦) •

ويرجع الفضل في وضع سياسة جوستنيان الادارية موضع التنفيذ لرجله المخلص حنا القبدوقي John the Cappadocian ، الذي ظل مسؤلا عن الجهاز الاداري لحكم الأقاليم لمدة عشر سنوات (٥٣١–٥٤١م)،

---

(٣١) *Nov*. 8, C, 8, 10, pp. 84-85; pp. 86-87; *Nov*., 18, C., 1, pp. 148-149, *Nov*., 30, C. 2, pp. 270-271; *Diehl*, Justinien, p. 277; *Stein*, Op. Cit., II, p, 464; *Holmes*, Op. Cit., II. p. 440.

(٣٢) *Nov*., 28, C. 4, pp. 248-249 ; *Nov*.. 29. C. 5, p. 257; *Nov*.... 30, C. 6, 11, pp. 263-264, pp. 270-271; *Holmes*, Ov. Cit., p. 480.

(٣٣) Nov. 8, C. 8., 10, pp. 84-85; pp. 86-87; *Nov*., 28, C. 5, pp. 350-251; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 480, *Stein*, Op. Cit., II. p. 464.

(٣٤) *Nov*., 8, C. 8, 10, pp. 84-85, pp. 86-87; *Holmes* Op. Cit., II, p. 480.

(٣٥) *Nov*., 8, C. 11, pp. 88-89; *Stein*, Op. Cit., II. p. 464.

(٣٦) *Nov*., 8; Préface, pp. 76-79; *Holmes*, Op. Cit., II., p. 481.

وهي الفترة التي صدرت فيها أهم تشريعات جوستنيان الادارية ، وكان جوستنيان قد اكتشف شخصيته في بداية عصره عندما كان حنا كاتبا صغيرا في مركز القيادة العسكرية (٣٧) . على أن جوستنيان لمس فيه المقدرة على تحمل مسئولية تنفيذ الانجازات الادارية ، لذلك عينه في وظيفـــة حـــاكم عام الأقاليـــم الشرقيـــة Proctorian Prefect سنة ٥٣١ م (٣٨) . والواقع أن حنا القبدوقي عمل باخلاص ، « حتى صار أعظم الرجال قوة » ، على حد قول بروكوبيوس (٣٩) .

على أن أروع انجازات جوستنيان كانت في مجال التشريع والمحافظة على التراث الروماني في النواحي القانونية . بل أن انجازاته في مجال التشريع فاقت في روعتها انجازاته الاستردادية والمعمارية ، اذ مازالت حتى يومنـــا هذا ذخيرة لاغنى عنها لدارس القانون . ويرجع اهتمام جوستنيان بالتشريع الى ايمانه بأن القانون هو أحد ركني الحكم الصالح في الدولة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنه كان على دراية بالقانون، بل ولديه المقدرة على فحص القوانين « بكل دقة وامعان » على حد قوله نفسه (٤٠) .

ومن البديهي وجود شخصية قانونية بجوار جوستنيان ساعدته بصدق على اصدار انجازاته القانونية الرائعة ، وتمثلت هذه الشخصية في تريبونيان Tribonian الذي ظل يحمل عبء كل الانجازات القانونية الواحدة بعد الآخر حتى سنة ٥٤١ . والواقع أن تريبونيان جذب اليه الامبراطور نظرا لعبقريته الفذة اذ جمع خصائص متعددة في وقت واحد وبدرجة متساوية ، فقد كان رجل القانون ورجل دولة وفيلســـوفا ،

---

(٣٧) G. R. *Buker*, Justinian, (London, 1932,, pp. 19-20; *Bury*, Op. Cit., II, p. 36.

(٣٨) كان حاكم عام الأقاليم Praetorian Prefect منذ عهد الامبراطور اغسطس يتولى قيادة وتنظيم الادارة المدنية والجيش ، وبذلك صار أعظم الموظفين قوة ، ويلي الامبراطور نفسه . وظل مركزه يلي الامبراطور مباشرة حتى عصر جوستنيان فعند دخوله قاعة مجلس الشيوخ كان على كل أعضاء المجلس الوقوف ثم الركوع أمامه لتحيته . غير أن سلطته منذ عهد الامبراطور قنسطنطين اقتصرت على الادارة فحسب ، وان ظلت له الرياسة على حكام الاقاليم باستثناء روما والقسطنطينية ، انظر :
C.N. Tsirpanlis «,John Lydos on the Imperial Administration Byzanion, xliv, (Bruxelles, 1974), pp. 489-490.

(٣٩) *Procoplus*, Wars, I, p. 223.

(٤٠) *T. C. Sandars* (Translator), The Institutes of Justinian, Ninth Edition, (NeW York, 1989), Justinian's Proem, p. 2.

وخطيبا ، ومحاميا ، وعالما فى الفلك (٤١) . هذا فى الوقت الذى تحلى فيه بدماثة الخلق والبراعة فى الاطراء (٤٢) لذلك شغل عدة وظائف منها وظيفة الكويستور Quoestor (٤٣) وشغل القنصليـــة (٤٤) ، ورياسة الدواوين ، (٤٥) وشغل وظيفة محافظ القسطنطينية (٤٦) .

على أن الدافع الاســاسى لانجازات جوستنيان التشريعية يرجع الى اعتقاده بأن المشيئة الالهية أعانته على حكم الامبراطورية على النحو الصالح باعتمادة على ركنين : الأسلحة والقانون ، وهمــا التراث المزدوج لماضى روما ، التى اشتهرت بالانتصار العسكرى وبقوانينها العادلة . وجــاء توحيد الشريعة على يد جوستنيان كاجراء حتمى ، بعد أن أصبحت المراسيم الامبراطورية والآراء الفقهية متناقضة ومثيرة للارتباك والتشويش وشدة

---

(٤١) *Colqukoun* A Summary of the Roman Civil Law, Vol. I, (London, 1849), p. 57.

(٤٢) *Procopius*, Wars, I, p. 239; Ibid, The Secret History, p. 107.

(٤٣) *Nov.*, 17, p. 135; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 471.

الكويستور يرأس المجلس القضائى وهو المجلس الامبراطورى الأعلى ، ويمثل وزير العدل ، ويرأس محكمة الاستئناف وهى محكمة تنظر فى قضايا القتـــل ، والوصايا ، والأوصياء ، وكان بمثابة مستشار قانونى للقصر المقدس . انظر :

C.N. Tsirponis, «John Lydos on the Imperial Administration,» Byzan-*tion*, XLIV, (Bru,elles, 1974). pp. 395-496; *Holland*, The Institutes of Justinian, p. XXII.

(٤٤) Code de Justinien, Tome Premier, Trosième Préfece. Traduction par P.A. Tissot p. 15.

(٤٥) Ibid, p. 15; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 471; *Jones*, Later Roman Empire, I, p. 279.

كان رئيس الدواوين Magister Officiorum مسئولا عن سجلات المكاتبات الامبراطورية ويرأس الحرس المعروف باسم Scholae palantinae ، وباعتبـــاره الرئيس الأعلى للتشريعات فانه كان يستقبل السفراء من الخارج وبهذا فانه يمارس أعمال وزير الخارجية . انظر :

Tsiropnlis, Op. Cit., p. 494.

(٤٦) *E*dict IX, p. 695 in Corpus Juris Civilis, Pars lll; ; Holmes, Op. Cit., III p. 471.

كان محافظ العاصمة هو القاضى الأعلى الذى يفصل فى أمور رجال مجلس الشـيوخ المدنية ، وكذلك الجرائم التى تقع فى نطاق العاصمة ، وكان الموظف الوحيد الذى لا يرتدى الزى العسكرى ، وانما يرتدى التوجا Taga (هو رداء أبيض من القطن ومزين باللون الأورجوانى) . وتقع مسئوليته متابعة امداد العاصمة بالمواد التموينية ، وكذلك بتنظيم التجارة والصناعة بها . انظر :

Tsirpanlis, Op. Cit., p. 493.

الاختلاط . وأصبحت الأحكام القانونية تحت رحمة أهواء القضاة (٤٧) .

ويبدو أن اقتناع جوستنيان بفكرة تنسيق القوانين ترجع الى ما قبل اعتلائه عرش الامبراطورية ، لأنه ما أن انفرد بالحكم حتى أصدر مرسوما الى مجلس الشيوخ أعلن فيه عن خطته التشريعية التى تهدف الى اصدار قوانين جديدة ، وحذف القوانين المتناقضة والمهجورة ، والمقدمات الزائدة . وعلى ذلك أصدر مرسوما فى الثالث عشر من نوفمبر سنة ٥٢٨ بتعيين لجنة من عشرة خبراء تحت رياسة تريبونيان Tribonian وبرز أيضا فى هذه اللجنة ثيوفيلوس Theophilus أستاذ القانون فى القسطنطينية . وتحددت مهمة هذه اللجنة فى جمع القوانين التى أصدرها أباطرة الرومان منذ عهد الامبراطور هادريان حتى عصر جوستنيان ، والعمل على تنسيقها ، وحذف المتشابه منها ، وأن يضعوا بعض الاضافات ، واجراء بعض التغييرات اذا اقتضت الضرورة . وأنهت اللجنة أعمالها فى أقل من عام ، وأصدرت مجموعة جوستنيان القانونية codex Justinianus فى السابع من أبريل ٥٢٩ فى عشرة أجزاء (٤٨) ، بيد أنها كانت فى مجلد واحد فحسب (٤٩) .

ولا يخفى أن هذه الخطوة استهدفت تجديد الامبراطورية بشكل عام ، كما أن صدور مجموعة جوستنيان نسخ المجموعات القانونية الثلاث السابقة والتى عرفت باسم Codex Gregarianus وكذلك Codex Hermogenianus ثم Codex Theodosianus .

وعلى أثر هذا النجاح الرائع الذى حققه تريبونيان فى اصدار مجموعة جوستنيان القانونية ، وجه همه نحو انجاز تشريعى آخر أكثر

---

(٤٧) Colquahoun, Op. Cit., I, p. 57; Diehl, Justinien, p. 25.
وعمرو ممدوح مصطفى ، القانون الرومانى ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية ١٩٥٤م ، ص ١٠٩ .

(٤٨) *B. Nicholas*, An Introduction to Roman Law, (Oxford, 1962), pp. 32-39; *J. Schulz*, History of Roman Legal Science, Second edition, (Oxford, 1953), p. 317; *Diehl*, Justinien, p. 250; *Stein*, Op. Cit., II. pp. 403-4.
وعبد المنعم البدراوى ، تاريخ القانون الرومانى ، الطبعة الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٤٩ ، ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ ، عمر ممدوح مصطفى ، القانون الرومانى ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية الاسكندرية ، ١٩٥٤م ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ ، شفيق شحاته ، نظرية الالتزامات فى القانون الرومانى ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٤١ ــ ٤٢ ، محمد معروف الدواليبى ، الوجيز فى الحقوق الرومانية وتاريخها ، الطبعة الثالثة ، دمشق ١٩٥٩م ، ص ٣٢٦ ــ ٣٢٧ .

(٤٩) *C. H. Monro*, The Digest of Justinian, Vlo. I. (Cambridge, 1904), p. XIII.

طموحا بكثير وهو عملية تنسيق الأحكام القضائية لأشهر رجال القانون الرومانى . وهو انجاز لم يسبق لأحد الاقدام عليه أو مجرد الرغبة فى تنفيذه ، لأنه كان فيما يبدو أمرا غاية فى الصعوبة . واعتبر جوستنيان نفسه وريثا للمؤلفات التشريعية لرجال القانون القدامى منذ تأسيس روما . وهذه المؤلفات كانت مبعثرة وغير محددة . ولذلك طلب جوستنيان من تريبونيان جمعها فى مجلد واحد على غرار « مجموعة جوستنيان القانونية » وأعطاه صلاحية اختيار اللجنة التى ستعمل معه . وان هذه القوانين سيكون لها قوة القوانين التى تصدر من « فم جوستنيان المقدس » . على أن مرسوم العمل لاصدار هذا المجلد تضمن عدة تعليمات حددت خطة العمل منها ، اعطاء اللجنة صلاحيات بحذف الزائد ، والتخلص من كل تكرار أو تناقض ، واجراء بعض الاضافات للتشريعات مع حذف التشريعات القديمة التى تتعارض مع « مجموعة جوستنيان القانونية » . على أن يتم توزيع هذه التشريعات على خمسين كتاب لها عناوين مميزة على غرار « مجموعة جوستنيان القانونية » وأن يطلق على هذا المجلد اسم الديجست Digest (٥٠) أو البندكت Pandects على حد تعبير جوستنيان . وان تستخدم الحروف الأبجدية المألوفة عند كتابته مع تجنب استعمال الطرق الأخرى للكتابة مثل طريقة الأرقام العددية ، أو الاختصار أو الرموز حتى لاتكون هناك مدعاة للغموض ، وحتى يظل هذا المجلد « محرابا مقدسا للعدالة » على حد قول جوستنيان . وتضمن المرسوم أيضا تكليف تريبونيان باصدار كتيب للدراسات القانونية Institutiones (٥١) لتزويد طلاب الدراسات

---

(٥٠) يرى الباحث الابقاء على التسمية المستعملة منذ عصر جوستنيان حتى الآن فى كل اللغات الأوربية المشتقة من اللاتينية بعد أن لاحظ أن بعض المراجع العربية قدمت تسميات تثير الارتباك ، اذ أطلقت هذه المراجع على الديجست لفظ : الجامع ! ، مجموعة الفقه ! ، الموسوعة ! ، الموجز ! ، المختار !!! ...

انظر على التوالى شفيق **شحاته** ، القانون الرومانى ، ص ٤٧ ، **محمد معروف الدواليبى** ، الوجيز فى الحقوق الرومانية وتاريخها ، ص ٣٢٩ ، عمر **ممدوح مصطفى** ، القانون الرومانى ، ص ١٠٩ ، **حسين مؤنس** (مترجم) الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٦ ، **السيد الباز العرينى** ، الدولة البيزنطية ، ص ٩٢ .

(٥١) يرى الباحث أيضا الابقاء على التسمية اللاتينية Isntitutiones كما هى اذ أن بعض المراجع العربية أطلقت عليها : المتون ! ، الأحكام القانونية ! ، مجموعة النظم ! ، الشرائع ! ، مدونة جوستنيان !!! .. انظر على التوالى **شفيق شحاته** ، القانون الرومانى ، ص ٤٦ ، **محمد معروف الدواليبى** : الوجيز فى الحقوق الرومانية ، ص ٣٢٩ ، **عمر ممدوح مصطفى** ، **القانون الرومانى** ص ١٠٩ ، **السيد الباز العرينى** ، الدولة البيزنطية ، ص ٩٣ ، عبد **العزيز فهمى** (مترجم) مدونة جوستنيان فى الفقه الرومانى .

القانونية بالقواعد التي تمهد للتعمق في الدراســـات الأعلى • وصدر مرسوم التكليف هذا في الثامن عشر من ديسمبر سنة ٥٣٠ (٥٢) •

على أن انجاز هذا العمل فاق بكثير الانجاز الأول في الجهد والمشقة اذ استغرق ثلاث سنوات ، غير أنها في الواقع كانت مدة قياسية اذ كان متوقعا للانتهاء من تصنيف الديجست عشر سنوات • وبفضل جهود تريبونيان ورفاقه ، ولوجود مكتبة قانونية نادرة في حوزة تريبونيان ، تمكنت اللجنة من الاطلاع على حوالى ألفى كتاب لرجال القانون احتوت على ما يزيد على ثلاثة ملايين سطر • وتمكنت اللجنة من انجاز مهمتها على ضوء تعليمات الامبراطور جوستنيان • وأخرجت مجلدا واحدا ضم خمسين كتابا ، اشتملت على حوالى مائة وخمسين ألف سطر • وذلك في السابع عشر من ديسمبر ٥٣٣ (٥٣) •

كان على جوستنيان وضع مجموعته التشريعية موضع التنفيذ ، وهو الأمر الذى تطلب تحديدا لأسـلوب العمل تفصيليـا سواء في ســاحة القضاء • أو في قاعات الدراسات القانونية • لذلك أصدر مرسوما من أربع وعشرين فقرة يتعلق بساحات القضــــاء ، ووجهه الى كل رجال الســـناتو وكل شـعوب الامبراطورية وعرف هــذا المرســوم باسـم Constitutio Tanta ، وآخر الى أساتذة القـــانون موضحا به تفصيليا خطة الدراسة القانونية وفقا لتشريعاته الجديدة تضمن هذا المرسوم احدى عشرة فقرة وعرف هذا القانون باسم Constitutio Omnem وأصدر هذين المرسومين بتاريخ واحد (السابع عشر من ديسمبر ٥٣٣) •

ففي مجال الطبيق العملى لتشريعــات جوستنيان القانونيــة حدد المرسوم السابع والعشرين من ديسمبر ٥٣٣ كبداية للعمل بها ، أى أنه جعل التنفيذ بعد عشرة أيام من تاريخ اعلان المرسوم • والزم المرسوم كل القضاة بالالتزام بهذه القوانين في كل أمورهم القضائية • وكذلك الزم الحكام العامين الثلاثة لأقسام الامبراطورية • Pretorian Prefects (الأقاليم الثلاثة الشرقى ، الايلليرى ، والليبى) بمتابعة التنفيذ (٥٤) •

---

(٥٢) Constitutio Deo Auctore in The Digest of Justinian, Vol. I. Tr. C. H. Monro, pp. XII-XVII.

(٥٣) *Constitutio Tanta*, in The Digest of Justinian, Vol. I. pp. xxv-xxxvi; *Colquhoun*, Roman Civil Law, Vol. I, p. 76; ***Nicholas***, An Introduction to Roman Law, pp. 39-40; *Schulz*, History of Roman Legal Science, p. 319, W. *Ullmann*, Law and Politics in the Middle Ages, p. 55.

(٥٤) Constitutio Tanta, 24, p. xxxvi in the Digest of Justinian, Vol. I.

ونص المرسوم صراحة على نسخ كل التشريعات السابقة ، بل وعلى عدم السماح باجراء مقارنة بينها وبين التشريعات السابقة ، بل وعلى عدم السماح باجراء مقارنة بينها وبين التشريعات الجديدة ، وحذر القضاة من عدم التنفيذ لها بتوقيع أقسى أنواع العقوبات مع الادانة بالتزييف (٥٥) . وحذر المرسوم رجال القانون من وضع تفسيرات للقانون ، باستثناء ترجمته الى اللغة اليونانية شريطة ان تكون الترجمة وفقا للنظام والتسلسل . الموجود فى النصوص اللاتينية . واعتبر كتابة التفسيرات القانونية جريمة يعاقب عليها بتهمة التزييف . والزم القضاة بطلب التفسيرات ، فى حالة ظهور ما يثير الشك ، من الامبراطور شخصيا ، « لأن الامبراطور هو الذى يسن القوانين ويفسرها » . على حد قول جوستنيان (٥٦) . والواقع أن جوستنيان كان يؤمن بسنة التطور ، وأن طبيعة القانون البشرية ، تحمل سمة التطور لأن الطبيعة البشرية تقدم بصفة مستمرة أنماطا ، جديدة للحياة . لذلك نص المرسوم ، « اننا نتوقع ظهور أمور ضرورية وملحة ليست ضمن الاطار العام لتشريعاتنا القانونية ، فعندما تظهر أى قضية من هذا القبيل ، يجب ترك هذا الأمر للامبراطور للبت فيه ، حيث أن الله أقام الامبراطور لرعاية الشئون البشرية ، وجعله فى وضع يسمح له بالتعديل والتنظيم ، واصدار الصيغ الصحيحة » (٥٧) . وحذر جوستنيان الكتبة الذين يمارسون حرفة النسخ من اللجوء الى طريقة الرموز Ciphers عند نسخ أى كتاب من المجموعة القانونية واعتبر ذلك جريمة عقوبتها نفس عقوبة التزييف بالاضافة الى دفع ضعف ثمن الكتاب كغرامة . والزمهم باستخدام الحروف الأبجدية بوضوح (٥٨) .

عبر جوستنيان عن سعادته لصدور مجموعته القانونية سنة ٥٣٣ ، بل أنه اعتبر هذا العام من أسعد سنين حكمه ، اذ طالب الشعب كله بتقديم اسمى آيات الشكر لله ، وبالمحافظة على مجموعته القانونية التى صدرت بمشيئة الله فى الوقت الذى وضعت فيه الحروب الفارسية أوزارها ، وانتهت بسلام دائم ، وعادت كل أقاليم ليبيا الى أحضان الامبراطورية ـ « وبذلك أفاض الله علينا بكل النعم » على حد قول جوستنيان (٥٩) .

---

(٥٥) Ibid, 19, p. xxxiv.

(٥٦) Idem, 21, p. xxxiv.

(٥٧) Idem, 18, p. xxxiii.

(٥٨) Constitutio Tanta, 22, p. xxxv.

(٥٩) Ibid, 1, p. xxvi; 23, p. xxv.

وفى المجال التعليمى خاطب جوستنيان كلا من أساتذة القانون والطلبة ، اذ أصدر مرسوما خصيصا للأساتذة الثمانية (٦٠) • الذين يدرسون القانون فى كل من القسطنطينية وبيروت من احدى عشرة فقرة تحدث فيها بالتفصيل عن أهمية تدريس مجموعته القانونية بل ووضع لهم برنامج التدريس على مدار مرحلة الدراسات القانونية التى كانت خمس سنوات ففى السنة الأولى حدد تدريس كتاب مبادىء الدراسات القانونية Institutes والكتب الأربع الأولى من مجلد (الخلاصة ؟) أو (المختصرات ؟) •

وفى السنوات التالية حتى السنة الرابعة يدرسون اثنين وثلاثين كتابا فقط من مجلد الخلاصة أو المختصرات (٦١) • وأما فى السنة الخامسة فيدرسون مجموعة جوستنيان Codex Justinianus • على أن جوستنيان قصر تدريس هذه القوانين على مدينتى القسطنطينية وبيروت « مهد الدراسات القانونية » فحسب نظرا لأن الأساتذة فى قيصرية بفلسطين ، وكذلك الاسكندرية لم يكونوا على مستوى المسئولية • وحذر جوستنيان المخالفين لقراره هذا من التعرض للغرامة التى كانت عشرة أرطال من الذهب مع الطرد من المدينة ، وهذا التحذير موجه للأساتذة فى غير القسطنطينية وبيروت (٦٢) •

كانت كلمة جوستنيان لطلبة الدراسات القانونية هى المقدمة Proemium التى تصدرت كتاب مبادىء الدراسات القانونية ، والذى صدر فى الحادى العشرين من نوفمبر ٥٣٣ أى قبل اصداره المرسوم لأساتذة القانون بشهر تقريبا • وفى هذه الكلمة وضح جوستنيان للطلبة أهمية الدراسات القانونية ، وأنها الركن الأول لتحقيق العدالة فى المجتمع وكعادته أوضح لهم الهدف من حركته التشريعية التجديدية • وحثهم على التفانى فى الدرس والتحصيل حيث ينتظرهم مستقبل باسم « فى المشاركة فى حكم جزء من الامبراطورية بعد انتهاء دراستهم بنجاح » (٦٣) •

---

(٦٠) الأساتذة الثمانية هم :

Isidorus	ايسيدوروس	Theophilus	ثيوفيلوس	Dorotheus	دوروثيوس
Anatolius	اناتوليوس	Thaleloeus	ثاليليوس	Theodorus	ثيودروس
	انظر :	Cratinus	كراتينوس	Solaminius	سولامينيوس

Constitutio Omnem, P. XV III in the Digest of Justinian, Vol. I.

(٦١) *Constitutio Omnem*, pp.. XX-XIII; *P. Collinet*, Histoire dé L'Ecole de Droit de Beyrouth, (Paris, 1925), p. 16; *T.E. Holland*, The Institutes of Justinian, Second Edition, (Oxford, 1881), pp. xxx-xxx.

(٦٢) *Constitutio Onnem*, pp. xx-xxiv.

(٦٣) Proemium of the Institutes of Justinian, pp. 1-3, translated by T.C. Sanders,

تلك كانت المحصلة التى تم انجازها فى مجال التشريع حتى نهاية سنة ٥٣٣ . وللمرء أن يسأل عن دور جوستنيان بعد ذلك وحتى سنة ٥٦٥ . الواقع أن جوستنيان حمل صفة « المشرع » من بين الصفات التى حملها للاستمراره فى اصــدار القوانين الجديدة حتى آخر ســنة له على العرش .

على أن هذه القوانين الجديدة Novellae Constitutiones لم تجمع بصفة رسمية على الاطلاق . ومعظمها صدر فى الفترة ما بين ٥٣٥ ـ ٥٥٦ م . وعدد كثير منها غير محدد التاريخ . والاسم الحديث لهــا هو Novels وهى موجهة الى بعض كبار موظفى الدولة بخصوص المسائل العامة ، وعدد كبير منها يتعلق بالأمور الكنسية . ولما كانت اللغة اليونانية هى لغة غالبية سكان الامبراطورية ، لذلك كان طبيعيا أن تصدر معظم هذه القوانين الجديدة (النوفلات) باللغة اليونانية . وفى كثير من الحالات لم يكن القصد منها صدور قانون لتطبيقه فى كل أنحاء الامبراطورية ، لكنها تحتوى على تعليمات لما يجب اتباعه فى بعض الأقاليم الخاصة . والقليل من هذه القوانين صدر باللغتين اليونانية واللاتينيـة والقانون الموجه الى الأقاليم التى يتحدث سكانها باللغة اللاتينيـة مثل ايلليريا ، وأفريقيا ، وايطاليا ، فانها صدرت باللغة اللاتينية فحسب . ومعظم هذه (النوفلات) موجه فى المقام الأول الى الحاكم العام للأقاليم الشرقية Praefectus preatorio Orientis ، ومن واجبه ابلاغها الى حكام الأقاليم Rectores provinciarum الذين كان من واجبهم اذاعتها على الشعب . ومعظم (النوفلات) المهمة التى تتعلق بالكنيسة كانت موجهة الى بطريرك القسطنطينية (٦٤) .

والواقع أن (نوفلات) جوستنيان أحد المصادر المهمة لعصره ، حتى يتمكن الباحث من الوقوف على أحــوال الامبراطورية الداخليـة المتعلقة بسياسته فى ادارة الأقاليم ، وفى سياسته الكنسية ، والقضائيـــة ، وتنظيمه للأسرة المسيحية فيما يتعلق بالارث والزواج .

على أية حال تميز جوستنيان عن غـيره من أباطرة الرومان بأنه الامبراطور المشرع ، بنفس القدر الذى تميز به بالولع فى اقامة الانشاءات المعمارية .

---

(٦٤) T.R. *Walton*, Historical Introductiontion to the Roman Law, Fourth Edition, (London, 1920), pp. 306-307; *Colquhoun*, Op. Cit., I, pp. 73-74; B. *Nicholas*, An Introduction to Roman Low, (Oxford, 1962), p. 42.

كانت احدى المفاهيم عن الامبراطور الرومانى ، اقامته للانجازات المعمارية وفاق بعض الأباطرة غيرهم فى هـــذا المجـــال مثل أوغسطس وتراجان ، ودقلديانوس وقسطنطين (٦٥) · غير أن الامبراطور جوستنيان فاق كل أباطرة الرومان جميعا فى انجازاته المعمارية الرائعة · وبالرغم من تقديم بروكوبيوس بحثا من ستة كتب تضمنت الانشاءات الضخمة التى تمت فى عصر جوستنيان فى عدة مجالات · كنسية ومنشآت عامة ، ودفاعية وغيرها ، فان المؤرخ نفسه يؤكد على ان هناك الكثير من الانجازات المعمارية التى تمت فى عصر جوستنيان ، والتى لم يذكرها لأنه لم يشاهدها أو لأنها ظلت غير معروفة لديه ، « وانى لعلى يقين كامل بأن هناك الكثير من الانجازات المعمارية التى لم أذكرها دون عمد نظرا لأنى لم أشاهدها لكثرتها أو لأنها ظلت غير معروفة لى ، ولهذا إذا ما قدر لأى انسان أن يأخذ على عاتقه عملية البحث عنها ، واضافتها الى بحثى هذا ، فسيكون له فضل تادية عمل ضرورى ، وله شرف المجب للانجازات العظيمة » (٦٦) · ثم يؤكد استحالة حصر الانشاءات التى أقامها جوستنيان قائلا : اذا ما حاولنا حصر كل الانشاءات الضخمة التى شيدها جوستنيان فى طول وعرض الامبراطورية الرومانيـــة ، فان ذلك عمل شـــاق بل مســـتحيل كلية » (٦٧) · ومع ذلك فان ضخامة هذه الانجازات المعمارية جعلته يقدم بحثه بعد ملاحظته بأن انشاءات الأباطرة السابقين والتى لم يكتب عنها أصبحت موضع شـــك هـــذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن انجازات جوستنيان المعمارية الضخمة والعديدة من المحتمل ان يرفض أى انسان أنها تمت على يد امبراطور واحد (٦٨) ·

والواقع أن بحث بروكوبيوس « عن الانشاءات » هو المصدر الوحيد الشامل لكل انجازات جوستنيان المعمارية ، وما بقى من هذه الانجازات المعمارية حتى يومنا هذا لدليل قوى على روعة هذا العصر ، الذى تجلت فيه العبقرية والفن والرغبة الأكيدة فى الانجاز ، وهى السمة التى تميز بها عصر جوستنيان لا فى مجال الانشـــاءات فحسب ، بل فى المجالات الأخرى المتعددة والتى لا تقل روعة عن المجال المعمارى ·

على أن أروع الانجازات المعمارية والتى ما زالت باقية بالشكل الذى كانت عليه فى عصر جوستنيان ، كنيسة الحكمة « أيا صوفيا » التى

---

(٦٥) G. Downey, Constantinople in the Age of Justinian, Norman, 1960), p. 92.

(٦٦) *Procopius*, Buildings, p. 393.

(٦٧) *Procopius*, Buildings, pp. 37-39.

(٦٨) Ibid, pp. 3-9.

ظلت شاهدا على تقدم ، الفن المعمارى ، والتى برهنت على العبقرية فى التصميم والتنفيذ • ويرجع الفضل فى ذلك إلى وضوح الرؤية ، وحسن البصيرة عند جوستنيان ، اذ كان فى مقدرته انتقاء الرجال المناسبين لوضع مشروعاته الضخمة موضع التنفيذ • وكان اختياره موفقا للعالم المهندس أنثيميوس الترالى Anthemius of Tralles أعظم علماء فن البناء فى عصره ، والذى لم يسبقه شخص آخر من قبل • ومد هذا العالم يد العون لحماس الامبراطور جوستنيان فى حينه ، منظما لأعمال الصناع المهرة المتعددين ، ومعدا التصميمات الفنية للبناء (٦٩) •

غير أن أنثيميوس لم يكن يعمل وحده ، وانما ساعده زميله ايزيدوروس Isidorus وهو من أهالى آسيا الصغرى أيضا ، ووصفه بروكوبيوس بأنه ، « كان رجلا ذكيا وجديرا بمعاونة جوستنيان » (٧٠) • ولما كانت كنيسة الحكمة « آيا صوفيا » من أقدم كنائس القسطنطينية حيث بناها الامبراطور قنسطنطين ، ثم جددها قنسطنطيوس وثيودوسيوس الثانى (٧١) ، وعمل كل الأباطرة فيما بعد على زيادة تزينها وتجميلها وأنها كانت ضمن المبانى التى تعرضت للحريق ابان انتفاضة القسطنطينية الشعبية سنة ٥٣٢م ، لذلك سارع جوستنيان باعادة بناء هذه الكنيسة على مساحة أكبر وعلى طراز أفخم بعد أن جمع لها كل الصناع المهرة من كل أنحاء العالم (٧٢) • كما أرسل جوستنيان أوامره الى حكام أقاليم الامبراطورية يطلب منهم البحث فى كل ضواحى أقاليمهم عن بقايا أثرية للمعابد المنهارة أو المهجورة • والتى يمكن أن تفى بغرض بناء كنيسة الحكمة • فأرسلت روما ثمانية أعمدة من الرخام السماقى ، وهم من بقايا معبد الشمس ، كما أرسلت مدينة افسوس ثمانية أعمدة من الرخام الأخضر • كما تم استخراج الكثير من الرخام من المناجم والمحاجر من أجزاء

---

(٦٩) *Procopius*, Buildings, p. 12.

انحدر المهندس أنثيموس من أسرة موهوبة ، تميزت بتعدد البراعات والمهارات فاحد اخوته كان أديبا ، ثم صار معلما لأبناء العديد من الأسر الشهيرة فى القسطنطينية وآخر كان محاميا ناجحا ، واثنان طبيبان ناجحان ، أحدهما ظل فى مدينة ترالى Tralles فى آسيا الصغرى ، مسقط رأسه ، والثانى عمل فى روما • والواقع أن شهرة أنثيميوس لم تكن قاصرة على الانجازات المعمارية فحسب وانما كانت لديه الخبرة الفائقة على تطبيق العلوم الرياضية • انظر :

Agathias, Historiarum, ed. Dindrof, Paris III, pp. 292-293;
G. R. Baker, Justinian, p. 10 *Ure*; Justinian and his Age, p. 224.

(٧٠) *Procopius*, Buildings, p. 12.

(٧١) *Lebeau*, Op. cit., T. 8, p. 402.

(٧٢) Procopius, Op. Cit., P. II; *Agathias*, Op. Cit., p. 295.

مختلفة من الامبراطورية وبخاصة من آسيا الصغرى ، ومصر ، وجزيرة رودس . الى أن تكدست بالقسطنطينية كميات كبيرة من الأثار التذكارية للمعابد الوثنية والرخام والأحجار ومواد البناء التى يمكن أن تستخدم لاعادة تخطيط المدينة وليس لمجرد اعادة بناء كنيسة الحكمة (٧٣) .

ولا شك أن نجاح جوستنيان فى القضاء على الوثنية واستيلائه على معابدها وما بها من كنوز أتاح له الفرصة لهدم هذه المعابد واستخدام ما بها من أعمدة من الرخام المتعدد الألوان الى حد الوفرة التى ساعدت على ظهور كنيسة الحكمة على هذا النحو الرائع ، وكذلك اقامة بعض الانجازات المعمارية الأخرى بالعاصمة .

على أية حال بدأ العمل فى بناء كنيسة الحكمة بعد مرور أربعين يوما على « انتفاضة نيقا الشعبية » (أى فى الثالث والعشرين من فبراير ٥٣٢) (٧٤) واشترك حوالى عشرة آلاف عامل ، كانوا يتقاضون أجورهم يوميا من الفضة . (٧٥) وانتهى العمل من بناء هذا الانجاز الرائع بعد خمسة أعوام ونصف حيث افتتحها جوستنيان فى عيد ميلاد سنة ٥٣٧ م . (٧٦) وكان يوم الافتتاح عيدا شعبيا صاحبه توزيع المنح والهدايا العديدة وركب البطريرك ميناس Menas العربة الامبراطورية الى مبنى الكنيسة بينما مشى الامبراطور بجواره مع الشعب . (٧٧) وتقدم الامبراطور تجاه محراب الكنيسة ، ونظر حوله ، ثم رفع يديه الى السماء قائلا « المجد لله الذى قدر أنى جدير بانجاز هذا العمل العظيم ، لقد جاوزت فيه قدرة سليمان وتفوقت عليه » (٧٨) .

ولنا أن نقبل ما قاله جوستنيان على أنه أمر عادى اذا ما عرفنا حالة الورع ، والتقوى التى مر بها بروكوبيوس عند دخوله كنيسة الحكمة اذ قال « اذا ما دخل أى انسان هذه الكنيسة للصلاة ، أحس بأنها ليست من

---

(٧٣) *M. Cyril*, The Art of the Byzantine Empire, pp. 81-85. *Downey*, Constantinople in the Age of Justinian, p. 109; *Holmes*, Op. Cit., p. 11; pp. 532-533.

(٧٤) *Diehl*, Manuel d'Art Byzantine, I, p. 179, *Stein*, Op. Cit., II. p. 458.

(٧٥) Diehl Justinen, p. 414; *Bury*, Op. Cit., II. P. 49; *Cyril*, Op. Cit., pp. 96-97.

(٧٦) *Marcellinus Comes*, Chronicon, Col. 943; *Diehl*, Justinien, P. 386; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 536.

(٧٧) *Theophanes*, Op. Cit., I, p. 339; *Holmes* Op. Cit., II, p. 537.

(٧٨) *Lebeau*, Op. Cit., 8, p. 405; *Diehl*, *Manuel* D'Art Byzantine, P. 155; *Franzius*, History of the Byzantin Empire, p. 78.

اعمال القوى البشرية بيد أنها تمت بمشيئة الله . ذلك أن الروح حين ترقى الى السماء تدرك أن الله هنا قريب منها ، وهذا الشعور يحدث كل مرة كأن الانسان يزورها للمرة الأولى » (٧٩) .

على أن بروكوبيوس لم يشأ أن يطيل فى وصف كنيسة الحكمة وما بها من كنوز ، وانما اكتفى بأن المحراب المقدس الذى يدخله القساوسة فحسب كان مزخرفا بما وزنه ألف رطل من الفضة . وأن السقف تعلوه طبقة من الذهب الخالص (٨٠) . هذا فى الوقت الذى كان فيه حاجز فرقة المرتلين ، وتيجان الأعمدة ، وزخارف الأبواب ، وملابس الكهنة ، والأوانى المقدسة كلها من الذهب الخالص الموشى بأثمن الجواهر (٨١) . وبلغ عدد العاملين بالكنيسة حوالى خمسمائة (٨٢) . وخصص جوستنيان ألف ومائة محل للانفاق على كنيسة الحكمة وحدها (٨٣) .

ومن الطبيعى أن يتطرق الى ذهن الباحث سؤال عن أبعاد هذه الكنيسة وهو الأمر الذى لم يذكره بروكوبيوس . بيد أن ايفاجريوس (٥٩٣م) قدم لنا وصفا عن أبعادها كما هى عليه الآن ومن وصف ايفاجريوس اتضح للباحث أن ارتفاع قبة الكنيسة يزيد قليلا عن ارتفاع عمارة مكونة من عشرين طابقا فى أيامنا هذه وايمانا من ايفاجريوس بأهمية الأبعاد حتى تتكون عند المرء فكرة واضحة عن المبنى ، أكد على ذلك « بيد أنه لكى ينقل فكرة واضحة عن المبنى العجيب ، أجد من المناسب أن أحدد بالأقدام طول الكنيسة وعرضها وارتفاعها ،وامتداد أقواسها ، وارتفاع هذه الأقواس ، الطول من الباب المطل على الجزء الناتىء النصف دائرى من الكنيسة حيث تتم مراسيم طقوس قربان الذبيحة هو مائة وتسعون قدما . والعرض من الشمال الى الجنوب هو مائة وخمسون قدما ، وعمق نصف القبة الكروى من وسطها الى الأرض مائة وثمانون قدما ، وامتداد كل قوس من الأقواس المقنطرة ستة وستون قدما ، والطول من الشرق الى الغرب مائتان وستون قدما (٨٤) .

---

(٧٩) *Procopius*, Buildings, p. 37, *Ure*, Op. Cit., p. 223.

(٨٠) *Procopius*, Op. Cit., p. 25, 27.

(٨١) جيبون ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج ٢ ، ترجمة لويس إسكندر ، ص ٤٣٧ .
Jean Ebersolt, Constantinople Byzantine, p. 29.

(٨٢) *Lebeau*, Op. Cit., T. 8, pp. 406-407.
كان بها ستون قسا ، ومائة شماس ، وأربعون شماسة ، وتسعون شماس مساعد ومائة قارىء وخمسة وعشرون منشدا ، ومائة عامل .

(٨٣) Nov. XLIII, Préface, p. 306.

(٨٤) *Evagrius*, Op. Cit., p. 413.

على أن ايفاجريوس لم يكتف بمجرد ذكر هذه الأبعاد ، بل وصف الكنيسة بأنها مبنى هائلا ولا مثيل له ، ولم يسبق أن أقيم شبيه له ، وأنه يفوق الوصف · ثم قدم وصف للمباني دون ذكر شيء عن مظاهر الجمال من ألوان المرمر ، والفسيفساء ، وما بها من ذهب وفضة (٨٥) · ولم يذكر ايفاجريوس شيئا عن اعادة بناء القبة الكبرى للكنيسة فى عصر جوستنيان · اذ أن هذه القبة تعرضت للانهيار على أثر الزلزال الذى حدث فى ديسمبر ٥٥٧ ، لذلك أعاد جوستنيان بناء القبة وزاد من ارتفاعها حتى صارت مائة وثمانين قدما بدلا من مائة وستين قدما · وأقيم احتفال بذلك فى السابع من مايو ٥٥٨ م (٨٦) ·

ويبدو أن حالة الانبهار التى مر بها بروكوبيوس ، نتيجة لروعة ، وفخامة وضخامة مبنى كنيسة الحكمة ، هى التى جعلته يعطيها الأولوية فى الترتيب فى بحثه عن انجازات جوستنيان المعمارية ·

على أية حال ، اذا كانت كنيسة الحكمة هى أروع انجازات جوستنيان فى مجال المبانى الدينية فانها لم تكن الوحيدة ، اذ أنه بنى فى القسطنطينية وحدها أكثر من ثلاثين كنيسة (٨٧) · نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر اعادة بناء كنيسة الرسل ، حيث بناها على شكل صليب ، ولها خمس قباب فى نهاية كل طرف قبة والقبة الخامسة فى الوسط عند نقطة التقاطع أى على نمط كنيسة الحكمة ، بيد أنها كانت أصغر منها حجما ، وهى التى كانت بها مكان لدفن الأباطرة وزوجاتهم منذ عهد قنسطنطين حتى عصر جوستنيان (٨٨) · وتليها كنيسة ايرين ، والتى كانت قد تعرضت للحريق مع كنيسة الحكمة ، وجعلها جوستنيان أكبر حجما عن ذى قبل ، وفاقت كل الكنائس بالقسطنطينية باستثناء كنيسة الحكمة التى كانت بجوارها (٨٩) · وبنى الامبراطور العديد من الكنائس باسم السيدة العذراء ، اذ كان بالقسطنطينية وحدها ثلاث كنائس تحمل اسمها : هذا بخلاف الكنائس الأخرى ، « فى كل أنحاء الامبراطورية والتى خصصها للعذراء والتى كانت فى غاية الروعة والضخامة » ، حتى أنه اذا

---

(٨٥) *Ibid*, p. 412.

(٨٦) *Malalas*, Op. Cit., p. 495; *Agathias*, Op. Cit.,, pp. 275-266; *Theophanes*, Op. Cit., I, pp. 359-360; *Diehl, Justinien*, p. 488.

(٨٧) *Cyril*, Op. Cit. P. 55; *DoWney*, Constantinople in the Age of Justisian, p. 103.

(٨٨) *Procopius* Buildings, pp. 49-53; *Diehl*, Art Byzantine, p. 179; Cyril, Op. Cit., pp. 102-103.

(٨٩) *Procopius*. *Buildngs*, p. 37.

ما شاهد انسان احداها لاعتقد أن الامبراطور قد شيد تلك المباني فحسب ، وأنه قضى عهده مشغولا ببناء هذه الكنائس وحدها (٩٠) .

ويؤكد بروكوبيوس مرارا على مسئولية جوستنيان عن الامبراطورية منذ بداية عهد خاله ، ولذلك ذكر الانشاءات التي بدأت منذ سنة ٥١٨ م على أنها انجازات جوستنيان نفسه ، وبفضل الامبراطور جوستنيان ، فانه يجب أن ينسب اليه بناء الكنائس فى عهد خاله جوستين لأن جوستنيان كان يدير دفة شئون الدولة فى عهد خاله نظرا لقوة نفوذه وسلطانه (٩١) .

على أن جوستنيان لم يقتصر على بناء الكنائس فى القسطنطينية وانما اعاد بناء المنطقة المحيطة بالقصر الامبراطورى ، فبنى حمامات زيوكسيبوس Zeuxippus وأقام الأعمدة الضخمة على الجانبين حتى سوق قنسطنطين ، وأعاد بناء قصر هورميزداس Hormisdas القريب من القصر . كما أعاد بناء مبنى مجلس الشيوخ ، وأقام أمامه ست أعمدة على شكل رواق معمد Portico ، وصفها بروكوبيوس بأنها كانت أضخم أعمدة فى العالم ، وكلها مزينة بالرخام الأبيض وسطح هذه الأعمدة معقود Vaulting ووضع عددا كبيرا من التماثيل على سطح هذه الأعمدة ، وبشكل جميل (٩٢) .

وأعاد جوستنيان بناء القصر الامبراطورى ، والذى قال عنه بروكوبيوس ، « انه من المستحيل وصفه بالكلمات » . بيد أنه اكتفى بوصف مدخل القصر الذى كان آية فى الروعة وغاية فى الأهمية ، لما تضمن من صور لها أهميتها التاريخية القصوى : فعلي جانبى المدخل المعروف باسم البوابة البرونز Chalke رسمت الصور بمكعبات ، الفسيفساء المختلفة الألوان التى تمثل الحروب والمعارك خاضها بليزاريوس . وكذلك المدن التى فتحها فى ايطاليا ، وفى افريقيا والصور تعبر عن الغنائم التى قدمها بليزاريوس للامبراطور جوستنيان ، وكذلك الملكين الذين وقعا فى الأسر . ويقف الامبراطور وسط الصورة وبجواره الامبراطوره ثيودورا ،وقد بدت عليهما الفرحة بالانتصار على ملك الوندال ، وملك القوط وحولهما يقف أعضاء مجلس الشيوخ في غاية الفرح . (٩٣)

---

(٩٠) Ibid, p. 39.

(٩١) *Procopius*, Buildings, p. 41.

(٩٢) *Procopius*, Buildings, pp. 81-83 ; *Diehl*, Art Byzantine p. 180;, Cyril, Op. Cit., pp. 108-109; *Downey*, Constantinople in the Age of Justinian, pp. 97-99,

(٩٣) *Procopius*, Buildings, pp. 83-87; *Holmes*, Op. Cit., II, pp. 537-538; *Cyril*, Op. Cit., pp. 109-110.

على أن هذا القصر الذى كان يقيم فيه الامبراطور لم يكن الوحيد الذى بناه، وانما بنى العديد من القصور داخل القسطنطينية فى عدة أماكن مختلفة ، وكعادة بركوبيوس عند ذكر الانشاءات التى أقامها جوستنيان ، فانه لم يقدم لنا وصفا دقيقا او تفصيليا لتلك القصور ، وانما اكتفى بالقول بأنها بلغت حدا من الروعة والجمال لا يستطيع أن يجد الكلمات المناسبة التى تعبر عن ذلك ، كما أنها تكلفت مبالغ من الأموال « بما يصعب عده أو حسابه » (٩٤) .

ولكى يكرم زوجته التى أحبها من كل قلبه ، أقام جوستنيان لها تمثالا جميلا بالقسطنطينية وهو الأمر الذى لم يحدث من قبل أن أقام امبراطور تمثالا لزوجته . ففى الجنوب الشرقى من القسطنطينية أقيم تمثال « على عمود من الرخام الارجوانى اللون للامبراطورة ثيودورا . وكعادة بروكوبيوس فى الاطراء — وهو الطابع الغالب عليه فى بحثه « عن الانشاءات » — فانه عبر عن جمال ثيودورا قائلا ، « التمثال جميل بيد أنه أقل جمالا من جمال الامبراطورة لأنه اذا ما حاولنا وصف جمالها بالكلمات أو بالرسم أو الصورة فان ذلك أمر مستحيل كما أطلق على الساحة التى بها التمثال « ساحة ثيودورا » .

والواقع أن انشاءات جوستنيان فى العاصمة لم تقتصر على اقامة الكنائس والقصور والتماثيل ، وانما امتدت الى شتى نواحى الحياة العامة وعلى رأسها مسألة مياه الشرب التى عانت منها المدينة فى فصل الصيف بسبب الندرة لذلك بنى خزانين على نطاق كبير : أحدهما غرب ميدان سباق الخيل ، مكان قصر ايللوس Illus القائد الشهير على عهد زينون ، وكان يحمل سطح هذا الخزان مائتان وأربعون عمودا (٩٥) . وأما الخزان الثانى فكان أكبر وأعمق ويحمل سقفه أربعمائة وعشرون عمودا . ويقع خلف المحكمة ، وبذلك أصبحت المياه العذبة متوفرة للمدينة طوال العام (٩٦) .

ومن بين الانجازات الرائعة التى شيدها جوستنيان بالعاصمة اقامته ميناءين صناعيين لكل منهما حى كامل . وقد كلفه ذلك اقامة حاجزين

---

(٩٤) *Procopius*, Buildings, P. 93; *Downey*, *Constantinople* in the Age of Justinian, pp. 99-100.

(٩٥) *Malalas*, Op. Ci., pp. 435-436; Chronicon Paschale, p. 618; *Zonaras*, Op. Cit., III. pp. 157-158, *Holmes*, Op. Cit., II, p. 539; Franzius; Byzantine Empire, p. 75.

(٩٦) *Procopius*, Buildings, pp. 91-93, *Diehl*, Art Byzantine, pp. 120-121; *Ure*, Op. Cit., p. 226.

طويلين ضد الأمواج فى عرض البحر من أحجار ضخمة وبذلك صارت السفن فى مأمن تام حتى فى حالة قيام أقسى العواصف • ونتج عن تشييدهما أن دبت الحياة عندهما وأقيمت الأسواق والحمامات والكنائس ، وكل أنواع المبانى وسبل الحياة المتعددة (٩٧) •

ولم ينس جوستنيان رعاية الحالة الصحية ، اذ كان لها أهمية خاصه لديه ، حيث أعاد بناء احدى المستشفيات بالعاصمة ، وزاد من عدد حجراتها ، كما بنى مستشفيين آخرين بالعاصمة وشاركته الامبراطورة ثيودورا ، « فى هذا المشروع المقدس » على حد قول بروكوبيوس (٩٨) • كما جدد بناء الدار الخاصة بالفقراء المصابين بالأمراض المستعصية (٩٩) •

والجدير بالذكر أنه عند ذكر الانشاءات المعمارية الخاصة بالنواحى الصحية والاجتماعية ، فان بروكوبيوس تعمد ذكر الامبراطورة ثيودورا بعد جوستنيان مباشرة كشريكة له فى هذه الانجازات والتى كان منها بناء دار للضيافة للغرباء بالقسطنطينية الذين لديهم المقدرة على دفع أجر مبيتهم ، والذين كانوا يشكلون أعدادا كبيرة من السكان الذين أتوا الى العاصمة طمعا فى الحصول على مستوى معيشة أفضل (١٠٠) • وهو بالطبع أمر عادى اذ ان عواصم البلاد هى فى الواقع مناطق جذب للقوى البشرية التى تسعى الى تحسين مستواها الاقتصادى •

على أن أهم الانجازات المتعلقة بالناحية الاجتماعية والأخلاقية هى بناء « قصر التوبة » Repentance اذ تعاونت ثيودورا مع جوستنيان فى القضاء على البغاء فى العاصمة وطرد القائمين عليه بعيداً عن أراضى الامبراطورية بعد أن وصل الأمر الى حد يهدد الجميع بالخطر لانتشار البغاء بين الطبقات الفقيرة وامتداده الى الطبقات العليا وتحوله الى سلعة تثير التقزز • وفى قصر التوبة جمعت الدولة ، ممثلة فى جوستنيان وثيودورا كل الساقطات وكفلن لهن حياة كريمة على الشاطىء الآسيوى المواجه للعاصمة (١٠١) •

تلك كانت انجازات جوستنيان المعمارية بالعاصمة وللباحث أن يسأل سؤالا وهو : وماذا عن خارج العاصمة ؟ الواقع أن بروكوبيوس قدم

---

(٩٧) *Procopius*, Buildings, p. 93.
(٩٨) Ibid, p. 37.
(٩٩) *Idem*, p. 79; *Downey*, Constantinople, p. 96.
(١٠٠) *Procopus*, Buildings, pp. 95-97; *Downy*, Constantinople, p. 96.
(١٠١) *Procopius*, Builsings, pp. 75-77.

لنا مادة علمية ثمينة عن كل انجازات جوستنيان المعمارية خارج العاصمة أيضا والتى كان من بينها اقامة الجسور والسدود والقناطر ، ففى المدن التى بآسيا الصغرى والتى تعرضت للكوارث بسبب الفيضانات ، أقام جوستنيان أعظم الأشغال الهندسية هناك على فترات عديدة لحماية مدن : دارا Dara وقرقسياء Circesium والرها Edessa وزينوبيا Zenobia وهيلينوبوليس Helenopolis وجوليوبوليس Juliopolis وطرسوس Tarsus وبفضل اقامة الأسوار والجسور والسدود أمكن تفادى الأخطار • وبذلك صارت كل تلك المدن فى مأمن تام من مخاطر الغرق بمياه الفيضان (١٠٢) •

حرص جوستنيان على اصلاح القناطر ، اذ قام بتجديد الجسر المقام على الجزء الأدنى من نهر الدانوب المعروف باسم Isten بعد أن لاحظ أن هذه القنطرة التى أقامها المهندس أبولودوروس Appollodorus of Damscus فى عهد الامبراطور تراجان Trajan قد تداعت (١٠٣). كما جدد الجسر الخشبى المقام على القرن الذهبى بآخر من الأحجار (١٠٤)• على أن أشهر الجسور التى أقامها جوستنيان كان الجسر المقام عند سنجار Sangaris بالقرب من نيقوميديا Nicomedia (١٠٥) •

وفي آسيا الصغرى أيضا أقام كوبرى عند مدينتى طرسوس Tarsus وأدانا Adana (١٠٦) •

وامتدت انجازات جوستنيان المعمارية لتشمل بناء المدن الجديدة بكل ما تتطلبه من مرافق للحياة ومظاهر الابهة • وبدأ بالعناية بمسقط رأسه ، فبدافع من الشعور بالوفاء والتكريم لقرية توريزيوم Tauresium الصغيرة التى ولد بها ، فانه حولها الى قلعة حصينة ومدينة مزدهرة وأطلق عليها اسم Justiniana Prima Scupi وجعلها عاصمة لاقليم ايلليريا Illyricum وأمدها بكل متطلبات الحياة الأساسية بوفرة وسخاء • وأقام بها المنشآت الهامة مثل : قصر حاكم الاقليم والكنائس ، والميادين ، والأروقة والحمامات ، وقنوات المياه ، وحولت المنطقة الى تحفة رائعة ولكى يكمل علو مكانة المدينة فانه نقل اليها الأسقف للاقليم كله (١٠٧) •

---

(١٠٢) *Procopus*, Buildngs pp. 143-147; *Malalas*, Op. Cit., pp. 425-426; *Diehl*, Art Byzantine, p. 182; *Ure*, Op. Cit., p. 239.

(١٠٣) *Procopius*, Building pp. 271-273.

(١٠٤) *Chronican Paschale*, p. 618; *Lebeau*, Op. Cit., 8, p. 122.

(١٠٥) *Ure*, Op. Cit., p. 237.

(١٠٦) *Procopius*, Buildings, pp. 337-341.

(١٠٧) *Nov. XI*, pp. 107-109; *Nov. 131*, C. 3, 241; *Procopius*, Op. Cit., P. 245; Ure, Op. Cit., p. 232.

وتخليدا لذكرى خاله شيد مدينة أخرى ، قرب مسقط رأسه ، وأطلق عليها Justinopolis (١٠٨) ولحبه لزوجته ثيودورا ، وبهدف تخليد ذكراهـا أقام أيضـا مدينة فى اقليم تراقيـا Thrace وأطلق عليها Theodorapolis (١٠٩) .

أما المدن التى حملت اسم جوستنيان بالشرق فهى عديدة نذكر منها مدينة Justinianopolis فى اقليم موئيزيا Moesia (١١٠) وأخرى باقليم ابيروس Epirus والتى كان اسمها من قبل أدريانوبوليس Adrianopolis (١١١) وكذلك أعاد بناء مدينة دقلديانوبوليس Dioctelianopotis المهجورة فى اقليم ثيساليا Thessaly وأطلق عليها Juslinianopotis (١١٢) .

على أن أهم المدن التى شيدها جوستنيان أو أعاد تجديدها ، مدينة أنطاكية التى كان كسرى أنوشروان قد نجح سنة ٥٤٠م فى تسـويتها بالأرض . غير أن جوستنيان نجح فى اعادة الحياة من جـديد الى تلك المدينة ، بل أنه أقام مدينة جديدة على أنقاض المدينة القديمة لا تقل روعة وجمالا عن المدينة الأصلية ، اذ جعلها أكثر جمالا وقوة ومنعة عن ذى قبل ، وعمل على تقوية سورها وأمنها ضد مخاطر الفيضانات التى كانت تتعرض اليها من نهر العاصى Orontes وبنى بها الحمامات وخزانات الميـاه وحفر الآبار للمياه العذبة بالقرب من كل برج من أبراج سور المدينة وبنى بها الأروقة العامة ، والأسواق العامة وقنوات للمياه العذبة ، وأخرى للصرف ، وشيد بها المسارح ، وكل أنواع المبانى العـامة ، حتى بدت المدينة فى شكلها الرائع ، هذا بالاضافة الى الكنائس التى أنفق عليهـا مبالغ ضخمة . كما بنى مسـتشفى بها قسم خاص للرجـال ، وآخر للنساء ، وهذا بالاضافة الى بناء دار لايواء الغرباء عن المدينة (١١٣) .

لم تكن أنطاكية هى المدينة الوحيدة التى حظيت بعناية جوستنيان وانما امتدت عنايته أيضا الى الرصافة Sergipolis ، والتى اشـتهرت

(١٠٨) *Procopius*, Buildings, p. 230.

(١٠٩) Ibid, pp. 279-281.

(١١٠) *Idem*, p. 313.

(١١١) *Idem*, p. 219.

(١١٢) *Idem*, p. 241.

(١١٣) *Procopius*, Buildings, pp. 165-173; *Malalas*, Op. Cit., p. 443; *DoWney*, «Procopius on Antioch ; a study of Method in the Deaedificius, «Byzantion, XIV, part I (1939) pp. 361-378.

لما بها من مزار للقديس Sergius ، لذلك عمل على تجميل المدينة ، وبنى بها العديد من المساكن ، والأروقة Stoas والمبانى الأخرى لزيادة جمال المدينة وجمل كنيستها وبنى بها خزانات للمياه (١١٤) . كما أعاد بناء مدينة تدمر Palmyra التى كانت مهجورة فى عهده ، وأمدها بالمياه ، وبحامية عسكرية قوية ، وبذلك حولها الى قلعة لحماية الأراضى السورية من هجمات القبائل العربية حيث أن هذه المدينـــة كانت تقع فى طريق القبائل المغيرة وصارت هذه المدينة التى كانت مهجورة من قبل « تتحدى كل وصف » . على حد قول بروكوبيوس (١١٥) .

وفى بيت المقدس Jerusalem بنى جوستنيان كنيسة باسم العذراء بلغت من الروعة حدا فاق العادة (١١٦) . وأقام بها دارا لضيافة الغرباء عن المدينة ومستشفى لعلاج الفقراء بالمجان (١١٧) . كما أعاد بناء خمس كنائس كانت قد تعرضت للدمار على أيدى السامريين (١١٨) . وجدد بناء الأديرة العشرة فى المدينة ، هذا بالاضافة الى حفر الآبار بها ، واقامة خزانات للمياه (١١٩) .

وامتدت انجازات جوستنيان الى انشـــاء الطرق ، اذ أقام طريقا مرصوفا بالأحجار الضخمة لربط اقليمى بيثينيا Bithynia وفريجيـا Phrygia طوله عشرة أميال ، بعد أن كانت المواصـــلات تنقطع بين الاقليمين لتحول الطريق المعتاد بينهما الى مستنقعات بصفة دائمة ، الأمر الذى أدى الى غرق العديد من المسافرين والدواب (١٢٠) . كما أصلح الطريق ، الذى يربط بين مدينة أنطاكية ومدينة قيليقية Cilicia والذى كان ضيقا لأنه كان محصورا بين جبلين ، وبه العديد من الحفر العميقة التى جعلت استخدامه أمرا محفوفا بالمخاطر . لذلك بفضل جهود جوستنيان تم توسيع هذا الطريق وتحويله الى طريق صالح لمرور العربات عليه بشكل يفوق كل التوقعات (١٢١) .

---

(١١٤) *Procopius*, Op. Cit., p. 157.

(١١٥) *Ibid*, p. 177.

(١١٦) هذه الكنيسة ليس لها وجود حاليا ، وكانت مبنية فوق تل المدينـة : انظر : *Ure*, Op. Cit., p. 349.

(١١٧) *Procopius*, Op. Cit., p. 349.

(١١٨) Ibid, p. 355.

(١١٩) *Idem*, pp. 357-359.

(١٢٠) *Procopuis* Buildings, p. 329.

(١٢١) Ibid, p. 335.

وشملت عناية جوستنيان المنطقة التى بها مياه معدنية ساخنة فى بلدة بيثيا Pythia باقليم بيثينا Bithynia ، والتى اعتاد المرضى من أهالى القسطنطينية الذهاب اليها للشفاء من أمراضهم – وشيد بهـا قصرا ، وحماما عاما مزودا بالمياه الساخنة من هذه العيون . وأمد هذه المنطقة بالمياه العذبة القريبة بفضل اقامة القناطر لدفع المياه ، كما أقام هناك مستشفى ، وكنيسة كبرى (١٢٢) .

ومن أشهر انجازات جوستنيان المعمارية ، اقامته كنيسة وقلعة فى شبه جزيرة سيناء ، فبالقرب من جبل موسى اعتاد الرهبان الحياة هناك فى مأمن من الاضـــطهاد الرومانى ، وذلك منـــذ بداية القرن الأول للميلاد (١٢٣) . ويبدو أن اختيارهم لهذا المكان بالذات يرجع الى أنه يحمل طابع القداسة لأنه المكان الذى كلم الله (سبحانه وتعالى) فيـــه موسى (عليه السلام) (١٢٤) .

غير أن الرهبان فى هذا المكان لم يسلموا من اعتداءات العرب الرحل على أرواحهم وحاجياتهم وأطعمتهم بما فى ذلك خبز القربان . لذلك لم تكن جهود جوستنيان لصالح هؤلاء الرهبان هى الأولى من نوعها ، وانما سبقته هيلانه Helena والدة الامبراطور قنسطنطين التى كانت قد زارت هذا المكان سنة ٣٤٢ م ، وأقامت به برجا على أعلى الجبل وكنيسة عرفت باسم كنيسة « السيدة العذراء » (١٢٥) .

بيد أنه بدافع من الرغبة فى اقامة قلعـــة قوية فى هـــذا المكان الاستراتيجى الذى اتخذه العرب الرحل كنقطة انطلاق لمهاجمـــة أراضى الامبراطورية فى فلسطين (١٢٦) وتحقيقا لسياسته القـــائمة على اقامة خطوط دفاعية على امتداد الحدود الرومانية ضد اغارات الأعداء ، (١٢٧) وبناء على صيحة الرهبان التى وصلت الامبراطور جوستنيان يطلبون منه

---

(١٢٢) *Idem*, pp. 329-331.

(١٢٣) *Jorvis*, Yesterday and Today in Sinai, P. 225.

(١٢٤) *Ure*, Op. Cit., p. 240.

وطافور ، رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ، ص ٧٧ .

(١٢٥) سعيد بن بطريق (هو افيتشيوس بطريرك الملكيين بالاســـكندرية ومن رجال القرن العاشر الميلادى ، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، ١٩٠٥م ، ص ٢٠٢ .

(١٢٦) *Procopiuc*, Buildings, P. 357.

(١٢٧) *T.H. Forsyth*, «The Monostery of St. Catherine at Mount Sinai, The Church and Fortress of Justinian» Dumbarton Oaks Papers, 22 (1968), p. 18.

حمايتهم بعد الرسالة العاجلة التى وصلت الامبراطور جوستنيان يطلبون منه حمايتهم بعد أن باتت حياتهم معرضة للخطر . لذلك كله أقام جوستنيان قلعة متينة بالكنيسة وديرا به كل مستلزمات الحياة (١٢٨) .

كان بناء القلعة والكنيسة تحت اشراف حاكم مصر ، الذى تكفل بنفقات البناء ، والعمالة والانفاق على الرهبان (١٢٩) كما حملت الكنيسة اسمها القديم جريا وراء عادة أن تحمل كل كنيسة تبنى اسما ، وعرفت على أيام بروكوبيوس بكنيسة « أم الله » وزود جوستنيان القلعة بحامية كبيرة من الجند للتصدى للمغيرين (١٣٠) .

ولكى يبعث جوستنيان الحياة والأمن والأمان فى هذه البقعة ، فانه أمر بترحيل مائة من العبيد الرومان مع نسائهم وأطفالهم الى هناك ، وأمر حاكم مصر بترحيل مائة أخرى مع أسرهم أيضا ، وذلك للاقامة الدائمة هناك ، بجوار القلعة والكنيسة . والجدير بالذكر أن ظل هذا الدير حتى أيام سعيد بن بطريق (القرن العاشر الميلادى) ، يعرف باسم « دير العبيد » نسبة الى المائتى عبد وأسرهم ، كما عرفت ذريتهم باسم « غلمان الدير » وان كانوا قد أسلموا منذ فجر الاسلام .

على أن قلعة وكنيسة ودير جوستنيان ، وكل الملحقات التى أقامها هناك ، مازالت باقية حتى يومنا هذا . وهو ما يعرف حاليا باسم « دير سانت كاترين » (١٣١) .

والواقع أن هذه التسمية حديثة ، ولم تكن موجودة الى عهد سعيد ابن بطريق . ويبدو أن هذه التسمية جاءت من مصر ، اذ ان القديسة كاترين (١٣٢) من أهالى الاسكندرية ، وحتى يومنا هذا يوجد قبر يقال

---

(١٢٨) سعيد بن بطريق ، نفس المصدر ، ص ٢٠٢ .

(١٢٩) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(١٣٠) *Procopius*, Op. Cit., p. 355.

(١٣١) كان بطريرك الاسكندرية يشرف على دير سانت كاترين وله حق اختيار رئيس الدير ، انظر طافور ، نفس المصدر ، ص ٧٥ .

(١٣٢) القديسة كاترين من أهالى الاسكندرية ، وأحاطتها الأساطير بهالة من القداسة والمعجزات ، اذ يقال أنها عذراء من أسرة نبيلة حظيت بقسط وافر من الجمال والثقافة العالية ، حتى ذاع خبرها فى كل أنحاء المدينة . ورفضت قبول كل من تقدم اليها ويقال انها زفت الى المسيح (عليه السلام) فى المنام ... وانها دخلت فى نقاش مع خمسين عالما ، وانتصرت عليهم ، وآمنوا بالمسيحية على يديها مما عرضهم للموت حرقا ، وانها قطعت رقبتها فنزفت لبنا بدلا من الدم .. وأن الملائكة نقلوا جثتها الى جبل سيناء ... وذلك فى الفترة ما بين ٣١٠ ـ ٣٢٠م . انظر :

B.A. *Beatie*, «*Sanit* Katharine of Alexandia : Traditional Themes and the Development of a Medieval German Hagiographic Narrative», Speculum, 52, October, 1866, No. 4, pp. 789-800.

انه قبر كاترين بجوار مذبح الكنيسة التى بناها جوستنيان عند سفح جبل سيناء (١٣٣) .

واذا كان بروكوبيوس لم يقدم لنا وصفا دقيقا لكنيسة وقلعة سيناء ، شأنها شأن الكنائس والمبانى الأخرى التى وردت فى كتابه « عن الانشاءات » فان المبنى الذى ظل كما هو أمكن التعرف على كل أبعاده ، فطول الكنيسة مائتان وثمانون قدما ، وعرضها مائتان وخمسون قدما ، وهى من حجر الصوان ، وحجم بعض هذه الأحجار خمسة أقدام مربعة ، وفى كل ركن من أركانها برج به فتحات لاطلاق السهام . وعلى كثير من الأحجار نحت صليب وارتفاع مدخل بوابة القلعة ستة أقدام ، وعرض البوابة أربعة أقدام . ويوجد ثلاثة أبواب ضخمة مغطاة بالواح من الحديد بها ثقوب لاستخدام الرماة . وعند مدخل الباب الأول توجد صالة بها فتحات على كلتا الجانبين لاستخدام الرماة . ومن الواضح أن تحصين القلعة جعل من المستحيل على الغزاة اقتحامها اذا ما أحسن المدافعون استخدام كل الثقوب المعدة للرماة (١٣٤) .

ومن حسن الطالع أن الكنيسة تحمل وثيقتها التاريخية على شكل نقوش للامبراطور جوستنيان منحوتة على أحد الجدران العليا لصحن الكنيسة . وهذه النقوش توضح أن الذى قام ببناء الكنيسة والقلعة الامبراطور جوستنيان وزوجته ثيودورا وقام بالبناء المهندس ستيفانوس من أيله Stephanos of Aila . ونظرا لأن النقش الأول يشير الى أن جوستنيان مازال على قيد الحياة ، بينما يوضح النقش الثانى أن الامبراطورة ثيودورا قد ماتت ، فان معنى ذلك أن الكنيسة كانت صالحة لاقامة الشعائر الدينية بها فى الفترة ما بين ٥٤٨م ، وهو تاريخ وفاة ثيودورا ، وسنة ٥٦٠م وهو تاريخ كتابة بروكو بيوس لبحثه « عن الانشاءات » . كما أنه مازال هناك بعض المبانى الأخرى منذ القرن السادس الميلادى ، والتى من بينها وسائل الحصول على المياه العذبة ، وطرق صرفها ، وكذلك المطبخ والفرن وسراديب تخزين الغلال (١٣٥) .

تلك كانت أهم انجازات جوستنيان المعمارية فى القسم الشرقى من الامبراطورية . وهى بلا شك انجازات دلت على روعة العصر اذا ما حاول

(١٣٣) *Forsyth*, Op. Cit., p. 12.

(١٣٤) Javris, Yesterday and Today in Sinai, (London, 1933), pp. 228-229.

(١٣٥) *Fotsyth*, Op. Cit., p. 5, 9, 15.

الباحث مقارنتها بانجازات من سبقه أو جاء بعده من أباطرة الرومان ٠ بيد أنه الامبراطور جوستنيان المولع باقامة الانشاءات المعمارية ولعه بالعمل على عظمة الامبراطورية في شتى المجالات ٠

واذا ما قبل الباحث أن كل هذه الانجازات المعمارية التى استهدفت تأمين الحدود الشرقية للامبراطورية والارتفاع بالمستوى الاجتماعي والأخلاقي والديني والاقتصادى لشعب الامبراطورية ، كعناصر أساسية فى سياسة جوستنيان الداخلية ، فمما لا شك فيه أنه اتبع أسلوبا ماليا ساعده على تحقيق هذه الانجازات المتعددة الرائعة ، كما مكنته هذه السياسة المالية من تحقيق هدفه الأكبر ، ألا وهو استرداد الأجزاء الغربية السليبة من أراضي الامبراطورية ٠

والواقع أن جوستنيان عمل على زيادة وتنمية الموارد المالية ، واستلزم ذلك اعادة تنظيم بعض الضرائب القديمة ، وفرض ضرائب جديدة وانتهاج سياسة تقشفية فى بعض النواحى ، هذا فى الوقت الذى حرص فيه على تخفيف المعاناة عن الطبقات العريضة للشعب بعدة أساليب ، واعادة تنظيم تجارة الحرير ٠ وبفضل هذه السياسة المالية تمكنت الامبراطورية طوال عصر جوستنيان من الوفاء بكل التزاماتها المالية تجاه شعوب الحدود الشرقية فضلا عن مواصلة عملياته الاستردادية بفضل الخزانة التى ظلت عامرة والتي لم تنضب مواردها المالية ٠

على أن الاصرار على زيادة وتنمية الموارد المالية حتم على جوستنيان فرض ضرائب لم تكن موجودة في عهد من سبقه من الأباطرة ، فعلى سبيل المثال فرض جوستنيان ضريبة أطلق عليها ضريبة الهواء أو ضريبة السماء Air Tax or Sky Tax والتى عرفت باللغة اليونانية باسم ἀ E Q, X OV وهي الضريبة التي قدمت لخزانة الامبراطورية ثلاث آلاف رطل من الذهب سنويا (١٣٦) ٠ كما فرض جديدة على أصحاب المحلات التجارية فى العاصمة ، بلغت حوالى خمسين فى المائة من صافى الأرباح السنوية ، مقابل السماح لأصحاب هذه المحلات التجارية بعدم التقيد بتحديد أسعار

---

(١٣٦) الواقع أن بروكوبيوس هو المصدر الوحيد لهذه المعلومة ، كما أنه لم يقدم توضيحا كافيا عن هذه الضريبة الجديدة من ناحية التسمية أو على أى أنواع العقارات كانت تفرض ، لذلك اجتهد المؤرخ بيورى وافترض أنها كانت تفرض على المبانى العالية ، أو على غرف الفنادق فى المدن ٠ انظر :
Procopius, The Secret History, p. 143, *Bury*, Op. Cit. II, p. 350.

السلع التجارية (١٣٧) • والضريبة الجديدة الثالثة كانت على السفن التجارية التى تدخل ميناء العاصمة ، وان كان بروكوبيوس لم يذكر نسبة هذه الرسوم ، بيد أنه ذكر أنه لم يكن فى استطاعة أى سفينة أن ترفع المرساة استعدادا للابحار مرة ثانية دون دفع هذه الرسوم ، والا تعرض صاحب هذه السفينة الى دفع غرامة تعادل قيمة السفينة ذاتها (١٣٨) • وأقام جوستنيان لأول مرة مناطق جمركية على بوغازى البسفور والدردنيل لتحصيل الرسوم الجمركية على الواردات أو السلع التجارية التى تحملها السفن بين البحرين الأبيض والأسود • وهذا النظام الجمركى بدأ منذ اعتلاء جوستنيان للسلطة ولجأ جوستنيان الى اتباع أسلوب الحافز المادى بالاضافة الى الراتب المحدد للموظفين العاملين فى الجمارك بغية حثهم على زيادة موارد الدولة فى هذا المجال الاقتصادى (١٣٩) •

تلك كانت أساليب جوستنيان المالية فيما يتعلق بالموارد الجديدة المتعلقة بتنمية وزيادة ميزانية الدولة ، ولا شك أن هذه الأساليب الاقتصادية أمدت خزانة الدولة بأوعية ضريبية لم تعهدها من قبل • ويضاف اليها اقدامه على تنظيم بعض الضرائب القديمة •

أبقى جوستنيان على القانون القديم الذى نص على ضرورة دفع ملاك الأراضى المنتجة للضريبة المستحقة عن الأراضى المجاورة لهم والتى أصابها البوار ، وهى الضريبة التى عرفت باسم Epibole وفقا لاسمها اليونانى ἐπιβολὴ ، بالرغم من أنها شكلت عبئا شديدا على ملاك

---

(١٣٧) *Procopius*, The Secret History p. 165z

من الملاحظ أن بروكوبيوس لم يوضح اذا ما كانت هذه الضريبة قاصرة على المحلات التجارية فى العاصمة فحسب أم أنها امتدت لتشمل باقى مدن الامبراطورية •

(١٣٨) *Procopius*, The Secret History, p. 165.

(١٣٩) *Procpius*, The Secret History, pp. 164-165;
Malalas, Op. Cit., p. 432, *Bury*, Op. Cit., II., p. 355.

الواقع أن المكاتب الجمركية على بوغازى البسفور والدردنيل مارست مسئوليات أخرى بالاضافة الى مسالة الضرائب على الواردات منها ، عدم السماح لأى سفينة تحمل أسلحة الى العاصمة بالدخول من البحر المتوسط دون الحصول على اذن من الامبراطور (كاجراء أمن) ، وكذلك مراقبة المسافرين بحرا من العاصمة دون الحصول على تأشيرة خروج من الموظفين المختصين • وألزم جوستنيان مكتب الجمرك المطل على البحر الأسود بمراعاة التعاليم السابقة ، وأضاف متابعة حظر شحن سلع تتعارض مع قواعد الصادرات للامبراطورية اذ كان ممنوعا تصدير السلاح والنبيذ والزيت ودهن الخنزير الى شعوب البحر الاسود ، انظر :

Bury, Op. Cit., II, p. 355.

الأراضى المنتجة (١٤٠) على أن جوستنيان أصدر قانونا سـنة ٥٤٥م ، استهدف تنظيم هذه الضريبة بما يضمن حق الدولة من ناحية ، والقضاء على عيوب هذا القانون من ناحية ثانية : اذ نص القانون على أن هـذه الضريبة يجب سدادها الى خزانة الدولة بعد عرض أمرها على قاضى الاقليم الذى له سلطة تحديد من تقع عليه مسئولية سدادها . وخول القـانون للمتضرر الحق فى استئناف الحكم أمام محكمة حاكم الاقليم . وأضـاف القانون أنه فى حالة ثبوت عدم وجود مالك للأرض التى أصابها البوار أو تعذر تحصيل الضريبة عن تلك الأراضى من أصحاب الأراضى المجاورة المنتجة ، بعد اللجوء الى القضاء ، فان هذه الأراضى تصبح ملكيتها حقـا من حقوق الدولة (١٤١) .

كما وضع جوستنيان يده على الرسوم التى كانت تفرضها المجالس المحليـة بالمدن والمعروفة باسم Politika وفقا لاسمها اليـونانى πολιτικά ، وهى التى فرضت من أجل انفاقها فى أغراض الشئون البلدية للمدن ، وتحولت فى عهد جوستنيان كلها الى خزانة الدولة . وبذلك يكون جوسـتنيان قد أكمل الخطـوة التى بدأها الامبراطور أنستاسيوس عندما جعل قسما منها يذهب الى خزانة الدولة ، وترك القسم الآخر تحت تصرف المجالس المحلية بالمدن (١٤٢) .

على أن جوستنيان لم يكتف بفرض ضرائب جديدة وتنظيم بعض الضرائب القديمة ، وانما انتهج أساليبا مالية طابعها العام التقشف : فمنذ توليه المسئولية (٥١٨م) ، ألغى المنحة التى اعتاد فى سبقه من الأباطرة تقديمها الى الجند فى كافة أنحاء الامبراطورية ، والتى كانت خمسة صوليدى Solidi ، لكل جندى مرة واحدة كل خمس سنوات (١٤٣) . كما حرم الموظفين المدنيين من الحصول على مكافأة عند نهاية الخدمة (١٤٤) . وألغى جوستنيان الاعانات التى كان يقدمها من سبقه من الأباطرة الى الأطباء والى المدرسين ، فضلا عن أنه أجاز لطرفى النزاع تقديم الدعاوى الى ساحات القضاء دون الاستعانة بالمحامين (١٤٥) . وكانت آخر اجراءاته

---

(١٤٠) *Diehl*, Justinian, pp. 296-297; *Bury*, op. Cit., II. p. 350.

(١٤١) *Nov.* 128 (A.D. 545), C. 7, 8, p. 224.

(١٤٢) *Procopius*, The Secret History, p. 169; *Bury*, Op. Cit., II, p. 351.

(١٤٣) *Procopius*, The Secret History, p. 163; *Jones* Later Roman Empire, I, P. 284.

(١٤٤) *Procopius*, Op. Cit., pp. 163-164.

(١٤٥) Ibid, p. 168-169.

التقشفية هى الغاؤه لمنصب القنصلية سنة ٥٤١ ، لأهداف اقتصـادية بعد أن كان هذا المنصب يكلف خزانة الدولة الكثير من الأموال ، ابان احتفالات تنصيب القنصل ، وان كان القنصل ذاته اعتاد المساهمة بالقدر اليسير من النفقات ، وهو الاجراء الذى كان موجودا فى عهـــد من سبقه من الأباطرة (١٤٦) ٠

واذا كانت سياسة جوستنيان المالية قامت على العمل على تنمية موارد الدولة بالأساليب السالف ذكرها ، الا أن ذلك لم يمنعه عن اتخاذ اجراءات مالية ، استهدفت تخفيف المعاناة عن الشعب عامة والقضاء على محاولات استغلال الانسان لأخيه الانسان داخل الامبراطورية ، فعلى أثر موجة الغــــلاء التى اجتاحت الامبراطورية ابان الوباء العــــالمى سنة ٥٤٣م (١٤٧) أصدر جوستنيان قانونا (نوفلا) فى العام التالى (٥٤٤) ألزم فيه التجار ، وكل الفئات المتعلمة ، وعمــــال الزراعة ، والبحارة والمهندسين ، وكل أصحاب الحرف بالعودة الى الأسعار والأجور الى ما قبل حدوث الوباء بعد أن لاحظ أنهم « استسلموا جميعـا لاغراء الكســب والحصول على أسعار عالية بلغت ضعفى وثلاثة أضعاف الأسعار والأجور المعتادة » ٠ وهددهم جوســتنيان بتوقيع غرامة تعـادل ثلاثة أضعاف ما تقاضوه ٠ وفى الوقت نفسه نص القانون على فرض عقوبة قدرهـا خمسة أرطال من الذهب على القاضى الذى يتراخى فى توقيع العقوبة على المخالفين لهذا القانون (١٤٨) ولا شك أن هذا اجراء صارم لرفع المعاناة عن فئات الشعب والقضاء على موجة الغلاء وان كان لا يوجد هناك أى دليل على مدى نجاح جوستنيان فى هذه الخطوة الاقتصادية ٠

واذا كان جوستنيان قد أبقى على نظام اســتضافة الجند وتقديم المأوى لهم ، ابان المعارك الحربيـــة وفقا لما اعتاد عليـــه من سبقه

---

(١٤٦) *Idem*, p. 170.

فى يناير سنة ٥٣٥ أنعم جوستنيان على بليزاريوس بالقنصلية ، واقيم له احتفال كبير حيث حمله الأسرى على مقعد مرصع بالعاج مخصص للقنصل أو البريتور فحسب ويعرف هذا المقعد باسم Curcule chair وظل يلقى على الجماهير النقود الفضية والأحزمة الذهبية ، ذات اليمين وذات الشمال ، بالاضافة الى الأشياء القيمة الأخرى من نصيبه من الغنائم الوفيرة التى جمعها من الوندال ٠ انظر :

Procopius, Wars, 4, pp. 279-283; *Holmes* Op. Cit., II, pp. 515-651

(١٤٧) *Bury*, Op. Cit., II. 356.

(١٤٨) *Nov*. 122, pp. 176-177.

الأباطرة (١٤٩) · الا أنه عمل على معالجة عيوب هذا النظام تخفيفا عن الرعية من المعاناة بعد أن ضبج الأهالى بالشكوى (١٥٠) · وأصدر قانونا سنة ٥٤٥م ، نص فيه على أن يكون مبيت هؤلاء الجند فى الحجرات التى لا يشغلها أحد ، وأن يتركوا أصحاب المنازل على حريتهم وحذرهم من المبيت فى الغرفات الرئيسية المخصصة لمعيشة أصحاب المنازل (١٥١) ·

وعلى الرغم من أن جوستنيان ظل حريصا غاية الحرص على تحصيل الضرائب فانه اضطر ــ جريا على عادة من سبقه من الأباطرة ــ أن يصدر قرارا بالاعفاء ، من المتأخرات الضريبية فى المناطق التى تعرضت للكوارث ، اذ أعفى الأراضى التى تعرضت لعدوان الفرس ، وان كان هذا الاعفــاء لمدة عام واحد فحسب (١٥٢) ·

غير أن جوستنيان اضطر الى اصدار قانون سنة ٥٥٣م نص فيه على اعفاء اقليم ايلليريا من متأخرات الضرائب عن اثنين وعشرين عاما ، « اننا نعفيهم من كل الضرائب عن الدورة السابقة ، وعن سبع سنوات من الدورة الحالية : أى أننا نعفيهم من ســداد ضرائب اثنين وعشرين عاما لعجزهم عن السداد » (١٥٣) ·

امتدت سياسة جوستنيان المالية لتشمل أصحاب المصانع المنتجة للثياب الحريرية فى بيروت وصور ، والذين اعتادوا التهرب من ضريبة العشرة فى المائة على الواردات · وألزمهم بدفع الضرائب بالكامل ، وبيع منتجاتهم من المنسوجات الحريرية بالسعر الجبرى ، بعد أن كانوا قد رفعوا الأسعار على أثر احكام الرقابة الضريبية عليهم · وكعادته أنزل العقوبات بالمخالفين للأسعار الجبرية (١٥٤) ·

---

(١٤٩) *Procopius*, The Secret History, p. 156; *Bury*, Op. Cit., II. p. 349.

(١٥٠) اذا سلمنا بصحة ما ذكره بروكوبيوس فى تاريخه السرى فان أصحاب المنازل فى القسطنطينية وحدها كان عليهم تقديم المبيت الى حوالى عشرين الف من القـــوات المتحالفة ، الذين شكلوا عبئا ثقيلا على أصحاب المنازل وبخاصة ان هؤلاء الضيوف لم يحرموا أصحاب المنازل من حق الاستمتاع بممتلكاتهم فحسب ، وانما تحولوا الى مصدر للكراهية والبغض ، انظر :

Procopius, The Secret History, p. 158.

(١٥١) Nov. 130, pp. 239-240.

(١٥٢) *Procopius*, Op. Cit., pp. 154-155.

(١٥٣) *Nov.* 147, pp. 317-318.

(١٥٤) *Procopius*, The Secret History, pp. 166-168.

تلك كانت أهم الملامح الأساسية لسياسة جوستنيان المالية والتى بدونها كان من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل السير قدما فى خطته الاستردادية التى هام بها ، أو اتمام اصلاحاته الداخلية فى المجـــالات المعمارية من مبان عامة ومنشآت دينية واجتماعية وصحية وطرق وجسور ، وآبار وغيرهـــا ، بالاضـــافة الى خطوط التحصينات الدفاعيـــة التى أقامها • كما أنه بدون هذه السياسة المالية لم يكن فى قدرته احراز أى نجاح فى سياسته تجاه الشعوب المتاخمة للحدود الشرقية وعلى رأسها دولة الفرس القوية التى فرضت عليه دفع الأموال ثمنا للسلام بعد أن أذاقته مرارة الهزائم العسكرية ، وبعد أن أقنعته أن أنطاكية وغيرها من المدن القريبة من الحدود بينه وبين الفرس ما هى الا مناطق تحت رحمة الفرس •

جوستنيان والكنيسة العالمية

اعادة الاتحاد المذهبى مع روما ــ جوستنيان والمونوفيزيتيون ــ جوستنيان والتشريعات الكنسية ــ موقف جوستنيان من الأديرة ــ موقف جوستنيان من الفرق المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة ــ موقف جوستنيان من الوثنية ــ جوستنيان والمسائل اللاهوتية ــ الفصول الثلاثة ومجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣م ــ جوستنيان والقيصرية البابوية ٠

تكشفت سياسة جوستنيان الدينية ، منذ الأسبوع الأول لاعتلاء خاله العرش ، وهذه السياسة قامت على عودة الاتحاد المذهبى مع روما ، وهو ما يعنى انتهاج سياسة دينية قائمة على المذهب الخلقيدونى ، مخالفا بذلك سياسة كل من أنستاسيوس وزينون ومعلنا نهاية الانشقاق الأكاكى ٠ أفصح جوستنيان عن هذا الاتجاه الجديد فى رسالته الأولى للبابا هورميزداس فى سبتمبر ٥١٨م ، « ما أن وضع مولانا الامبراطور الذى لا يغلب (يقصد خاله جوستين) التاج على رأسه ، وفقا للمشيئة الالهية ، حتى أبلغ على الفور الأساقفة ، بضرورة عودة السلام للكنيسة وأصدر قانونا بهذا الشأن » (١) ٠

والواقع أن جوستنيان لم يتوجه بهذه الرسالة الى البابا فى روما الا بعد أن تكللت جهوده بالنجاح فى القسطنطينية وفى الأقاليم الشرقية من الامبراطورية ، فى المجال الكنسى ، ونعنى بذلك حصوله على موافقة

(١) *Col. Avelln* No. 147, pp. 592-593; *Mansi*, Aplissima Sacrorum conciliorum, VIII, Col. 1438; *Vasiliev*, Justin, p. 163.

الأساقفة والرهبان على اعادة الاتحاد المذهبي مع روما · ففى القسطنطينية ، لم تكن كنيسة الحكمة مكانا للعبادة فحسب ، وانما تحولت يومى الخامس عشر والسادس عشر من يوليو ٥١٨م الى برلمان شعبى طالب فيه جمهور المصلين بضرورة عودة الاتحـــاد مع روما · وحرمان ســاويرس أسقف أنطاكية · (قطب المنوفيزتيين) (٢) وبناء على ذلك ، عقد البطريرك حنا الثانى مجمعا كنسيا بالقسطنطينية فى العشرين من يوليو سنة ٥١٨م ضم أكثر من أربعين أسقفا للتصديق على مطالب الشـــعب فى كنيسة أيا صوفيا يومى الخامس عشر والسادس عشر من يوليو من الشهر نفسه ، وكذلك لبحث المذكرة التى تقدم بها رؤساء الأديرة بالقسطنطينية ، والتى وقع عليها سبعة وخمسون ممثلا من كل الأديرة الخاصة بالرجال وطالبوا بعودة الاتحاد مع البابوية وتحريم ساويرس وكل المنوفيزتيين أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة (٣) ·

على أن جهود جوستنيان الهادفة الى تأييد المذهب الخليقدونى ، لم تكن قاصرة على العاصمة فحسب ، وانما امتدت الى بعض مدن الشرق ، ففى السادس من أغسطس ٥١٨م عقد البطريرك مجمعا فى أورشـــليم حضره ثلاثة وثلاثون أسقفا وأعلنوا تأييدهم لمجمع القسطنطينية الذى انعقد فى العشرين من يوليو ٥١٨م (٤) · وتلاه انعقاد مجمع فى مدينة صور فى السادس عشر من سبتمبر ٥١٨م ، وآخر فى اقليم ســـوريا الثانية Syria Secunda للهدف نفسه (٥) ·

واذا كان جوستنيان قد صادف نجاحا فى تحقيق السيادة العليا للمذهب الخلقيدونى بالدولة منذ الأسبوع الأول لاعتلاء خاله العرش ، وابلاغه ذلك الموقف الجديد للبابا فى روما ، فانه كان حريصا فى الوقت نفسه على تأكيد هذا الاجراء الجديد ، وذلك بدعوته للبابا للحضور الى القسطنطينية بصفة شخصية بالرغم من أن رسالتى خاله (٦) والبطريرك

---

(٢) *Mansi*, Op. Cti., Col. 1057-1062; *S. Salaville*, «La fête du concile de Nicée de lse fêtes de conciles dans le rit byzantine, «Echos d'Orient, XXIV (1925), pp. 455-468.

(٣) Mansi, op. cit., VIII, Col. 1041-1056; Duchésne, op. cit., p. 45-46; Stein, Op. cit., p. 223.

(٤) *Mansi*, Op. Cit,. VIII, Col. 1057-1074; *Vasiliev*, Justin the First, pp. 148-149

(٥) *Mansi*, Op. Cit., Col. 1067-1082, 1093-1136; *Vasiliev*, Op. Cit., pp. 149-160.

(٦) *Coll Avell*, No. 143, pp. 587-588; *Mansi*, Op. Cit., VIII, p. 435, *Vasiliev*, Justin, p. 163.

حنا الثانى لم تتضمنا الدعوة الشخصية للبابا وانما اكتفيتا بمطـــالبة البابا بارسال وفد يمثله (٧) ، فالرسائل الثلاث أرسلت معا فى شهر سبتمبر ٥١٨م غير أن رسالة جوســتنيان اختلفت الى حـــد كبير عن الرسالتين الأخيرتين ، كما لو كان جوستنيان يتعجل سياسته الأوتوقراطية فى المستقبل تجاه البابا فيجليوس Vigilius الذى استدعاه وأجبره على البقاء فى القسطنطينية لمدة زادت عن سبع سنوات فقد جاء بالرسالة ، « اننا نتوقع حضورك دون تأخير ، بيد أنه ما وجد عائق ما ـ والذى لا يصح أن يعوق حضورك ـ فعندئذ لا تؤجل ارسال منـــدوبين على المستوى اللائق ، لأن كل الشعب فى بلادنا اقتنعوا بالاتحاد المذهـــبى ، ولن يحتملوا التأخير ، لذلك نرجو سرعة التنفيذ (٨) ٠

ولا شك أن السياسة الدينية فى عهد جوستين كانت ترسمها مخيلة جوستنيان ، منذ اللحظة الأولى ، كمـا كانت له اليد العليـــا فى كل الاجراءات التى اتخذت فى هذا السبيل ، والا فهل يوجد تفسير آخر غير أنه كان يحكم الدولة ـ من خلف العرش ـ بالرغم من أنه لم تكن له صفة قانونية الا أنه كان الابن الوحيد ـ بالتبنى ـ لخاله الامبراطور الأمى العجوز ؟ ٠

على أن دعوة جوستنيان للبابا هورميزداس بالحضور شخصيا لم تكن بناء على انفعال عاطفى مؤقت ، أو من باب المجاملة الشخصية ، وانما كانت عن قناعة ، واعتقاد راسخ بضرورة اعادة الاتحاد المذهبى مع روما ممثلة فى البابا ، كخطوة أساسية فى طريق الوحـــدة السياسية بين شطرى الامبراطورية ، والتى كان من مستلزماتها البدء بالاتحاد المذهبى مع روما ، وهو ما أثبتته الحوادث المتلاحقة فيما بعد ، اذ ظل جوستنيان يعمل جاهدا فى السير قدما نحو تأكيد العمل فى المجال الدينى ، وفقـا للمذهب الخلقيدونى ، واسترداد الأجزاء السليبة بالغرب : فى المجـال السياسى طوال حياته ٠

على أية حال ، كانت دعوة القسـطنطينية للبـــابا هورميزداس ، بالحضور اليها ، بردا وسلاما على قلب البابا ، الذى كان قد لقى الصد العنيف من الامبراطور أنستاســـيوس فى آخر رسالة أرسلها اليـه

---

(٧) *Coll, Avell*, No. 146; *Mansi*, Op. Cit., VIII, pp. 436-7.

(٨) *Coll, Avell*, no. 147, pp. 592-593; *Mansi*, Op. Cit., VIII Col. 1438; *Vasiliev*, Justin, pp. 163-4.

الامبراطور ، لذلك أرسل البابا وفدا دينيا (٩) ، ومعه صيغة محددة ، وتعليمات واضحة ، وتمكن البابا – من خلالها – من املاء كل شروطه وتنفيذ كل ما حاول أن يجبر أنستاسيوس على قبوله ، اذ تضمنت الرسالة « تصحيح » الكنائس فى أنطاكية والاسكندرية ، وفى الكنائس الأخرى (١٠) .

ولم تكن هناك أية اعتراضات على الصيغة البابوية Libellus وانما وقع عليها الامبراطور ، وأعضاء مجلس الشيوخ ، والبطريرك حنا الثانى ، وتم حذف أسماء البطريرك أكاكيوس ومن خلفه على الكرسى البطريركى بالقسطنطينية ، وكذلك اسمى الامبراطور زينون وأنستاسيوس من الديبتك ، وذلك فى الثامن والعشرين من مارس ٥١٩م (١١) .

وبالرغم من التوقيع على الصيغة البابوية ، الا أن الوفد البابوى ظل بالقسطنطينية لمدة عام وثلاثة أشهر ونصف شهر ، وذلك لمتابعة تنفيذ اجراءات الاتحاد المذهبى ، فى كل أقاليم الامبراطورية اذ لم يغادر هذا الوفد القسطنطينية الا فى العاشر من يوليو سنة ٥٢٠م (١٢) .

على أن مفهوم « التصحيح » يعنى اضطهاد المونوفيزتيين ولم يتردد جوستنيان فى ذلك ، فطرد ساويرس بطريرك أنطاكية ، والذى كان يمثل القائد الأعلى للمونوفيزتيين جميعا ، كما تم نفى أكثر من خمسين أسقفا فى الشرق وتشتيت جماعات من الرهبان المونوفيزتيين مع استعمال أساليب العنف والسجن ضد أعداد كبيرة منهم ، بل وصل الأمر الى حد القتل (١٣) .

غير أن حركة اضطهاد المنافزة فى هذه الفترة لم تمتد لتشمل

---

(٩) وصل الوفد الدينى البابوى الى القسطنطينية فى الخامس والعشرين من مارس ٥١٩م ، انظر :
Vasiliev, Justin, p. 175.

(١٠) *Coll, Avell*, no. 168, p. 624; *Bury*, Op. Cit., P. 373; *Vasiliev*, Justin, p. 147.

(١١) *Vasiliev*, Justin, p. 177.

(١٢) *Ibid*, p. 183.

(١٣) *Theophanes*, Op. Cit., pp. 254-256, *Michel Le Syrien*, Op. Cit. pp. 170-172; *Lebon*, Op. cit. pp. 67-68.

مصر (١٤) ، والتى ظلت ملاذا لرجال الدين بما فيهم الرهبان والراهبات بل والعلمانيين . ولا شك أن استثناء مصر من حركة الاضطهاد حينذاك انما يرجع لأهميتها القصوى لأنها كانت المخزن الذى لا ينضب لامداد القسطنطينية بالقمح ، كما كانت تمثـــل ركنا أساســـيا فى داخل الامبراطورية الرومانية (١٥) .

على أن حركة الاضطهاد ضد أتباع مذهب الطبيعة الواحدة خفت حدتها سنة ٥٢٠م ، ومن الراجح أن جوستنيان لجأ الى اتباع سياسة أكثر اعتدالا تجاه أتباع مذهب الطبيعة الواحدة فى تلك الفترة بعد أن لمس مقاومة صلبة منهم جعلته يتخوف من ضياع الأقاليم الشرقية من قبضة الامبراطورية من الناحية السياسية والاقتصادية (١٦) هذا فى الوقت الذى بدأت فيه ســـحب التوتر الدولى بين القوتين العظميين (فارس وبيزنطة) ، تتكاثف فى الأفق فى المنطقة القوقازية (ابيريا ولازقا) ، لذلك كله أرسل جوستنيان الى البابا هورميزداس رسالة فى شـــهر يوليو ٥٢٠م لابلاغه بضرورة انتهاج سياسة أكثر اعتدالا فى الشرق . وفى هذه الرسالة تحدث جوســـتنيان صراحة عن أنه ليس من اليسير اجبار بعض سكان القسم الشرقى من الامبراطورية على اتبـــاع مذهب خلقيدونية بالرغم من استعمال أساليب النفى واللجوء الى الحديد والنار . وفى الوقت نفسه تضمنت هذه الرسالة اعتراف جوستنيان باســـتعماله

---

(١٤) والواقع أن الفترة ما بين مجمع افسوس الأول ٤٣١م ومجمع خلقيدونية ٤٥١م ، شهدت تفوق الاسكندرية على مدن الشرق بعد أن ملك بطريرك الاسكندرية قوة وسلطات كبيرة ، وحمل كبير أساقفة الاسكندرية لقب « قداسة البابا » غير أن مجمع خلقيدونية كان بمثابة ضربة شديدة لبطريرك الاسكندرية المونوفيزيتى اذ نص هذا المجمع على أن بطريرك القسطنطينية يلى فى المرتبة بابا روما . وبذلك جعل بطريرك الاسكندرية فى المرتبـــة الثالثة . وبناء على ذلك تحولت المونوفيزيتية فى مصر الى حركة وطنية ورمزا للانسلاخ السياسى والانفصال عن الامبراطورية ومنذ ذلك الحين حلت اللغة القبطية محل اليونانية فى اقامة الشعائر الدينية . وفى بداية عصر جوستنيان كان المذهب المونوفيزيتى فى مصر له السيطرة العليا فى الكنيسة ، انظر :

Vasiliev, Justin, pp. 132-133.

(١٥) *Stein* Op. Cit., p. 323, *Vosiliev*, Justin, p. 224.

والواقع أن اهمية مصر الاقتصادية بالنســبة للامبراطورية عبر التاريخ الرومانى كانت : « بمثابة جوهرة تفوق الوصف فى التاج الرومانى » على حد قول المؤرخ هاردى انظر :

E. Hardy, «The Egyptias Policy of Justinien, Dumbarton Okas Papers,» No. 22 (1968), Horward University (U.S.A.), p. 23.

(١٦) *Michel Le Syrien*, Op. Cit., II, P. 177; *Lebon*, Op. Cit., p. 73; *Bury*, Op Cit.. II p. 372-373.

القسـوة فى اضطهاد المـونوفيزتيين مؤكدا بذلك ما ذكره المؤرخون من أتباع المذهب المونو فيزيتى . كما أظهرت هذه الرسالة أن جوستنيان قد أحرز تفوقا كبيرا سنة ٥٢٠م فى ادارة الأمبراطورية ، وأنه تعامل مـع البابا هورميزداس ، كما لو كان قد ملك السلطة كلها فى يديه ، كما تلقى هذه الرسالة ضوءا على الكرسى الرسولى فى روما مستقبلا وهى لافتة للنظر اذا ما قورنت برسـالة جوسـتنيان للبابا عندما دعـاه للحضـور الى القسطنطينية فى السابع من سبتمبر ٥١٨م . فقد ورد بهذه الرسالة « أن قسما من أبناء الشرق لا يمكن أجبارهم بالنفى أو بالحديد والنار ... ولكى تعفى نفسك من مسئولية اراقة دماء الشعب الذى شاءت ارادة الله أن ترعاه ، ولكى تستميل الناس بالحكم الكهنوتى ، وليس بالاضطهاد واراقة الدماء ، وبذلك تكسب الأرواح وحتى لا تفقد الكثير ... ان الطبيب الذى يسارع بعلاج الجروح القديمة بطريقة لا ينجم عنها جروح جديدة ليستحق كل الثناء بالعدل والانصاف (١٧) .

وعندما انفرد جوستنيان بالسلطة ، غير سياسته تجاه المونوفيزتيين بهدف اجراء حوار معهم ، بمشاركة أساقفة يدينون بالمذهب الخلقيدونى ، وسمح باعادة المنفيين من الرهبان سنة ٥٢٩م (١٨) .

ولعل الباحث يتساءل عن الدوافع التى حدت بالامبراطور جوستنيان الى تغيير موقفه بهذه السرعة . والحقيقة أن الامبراطور اضطر بفعل الحوادث الى اتخاذ مثل هذا الموقف ، لأنه كان فى أشد الحاجة الى ضمان الهدوء فى المناطق المجاورة للفرس حتى يتسنى له مجابهة القوات الفارسـية فى الشرق ، والتى بدأت تعكر صفو السلام عند الفرات (١٩) . وبنفس الدافع الى الاستقرار لم يكن يريد أن يرى هذا الصـدع الهائل بين المونوفيزتيين ، وأتباع مجمع خلقيـدونية فى الأقاليم الشرقية أو فى العاصمة ذاتها ، وتأكد لديه ، بناء على ما حدث بالقسـطنطينية فى ١٤ ـ ١٩ يناير ٥٣٢م ، ظهور قوة الجناح المعارض لمجمع خلقيدونية بين قطاع كبير من الفقراء بشكل خطير ، وبعد أن قمع الشعب فى السـوق

---

(١٧) *Coll, Avell*, no. 196, pp. 655-656; *Mansi*, Op. Cit., VIII Col. 305-504; *Vasiliev*, Justin, pp. 199-200.

(١٨) *Zachariah*, Op. Cit., p. 247; *Lebon*, Op. Cit., p. 73; *Duchesne*, Op. Cit., p. 81; *Stein*, Op. Cit., II, pp. 376-7.

(١٩) *John of Ephesus*, History of the convents of Amida (ed. Brooks PO 18, pp. 619-620 ; *Michel* Le Syrien, Op. Cit., II, p. 211; *Friend*, Op. Cit., p. 262.

الكبير في العاصمة على أثر زلزال ٥٣٣م ، وهم يرتلون تسابيح الشكر لله وفقا للمذهب المونوفيزيتي (٢٠) ٠

على أية حال رحب جوستنيان بحوالى خمســـمائة راهب موفيزيتى بالعاصمة ٠ والذين كانوا من قبل يعيشون فى اقليم بلاد ما بين النهرين ، وأســـكنهم بقصر هورميزداس Hormisdas غير أنهم أصروا على مذهبهم وأرسلوا رسالة الى جوستنيان يوضحون فيها ايمانهم بالتفصيل ٠ وبالرغم من محاولات جوستنيان لاستمالتهم الا أن هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع ٠ فضلا عن أنهم تركوا آثارا كبيرة على الحياة العـــامة بالعاصمة لكثرة الزائرين لهم من عامة الشعب ، بالاضافة الى ظهـــور تعاطف الامبراطورة ثيودورا معهم (٢١) ٠

ويرجع ذلك الى تمسك هؤلاء الرهبان الشديد بموقفهم الذى أعلنوه صراحة فى رسالتهم الى الامبراطور ، والتى تضمنت عدة موضوعات غاية فى الأهمية : وهى الاصرار على التمسك بمبادئهم ، وعدم الاستعداد لاجراء حوار دينى مع المختلفين معهم فى المذهب ، وبالتالى خلت الرسالة من ذكر أى شىء عن مجمع خلقيدونية ، وأكدوا على عبادة الثالوث الأقدس فى طبيعة واحدة (٢٢) ٠

حاول جوستنيان اجراء تقارب فى وجهـــات النظر المذهبية بين المونوفيزتيين وأتباع مذهب خلقيدونية ٠ وعقد من أجل ذلك اجتماعات ثلاثة حضر آخرها ، غير أن هذه الاجتماعات التى عقدت فى مارس ٥٣٣م لم تكلل بالنجاح ، وان كانت قد لفتت الأنظـــار الى تفهم جوستنيان للمسائل اللاهوتية ، وحماسه الدينى (٢٣) ٠

وبالرغم من عدم تمكن جوستنيان من تحقيق تقارب بين المونوفيزتين والخلقيدونيين ، فان المنافزة حققوا مكاسب دينية وسياسية بفضل تعاطف ثيـــودورا معهم ، ذلك أنه عند وفاة ابيفانيوس Epiphanius بطريرك القسطنطينية فى الثامن من يونية ٥٣٥م ، مارست ثيودورا نفوذها فى تعيين أنثيموس Anthimus خلفا له ، والذى كان أسقفا لمدينة طرابيزون

---

(٢٠) *Chron, Pasch.*, p. 629; Monojlovic, «Le Peuple de Constantinople», Byzantion, XI, 1936 pp. 659-662; *Frend*, Op. Cit., p. 263.

(٢١) *Zachariah*, Op. Cit., p. 247; *Duchesne*, Op. Cit., p. 81; *Stein*, Op. Cit. p. 377.

DRO

(٢٢) *Zachariah*, Op. Cit., pp. 247-249.

(٢٣) *Zachariah*, Op. Cit., pp. 251-253; *Harnack*, Op. Cit., p. 235; *Frend*, Op. Cit. p. 265; *Tixeront*, Op. Cit., p. 128.

Trebizond وكانت له ميول مونوفيزتية (٢٤) وما أن اعتلى أنثيموس عرش البطريركية حتى طالب ساويرس بالحضور الى القسطنطينية ، بعد أن أبلغه بايمانه بالمذهب المونوفيزيتى ، كما راسل بطريرك الاسكندرية أيضا (٢٥) • وعلى أية حال فقد وصل ساويرس الى القسطنطينية ومعه بطرس أسقف أفاميا Apamea (قلعة المضيق) والراهب زوراس Zooras العمودى (٢٦) وهكذا تشابهت الحوادث التاريخية ، وظل ساويرس فى القسطنطينية لمدة عام ، ومارس نفوذا دينيا مشابها لما حدث فى عهد أنستاسيوس • والسؤال المطروح هل يقبل الخلقيدونيون فى الشرق هذا الوضع الجديد ؟ •

الواقع أن افرايم Ephraim بطريرك أنطاكية ، وكذلك الرهبان فى فلسطين لم يقفوا مكتوفى الأيدى ازاء علو نجم ساويرس مرة ثانية ، أو بمعنى آخر رجحان كفة أتباع المونوفيزتين فى العاصمة ، لذلك أرسلوا الوفود للبابا أجابيتوس Agapetus فى روما مطالبين اياه بسرعة التدخل شارحين له خطورة الموقف (٢٧) واذا كان البابا قد وصل بالفعل سريعا الى القسطنطينية فى أوائل مارس ٥٣٦م ، فانه لا يصح أن يغيب عنا أن ذهابه الى العاصمة لم يكن لمجرد الصيحة التى وصلته من أنطاكية والشام فحسب ، بيد أنه ذهب فى المقام الأول كمندوب من قبل الملك القوطى ثيوداد Theodahd فى مهمة سياسية بحتة وهى مناشدة جوستنيان ايقاف العمليات العسكرية فى صقلية ودالماتيا Dalmatia مقابل أى شروط يفرضها جوستنيان على أن يحتفظ الملك القوطى بعرشه (٢٨) • واستغل البابا أجابيتوس هذه الفرصة الذهبية بمنتهى الذكاء وحقق كل ما أراد ، اذ نجح فى عزل أنثيموس وتعيين ميناس Menas فى الثانى عشر من مارس ٥٣٦م ، بعد نجاحه فى اقناع الامبراطور جوستنيان بوجهة نظره (٢٩) •

---

(٢٤) *Marcel, Com.*, Op. Cit., p. 943 ; *Zachariah*, Op. Cit., p. 265
Theophenes ,p. 337; *Michel Le Syrien*, Op. Cit., II, p. 195; *Lebon*, Op. Cit., p. 75, *Frend*, Op. Cit., p. 271; *Diehl*, Justinien, p. 336.

(٢٥) *Zachariah*, Op. Cit., p. 265; *Bury* Op. Cit., p. 377.

(٢٦) *Zachariah*, Op. Cit., p. 265; *Michel Le Syrien*, Op. Cit., II, pp. 196-197; *Lebon*, Op. Cit., pp. 74-75.

(٢٧) *Liebratus*, Brevarium, Col. 1039; *Zachariah*, Op. Cit., p. 267; *Lebon* Op. Cit., p. 76; *Frend*, Op. Cit., p. 272; *Bury*, Op. Cit., p. 377.

(٢٨) *Zachariah*, Op. Cit., p .267; *Holmes*, Op. Cit., II, p. 671; *Frend*, Op. Cit., p. 272.

(٢٩) *Liberatus*, Breviarium, Col. 1039, *Lebon*, Op. Cit., p. 76; p. 76;; *Frend*, Op. Cit,., p 272

ولا شك أن جوستنيان اقتنع بضرورة التخلي عن سياسة التوفيق بين المذهبين لاعتبارات سياسية فى المقام الأول ، وعلى ضـــوء المتغيرات الجديدة فى ايطاليا التى كانت تشير كل المؤشرات والحسابات أنها على وشك العودة الى حظيرة الامبراطورية (٣٠) وهكذا سقط أنثيموس ، صنيعة ثيودورا • واضطر الى اعادة طيلسان البطريرك الى الامبراطور ، غير أنه ظل بالقصر الامبراطورى تحت حماية ثيودورا (٣١) •

على أن وفاة أجابيتوس المفاجئة بالقسطنطينية بعد شهر واحـــد (فى الثالث عشر من مارس ٥٣٦م) ، من تعيين ميناس ، لم تحـــدث تغييرا فى الموقف لصالح المونوفيزتين وانما على العكس من ذلك ، اذ نجح ميناس فى عقد مجمع محلى بالقسطنطينية حضره تسعة وعشرون أسقفا من اللاتين واليونان والسريان ، وعقدوا خمس جلسات (من الثالث من مايو ـ الى الرابع من يونية ٥٣٦م) ، وأدانوا فى هذا المجمع كلا من أنثيموس وساويرس وزوراس كما أدانوا كتاباتهم (٣٢) وأوضح ميناس فى هذه الجلسات « أنه بدون مشيئة الامبراطور وأوامره ، لا يصح أن يتم شيء يتعلق بالشئون الكنسية (٣٣) • ولا شك أن هذه العبارة تدل على مدى قوة جوستنيان ، وتدخله فى الشئون الكنسية ، وبخاصة فى فرض ارادته فى المسائل اللاهوتية •

على أية حال ، صدق جوستنيان على قرارات المجمع المحلى الذى عقده ميناس ضد أقطاب المونوفيزتين وأصدر فى السادس من أغسطس ٥٣٦م قانونا ضد هذه الطائفة ، اعترف فيه بأن البابا أجابيتوس هو الذى أجبر أنثيموس على ترك العرش الاسقفى للعاصمة ، لمخالفتـــه لقوانين مجمع خلقيدونية • ونص القانون على منع أنثيموس من الاقامة فى العاصمة أو فى أى مدينة كبرى ، مع ضرورة التزامه الصمت التام ، وأكد القانون على لعنة ساويرس التى أصدرها المجمع المحلى ، الذى عقده خلال شـــهر مايو ٥٣٦م ، ووصفه جوســـتنيان بأنه « المجلس البطريركى العالمى » وحذر من اقتناء كتب ساويرس وأمر باحراقها ، وحذر من نسخ هـــذه الكتب ، وهدد النساخ بقطع اليـــد اليمنى لكل من خالف منهم هـــذا القانون • وحرم على ساويرس وزوراس وبطرس أسقف أفاميا ، دخول

(٣٠) E. *Hardy*, «The Egyptian Policy of Justinian,» Dumarton Oaks Papers, No. 22, (1968), p. 32.

(٣١) *Liberatus*, Op. Cit., Col. 1039; *Holmes*, Op. Cit., p. 671.

(٣٢) *Mansi*, Op. Cit., VIII, Col: 877-889; *Harnack*, Op. Cit., p. 243.

(٣٣) *Frend*, Op. Cit., pp. 272-273.

العاصمة ، أو أى مدينة كبيرة ، وألزمهم بالصمت التام بعد أن اعتبرهم جميعا خارجين عن الايمان الارثوذكسى (٣٤) ٠

ونتيجة لما تقدم عادت السيادة العليا لاتباع المجمع الخلقيدونى ، ففى أنطاكية أطلق البطريرك افرايم Ephriam العنان فى عمليات اضطهاد أتباع المونوفيزيتيين ، من سجن وتعذيب وقتل (٣٥) هذا فى الوقت الذى حاول فيه جوستنيان اتباع أسلوب الاغراء مع البطريرك ثيودوسيوس بالاسكندرية ، ومنحه كرسى البطريركية والولاية على مصر وأن تكون له السيادة على جميع أساقفة افريقيا مقابل اعلانه الولاء للمذهب الخلقيدونى مع التهديد بالنفى فى حالة الرفض ، بيد أن ثيودوسيوس فضل الخيار الثانى ٠ وعلى ذلك تم نفيه بقلعة ديركوس Derkos باقليم تراقيا Thrace (٣٦) وعين جوستنيان مكانه البطريرك بولس (٥٣٦ ــ ٥٣٩م)٠ ومنذ ذلك التاريخ اعتاد المصريون على مشاهدة بطريرك خلقيدونى يمثل السلطة الأجنبية ، ثم خلفه زيولوس Ziolus (٥٣٩ ــ ٥٥١م) السورى الأصل (٣٧) ٠

وهكذا فشلت جهود جوستنيان فى التوفيق بين المنافزة وأتباع المذهب الخلقيدونى بالرغم من كل محاولاته لكسب المونوفيزيتيين الى حظيرة مذهب الدولة ٠ ويرى الباحث أن سياسة الامبراطور فى هذا المجال كانت تسير وفق المواقف السياسية ، ففى حالة وجود الخطر على الجبهة الفارسية سارع جوستنيان بالعمل على تهدئة الخواطر المونوفيزيتية ، والعمل على اجراء الحوار معهم ٠ وعندما ألحت عليه المعطيات السياسية بالغرب ، ودفعه حرصه الشديد على ارضاء البابوية للمساعدة فى نجاح خطته الاستردادية ، نجده ، وقد تخلى كلية عن سياسة التوفيق بين المونوفيزيتيين والخلقيدونيين ، بل وجعل الكلمة العليا لأتباع المذهب الرسمى للدولة فى الشرق كله ٠ وبخاصة بعد أن ضمن هدوء الجبهة الفارسية منذ أن عقد معاهدة السلام الدائم مع الفرس ٠

---

(٣٤) Nov., 42, pp. 300-305.

(٣٥) *John of Ephesus*, History of the convents of Amida, (ed Brooks), Po. 18, p. 62»; **Ibid**, Life of John of Jella (ed. Brooks), PO 18, pp. 524-5, ***Zachariah***, Op. Cit., pp. 297-300; ***Michel Le Syrien***, Op. Cit., P. 187, *Frend*, Op. Cit., p. 274.

(٣٦) *Michel Le Syrien*, Op. Cit., pp. 194-195; ***Holmes***, Op. Cit., p. 776; ***Frend***, Op. Cit., p. 274.

(٣٧) *Liberatus*, Op. Cit., Col. 1044; ***Zachariah***, Op. Cit., p. 320; *Evagrius*, Op. Cit., p. 419; *Frend*, Op. Cit., p. 275; **Hardy**, The Egyptian policy of Justinian, pp. 33-37; ***Holmes***, Op. Cit., p. 677.

على أن جهود جوستنيان فيما يتعلق بسياسته تجاه الكنيسة صادفت نجاحا ملموسا ، اذا ما قورنت بجهود من سبقه من الأباطرة ، اذ أصدر التشريعات التى استهدفت تنظيم الشئون الادارية للكنيسة ، بشكل أكثر جدية ، بعد أن كان الفساد قد تطرق اليها بفعل القائمين عليها أنفسهم هذا من ناحية ، ولضعف الاشراف الحكومى عليها من ناحية ثانية .

فبالرغم من أن حياة رجل الدين ـ أيا كانت درجته الكهنوتية ـ يجب أن تتصف بالعفة ، والقدوة الحسنة ، فان الواقع كان شيئا آخر تماما ، الأمر الذى حدا بالامبراطور ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ ـ ٤٥٠م) أن يصدر التشريعات التى تمنع تردد رجال الكنيسة على أماكن اللهو ، من مسارح ، وحفلات موسيقية وما شابه ذلك ، وهدد كل مخالف ذلك القانون بالفصل من سلك الكهنوت ، وتعريضه للعقاب (دون ذكر نوعية هذا العقاب) ، وذلك سنة ٤١٦م (٣٨) بل انه أصدر قانونا سنة ٤٢٠م يتحدث فيه عن انحرافات رجال الدين ، « لا يليق على الاطلاق بهذا الذى يعيش فى الحياة الدنيا ، معيشة جديرة بالثناء والحمد ، أن يدنس نفسه بمعاشرة امرأة ، مدعيا أنها شقيقته ، أو أن يقوم القساوسة الذين يرتدون زى العفة ، بالبحث عن المحرمات ، وذلك بمعاشرة النسوة الغرباء » (٣٩).

واذا كان هذا هو حال كبار رجال الكنيسة ، فما هو ـ يا ترى ـ حال من هم دونهم فى السلم الكهنوتى ؟ .

على اية حال ظلت هذه الانحرافات قائمة حتى عصر الامبراطور جوستنيان ، مما اضطره الى فرض عقوبات على كل مرتكب لها ، « محظور على الأساقفة والكهنة ، والرهبان ممارسة لعب النرد (الطاولة) ، والمشاركة فى العروض المسرحية » . وحدد جوستنيان عقوبة المخالف لهذا القانون بالحرمان من الوعظ لمدة ثلاث سنوات ، يقضيها حبيسا فى أحد الأديرة (٤٠) .

بيد أن الفساد داخل الكنيسة ، امتد ليشمل الهيكل التنظيمى لها ، فعلى قمة النظام الهرمى للكنيسة كان منصب الأسقف قد تطرق اليه الفساد والتدهور ، اذ كان فى استطاعة أى أمى ، لا يعرف القليل عن

---

(٣٨) Cod. Just., I, III, 17, p. 54.

(٣٩) Cod. Just., I, III, 19, p. 56.

(٤٠) Nov., CXXIII, C., x, p. 187.

مبادىء الايمان المسيحى الوصول الى هذا المنصب طالما كان فى مقدرته دفع الثمن المطلوب ، حتى ولو كانت حياته ملطخة بالوحل (٤١) ٠

ولايمان جوستنيان بأن خلاص الدولة يعتمد فى المقام الأول على الكنيسة ، التى لابد أن يتحقق لها السلامة والاستقامة (٤٢) عمل جاهدا على اصلاح كل عيب بالكنيسة ، فى الوقت الذى نهض بها وبرجالها عامة ، حتى يسد كل الطرق التى تؤدى الى الوقوع فى الخطأ ، وأن يرسى قواعد الايمان على أسس ثابتة » ٠ على حد قول بروكوبيوس (٤٣) ٠

وضع جوستنيان شروطا محددة لتولى منصب الأسقفية ، منهـا ألا يكون المرشح لهذا المنصب أميا ، وأن يكون على دراية بمبادىء الايمان المسيحى ، وألا يكون متزوجا ، أو له أبناء ، وحـذر من شراء منصب الأسقفية بالمال ، واشترط أن يكون المرشح راهبا ، أو عاش بين الكهنة لمدة ستة أشهر على الأقل ، وأن يتقدم بشهادة من الكهنة توضح عفته وطهارته ، وأن يكون قد درس القوانين الكنسية التى وضعها آباء الكنيسة فى المجامع المكسونية ، وذلك فى قانونه الصادر فى السابع عشر من أبريل سنة ٥٣٥م الى البطريرك ابيفانيوس Epiphanius (٤٤) وبعد ذلك بأحد عشر عاما (٥٤٦م) وضع شروطا جديدة أكثر تشددا لتولى منصب الأسقفية ، منها ألا يقل سن المرشح لهذا المنصب عن خمسة وثلاثين عاما ، وأن يكون قد أمضى فى أحد الأديرة خمسة عشر عاما ، وأن يدين بالايمان الكاثوليكى ، وأن يكون على قدر من الثقافة ، وأن يتم انتخابه من بين ثلاثة من المرشحين لهذا المنصب أمام الأناجيل المقدسة ، وكرر تحذيره من شراء المنصب بالمال ، أو بتقديم الهدايا (٤٥) ٠

وامتدت اصلاحات جوستنيان الادارية داخل الكنيسة الى الكهنة فاشترط ألا يقل سن القس عن خمسة وثلاثين عاما ، وألا يقل سن الشماس عن خمسة وعشرين عاما ، وألا يقل سن القارىء عن ثمانية عشر عاما ، وألا يقل سن الشماسة عن أربعين عاما على ألا تكون متزوجة (٤٦).

---

(٤١) Nov., VI, C., I, p. 46.

(٤٢) Nov., VI, Prèface, p. 45 ; *Holmes*, Op. Cit., p. 689.

(٤٣) *Procopius*, Buildings, pp. 5-7; *Bury*, Op. Cit., 360.

(٤٤) Nov. VI, C., I, pp. 46-48.

(٤٥) Nov., CXXIII, C., 1, pp. 178-179; C., II, p. 180.

(٤٦) Nov., CXXIII, C., XIII, p. 189.

والملاحظ أن سن الشماسة منذ عهد ثيودوسيوس الأول (٣٧٩ ـ ٣٩٥) كان لا يقل عن خمسين عاما ٠ وظل هذا القانون ساريا حتى عصر جوستنيان ، انظر :
Cod. Just., III, 9, p. 50.

وحرم جوستنيان رسامة الشمامسة أو القساوسة الذين تزوجوا للمرة الثانية • وجعل عقوبة المخالف الطرد من السلك الكهنوتى (٤٧) . أما القارىء أو المنشد اذا ما تزوج للمرة الثانية ، فان ذلك يعوق ترقيته فى السلم الكهنوتى (٤٨) •

ولا شك أن جوستنيان استهدف من هذه التشريعات التى تتعلق بحياة الأسقف ، ومن دونه فى السلم الكهنوتى ، الارتفـــاع بالمستوى اللائق لرجال يحملون أمانة الايمان المسيحى ، والذين يجب أن يكونوا قدوة حسنة قدر المستطاع •

على أن قيام جوستنيان باصدار تشريع ينص على أن قوانين المجامع المسكونية الأربع ـ نيقية ٣٢٥م ، القسطنطينية ٣٨١م ، افسوس ٤٣١م ، خلقيدونية ٤٥١م ـ لها قوة القوانين الامبراطورية انما يشكل سابقة لها أهميتها ؛ اذ يعتبر هذا الاجراء بمثابة الارتفاع بالكنيسة الى المستوى الذى جعلها تحت هيمنـــة الدولة ، أو بمعنى آخر تحت هيمنـــة الامبراطور جوستنيان (٤٩) •

ويبدو أن أهمية هذا القانون ترجع الى حرص جوستنيان على وحدة المذهب المسيحى فى عصر تعددت فيه المذاهب المسيحية بشكل أصبحت فيه هذه المذاهب تشكل خطرا دينيا وسياسيا فى نفس الوقت اذ لم تسلم أماكن العبادة أو الذين يمارسون الطقوس الدينية من الاعتداءات المتكررة ابان الصلوات •

فبالرغم من صدور قانون ينص على الحكم بالاعدام على كل من مارس أعمال العنف والارهاب داخل الكنيسة ، أو اعتدى على القساوسة ورجال الكهنوت ، والخدم منذ عهد الامبراطور أركاديوس (٥٠) (٣٩٥ ـ ٤٠٨) فان الاعتداء على الكهنة ، وعلى مبنى الكنيسة ذاته ظل قائما حتى سنة ٥٤٦م ، مما حدا بالامبراطور جوستنيان الى اصدار تشريع يؤكد فيه قانون أركاديوس ، « اذا ما حدث أثناء اقامة الصلوات المقدسة ، فى كنيسة ، أى اهانة للاسقف أو للكهنة أو لباقى العاملين بالكنيسة ، فاننا نأمر بضرب المذنب بالمقارع ونفيه ، واذا ما قام المذنب بعرقلة الطقوس

(٤٧) *Nov.* 6, C., p. 58; *Pargoire*, Op. Cit., p. 58.

(٤٨) *Nov.* 22, C., 42, pp. 203-204; *Labriolle*, Op. Cit., p. 540.

(٤٩) Nov. 131, C., I, pp. 240-241.

(٥٠) Cod. Just. I, III, p. 51.

الكهنوتية المقدسة ، وحال دون اتمام اجراءات الاحتفال المقدس ، فاننا نأمر باعدامه • وينطبق هذا القانون على أولئك الذين يعتـــدون على الأساقفة أو الكهنة ، أثناء الطواف بالأشياء المقدسة داخل الكنيسة ، واذا كانت الاهانة بسيطة يضرب المذنب بالمقارع وينفي • أما اذا عطل المذنب الطواف داخل الكنيسة فسوف يتعرض لعقوبة الاعدام (٥١) •

ولا شك أن هذه القوانين كفيلة باعادة التنظيم الادارى للكنيسة ، دون التعرض لمسائل الطقوس التى كانت متروكة لرجال الاكليروس ، او العقيدة التى كانت تحددها المجامع المسكونية (٥٢) •

وبعد أن أعــاد الامبراطور جوســـتنيان للتنظيم الكنسى مكانته المصونة ، بالقانون فى الدولة منح الأسقف سلطات مدنية ، وقضائية بالاضافة الى مهمته الأساسية الروحية ، فالأســـقف هو الأب الروحى للمنطقة المسئول عنها ، سواء كانت مدينة أو اقليما • وفى نفس الوقت امتدت صلاحياته الدينية لتشمل الاشراف على الحياة الديرية ، اذ صار من حقه اختيار رئيس الدير ، من بين المتقدمين لشغل هـــذا المنصب ، على ضوء درجة الكفاية ، والتحلى بالفضيلة ، والأكبر سنا ، فى حالة التساوى فى القدرات (٥٣) كما امتدت سلطة الأسقف ، الى ضرورة ابلاغه عن الرغبة فى بناء دير أو كنيسة بمعرفة أى شخص ، وأن يتولى الاشراف على عملية البناء ، وأن يضع رمز الخلاص (الصليب) ، فى المكان المحدد للبناء ، على أن يحدد بمعرفته رئيس الدير أو قس الكنيسة ، وأن يحضر حفل الافتتاح (٥٤) فكان من سلطة الأسقف منح خطابات للكهنة والرهبان الذين يغادرون أقاليمهم للذهاب الى القسطنطينية حتى يمكن معاملتهم المعاملة اللائقة بالكهنة والرهبان (٥٥) •

كان الأسقف مفوضا فى الاشراف على أنشطة الحياة المدنية ، فمن سلطته طلب تقرير من المسئولين عن المنشآت العامة ، مثل الحمامات ، والطرق والتماثيل وقنوات المياه ، والموانى ، والتحصينات ومن سلطته اختيار ثلاثة خبراء لمساعدته بخبرتهم • وله حق زيارة حاكم الاقليم ومعه حاشية ، وللأسقف الحق فى أن يأمر بحظر لعب الميسر ، وله حق زيارة

---

(٥١) Nov. 123, C., 31, p. 201.

(٥٢) *Bury*, Op. Cit., p. 360.

(٥٣) *Nov.* 5, C., 9, p. 43; Nov. 123, C., 34, p. 202.

(٥٤) *Nov.* 5, C., 1, p. 37; *Nov.* 131, C., 7, pp. 242-3.

(٥٥) *Cod.* Just., 1, 3, 22, p. 58.

السجون كل يوم أحد لكى يستعلم عن حالات المحتجزين . ومن واجبه مراجعة وصايا الارث الخاصة بالكنيسة أو أعمال البر (٥٦) .

على أن مكانة الأسقف تجاه المسائل القضائية كانت قديمة ، وان كان جوستنيان قد عمل على زيادة علوها ، اذ منذ عهد ثيودوسيوس الأول (٣٧٩ - ٣٩٥م) ، لم يعد من حق القاضى المدنى الزام الأسقف بالحضور أمامه للادلاء بشهادته وذلك وفقا لقانونه سنة ٣٨٥م (٥٧) . بل ان الامبراطور أركاديوس ، سمح للأسقف بالفصل فى الدعاوى المقدمة اليه ، طالما ارتضى الطرفان المختصمان أن يحكم بينهما وذلك سنة ٣٩٥م (٥٨) ، على أن يكون الحكم الصادر عن الأسقف صحيحا وقانونيا ، والزم القضاء بمراعاة ذلك (٥٩) . بل أن الامبراطور ثيودوسيوس الثانى أصدر تشريعا ينص على جعل عقوبة الادعاء الكاذب ضد الأسقف أن يدفع المدعى غرامة مالية قدرها ثلاثين رطلا من الذهب الى خزانة الدولة وذلك سنة ٤٣٩م (٦٠) وظلت هذه القوانين سارية الى عصر جوستنيان ، اذ لم يصدر تشريع يتعلق بمكانة الأسقف فى المسائل القضائية حتى عصره . وهكذا ظل الأسقف يمارس وظيفة قاضى وفى نفس الوقت يتمتع بشىء أقرب الى ما يسمى فى عصرنا بالحصانة القضائية .

غير أن ذلك لم يحل دون تعرض الأسقف للاستدعاء الجبرى للمثول أمام القضاء مما حدا بالامبراطور جوستنيان سنة ٥٤٦م الى اصدار التشريع الذى يمنع القضاة من استدعاء الأساقفة للمثول أمامهم ، « على القاضى ارسال مندوبين عنه الى الأسقف ، وعلى هؤلاء المندوبين أن يقسموا على الأناجيل المقدسة بما سمعوه من الأسقف ، دون أن يحدث ما يمس الآداب الواجبة تجاه المنصب الكهنوتى » (٦١) ، واشترط جوستنيان أن يكون مثول الأسقف أمام القاضى المدنى مسبوقا بأمر الامبراطور ، وحذر القضاة بدفع غرامة قدرها عشرة أرطال من الذهب توضع لحساب الكنيسة التى يديرها هذا الأسقف ، كما أن الضابط الذى يقوم بتنفيذ أمر القاضى - الذى خالف هذا القانون - كان عرضة للعقاب بالضرب بالمقارع

---

(٥٦) *Holmes*, Op. Cit., p. 690, *Bury*, Op. Cit., p. 362 ; *Stein*, Op. Cit., p. 400.
(٥٧) Cod. Just 1, 3, 7, p. 49.
(٥٨) Cod. Just. 1, 4, 8, p. 88.
(٥٩) Cod .Just. 1, 4, 9, p. 88.
(٦٠) Cod. Just, 1, 3, p. 22, p. 58.
(٦١) Nov. 123, C., 7, p. 185.

والنفى (٦٢) • وهكذا يتضح أن الأسقف صار غير خاضع لسلطة قاضى الاقليم ، اللهم الا اذا صدر أمر من الامبراطور يخالف ذلك •

واذا كان جوستنيان قد رفع من منزلة الأسقف أمام قاضى الاقليم الا أنه منحه سلطات قضائية لا تقل بأى حال من الأحوال عن سلطة القاضى المدنى ذاته اذ أن الدعاوى الكنسية جعلها الامبراطور من اختصاص الأسقف دون غيره للفصل فيها (٦٣) واذا أقام أحد العلمانيين دعوى ضد أحد رجال الاكليروس ، فيجب أن تعرض أولا على الأسقف للفصل فيها ، واذا ما وافق طرفا الدعوى على حكم الأسف ، فعلى قاضى الاقليم الذى به الأسقف تنفيذ حكم الأسقف بالكامل • على أن جوستنيان أجاز لصاحب الدعوى الحق فى معارضة حكم الأسقف خلال عشرة أيام ، وأباح لقاضى الاقليم الفصل فيها من جديد (٦٤) •

وهكذا بدت الكنيسة فى عصر جوستنيان ، وفقا لتشريعاته الادارية ليا على أنها احدى مؤسسات الدولة التى يرأسها شخصيا ، وبدت الكنيسة على أنها صارت موحدة تحت رياسته بعد أن تجسدت فى شخص جوستنيان صورة الامبراطور ــ الكاهن اذ كان امبراطورا وكاهنا أعلى ، بل أنه يكون قد أوفى بما عاهد عليه عندما أعلن سنة ٥٢٨م من أنه ، « يرغب بعون الله ، فى التأكيد بالقانون ، من أجل رفعة الكنيسة حتى ننال رضى الله علينا » (٦٥) •

كان المتوقع أن تمتد سيطرة جوستنيان الدينية الى الأديرة بعد أن سيطر على الكنيسة ، لأن الرهبان كان لهم دورهم فى الخلافات المذهبية والحياة السياسية ، لذلك عمل جوستنيان بجدية على احتواء الأديرة بالاشراف الدقيق عليها • وبخاصة أن الربع الأخير من القرن الخامس شهد انتشارا للحركة الديرية ، حيث قام الرهبان بالاستيلاء على أماكن الدعارة وما شابهها وحولوا تلك المبانى الى أديرة ، ونقلوا اليها رفات القديسين الشهداء ، مما اضطر الامبراطور ليو الأول (٤٥٧ ــ ٤٧٤م) الى اصدار قانون يمنع التصرف (٦٦) وفى عهد جوستنيان زادت الأديرة

---

(٦٢) Nov. 123, C., 8, p. 185.

(٦٣) Nov. 83, Prèface, pp 4,61-362 ; *Nov.* 123, C., 21, pp. 194-195; C., 27, p. 198.

(٦٤) Nov 83, prèface, pp. 461-463, Nov. 123, C., 21, p. 194.

(٦٥) Cod. Just. 1, 3, 42, p. 83.

(٦٦) *Cod. just,* I, 3, 26, p. 62.

كان بالقسطنطينية سنة ٥٣٦) سبعة وستون ديرا للرجال بخلاف
ة النساء (٦٧) ٠

أصدر جوستنيان التشريعات المنظمة للحياة الديرية حتى أنهـــا
ت الأســـاس الحقيقى للمؤســـسات الديرية فى الامبراطورية
.نطية (٦٨) وعبر عن مفهومه عن الحياة الديرية فى أنها حياة مثالية
للانسان ، أرغد الحياة مع الله ، وتطهره من كل الخطايا الانسانية ،
ىله طاهرا على الدوام ، لين العريكة ، واسع المعرفة ، ومترفعا عن
م (٦٩) وهناك مفهوم آخر للامبراطور جوستنيان عن الحياة الديرية ،
تشريعاته اعتقد بأن الرخاء الاقتصادى ، والسلام ، والانتصار على
اء يمكن أن تتحقق بفضل صلوات الرهبان المستمرة ، « على أنه
قدمت هذه الشخصيات المقدسة [يقصد الرهبان] صلواتهم الى الله
أجل رفاهية الامبراطورية ـ وهم أصحاب الأيدى الطاهرة ، والأرواح
افية ـ فلا ريب فى انتصار جيوشنا ، وازدهار مدننا ، ولن نتعرض
ب الله علينا ، وانما ننعم برعايته ، ولم لا ننعم بالسلام العـام ،
خلاص شعوبنا بالكامل ؟ وستنبت الأرض ثمارها ، وسيجود علينا
ر بخيراته ، لأن صلواتهم ستجلب رعاية الله لكل الامبراطورية » (٧٠).

غير أن الحياة الديرية ، بصفة عامة ، على عصر جوستنيان كانت
جة الى الاصلاح ، لوجود مظاهر الفساد بها ، التى لم يخفها جوستنيان
تشريعاته ، التى استهدفت العلاج باتباع أساليب التقويم والردع ،
دة تنظيم الحياة الديرية من ألفها الى يائها ٠

تمثلت هذه المفاسد الأكيدة ـ على حـــد قول جوستنيان ـ فى
ارات العديدة للأديرة (٧١) ٠ وفى التذرع بالخروج من الدير للصلاة
نيسة (٧٢) وفى دخول الرجال أديرة النساء ودخول النساء أديرة
جال (٧٣) ٠ وتردد الرهبان على أماكن اللهو وتعاطى الخمور وممارسة

---

(٦٧) *Cansi*, Op. Cit., VIII, Col. 1007-1008; *Bury*, Op. Cit., p. 363.

(٦٨) *Diehl*, Justinian, P. 503; *Bury*, Op. Cit., p. 362.

(٦٩) *Nov.* 5, Pre. pp. 36-37 ; *Nov.*, 133, pre. p. 251.

(٧٠) Nov., 133, C., 5, pp. 257-258.

(٧١) Nov. ,133, C., 1, p. 253.

(٧٢) Nov., 133, C., 2, p. 253.

(٧٣) Nov., 133, C. 3, p. 254.

الفحشاء (٧٤) ٠٠ ووجود أديرة مشتركة تضم الرجال والنساء معا (٧٥) واتخاذ بعض الرهبان صوامع خصوصية للمبيت بهـــا (٧٦) وحدوث انحرافات خلقية داخل الدير أثناء نوم الرهبان (٧٧) وحدوث اعتداءات على الراهبات بالرغم من أن عقوبة الاعتداء على الراهبة كانت الاعدام منذ عهد الامبراطور جوفيان (٣٦٣ ـ ٣٦٤م) وكرر جوستنيان التأكيد على هذه العقوبة فى قانونه الصادر سنة ٥٤٦م (٧٨) ٠

والواقع أن اصلاحات جوستنيان الديرية لم تكن من بنات أفكاره ، وانما كانت بناء على مقترحات الراهب زوزيموس Zosimus من اقليم ليكيا Lycia ، والذى كان قد ناهز العشرين بعد المائة ـ وذلك باعتراف جوستنيان نفسه (٧٩) ٠ ونصت تشريعات جوستنيان على منع بناء الأديرة فى أى جزء من الامبراطورية قبل ابلاغ أسقف الاقليم ، الذى من واجبه الاشراف على البناء ، وحضور حفل الافتتاح ووضع رمز الخلاص (الصليب) على الدير (٨٠) وبذلك قضى جوستنيان على أديرة لا تخضع لمذهب الدولة ٠

وفتـح جوستنيان الباب للعبيد بالانخراط فى السلك الديرى ، أسوة بالأحرار ، وسمح للنساء بدخول الدير طالما أنه حق للرجال ، « اذ لا يصح أن يكون هناك فرق بين الرجل والمرأة فى العبادة ، ولا بين الحر والعبد ، فالكل سواسية فى المسيح » (٨١) ٠ غير أن جوستنيان وضع شروطا محددة لمن شاء أن ينخرط فى السلك الديرى ، فلا بد أن يقضى الراهب فترة ثلاث سنوات سواء كان حرا أو عبدا ، تحت الاختبار ، يتلقى خلالها علوم اللاهوت ، وبعد معرفة رئيس الدير عن الدافع الذى دفعه الى الانخراط فى السلك الديرى ٠ وبعد اجتياز فترة الاختبار التى يتعلم فيها الراهب المبتدىء الصبر ، والاستقامة ، والمعاناة والجلد ، يكون حينئذ مؤهلا لارتداء مسوح الرهبنة ، واكليل الرأس [عبارة عن دائرة محلوقة فى قمة رأس رجل الاكليروس حين يقبل فى صفوفهم] ٠ وفى

---

(٧٤) Nov., 133, C., 6, p. 258.
(٧٥) Nov., 123, C., 36, p. 204.
(٧٦) Nov., 133, C., 1, p. 251.
(٧٧) Nov., 133, C., 1, p. 251.
(٧٨) Cod. Just., 1, 3, p. 48; Nov. 123, C. 43, p. 208.
(٧٩) Nov., 5, C., 2, p. 37.
(٨٠) Nov., 5, C., 1, p. 37 ; Nov. 123, C. I, p. 202.
(٨١) Nov., 5, C., 1, p. 37 ; Nov. 123, C. I, p. 202.

هذه اللحظة ينعم العبد بحريته الكاملة ، « اذ أن النعمة الالهية شاءت ان يتحرر هؤلاء العبيد بقوة القانون وحده » على حد قول جوستنيان (٨٢) .

ولا شك أن السماح للعبيد بالانخراط في السلك الديرى ، ومنحهم الحرية الكاملة بعد اجتيازهم فترة الاختبار بنجاح ، قد ساعد على تناقص العبيد في المجتمع الرومانى ، ويبدو أن هذا كان من بين العوامل التى أدت الى زيادة أعداد الرهبان والنشاط الديرى على عصر جوستنيان . هذا اذا ما أضفنا اليهم عبيد الطوائف الدينية التى لا تدين بمذهب الدولة ، اذ كانوا يحصلون على حريتهم ـ وفقا للقانون ـ بمجرد اعتناقهم المسيحية على مذهب الدولة . ويضـــاف اليهم أيضـــا عبيد اليهود والسامريين والوثنيين . لذلك يمكن القول أن تشريعات جوستنيان الدينية فيما يخص العبيد بصفة خاصة ساعدت بشكل ملحوظ على تحريرهم ، وسقوط نير العبودية عنهم (٨٣) .

غير أن القانون نص على اعادة العبد الى سيده ، في حالة واحدة ، وهى اذا ما قدم هذا السيد الدليل القاطع على أن العبد لجأ الى الدير للهروب من جريمة ارتكبها ، شريطة ألا يكون العبد قد أمضى فترة الاختبار ، ففى هذه الحالة يعود العبد الى سيده بعد أن يقسم السيد ، عند استلامه للعبد ، على حسن معاملته له اما بعد مضى فترة الاختبار فلن يحق للسيد المطالبة بعده ، حتى ولو كان قد مارس الرذيلة فى مستهل حياته ، لأن السنوات الثلاث من المعاناة والمشقات كافية للتكفير عن ذنوبه ، وتأصيل الطهارة فى نفسه (٨٤) . أما اذا هرب العبد ، وهو فى فترة الاختبار ، من الدير ، فيحق لسيده استرداده (٨٥) .

وحتى يكون الاشراف على الرهبان دقيقا داخل الدير ، نصت التشريعات على ضرورة حياة الرهبان فى الدير ، حياة جماعية فى المأكل ، والنوم ، وبذلك يكونوا متآلفين ، ومطيعين لرئيسهم ومراعين للنظام الذى يضعه لهم بكل دقة (٨٦) .

---

(٨٢) Nov., 5, C., 2, P. 37.

(٨٣) كان جوستنيان قد أصدر قانونا سنة ٥٢٩م أعطى حق التحرر من نير العبودية للرقيق الذين يرغبون فى اعتناق المسيحية على مذهب الدولة ، وعدد سادتهم من اليهود والسامريين والوثنيين والطوائف الدينية التى لا تدين بمذهب الدولة بتطبيق عقـــوبة الاعدام فى حالة مخالفة القانون ، انظر :
Cod. Just. I, III, 42, pp. 84-85.

(٨٤) Nov., 5, C., 2, p. 39.

(٨٥) Nov., 5, C., 2, p. 39.

(٨٦) Nov., 5, C., 3, p. 40, Nov. 123, C. 36, pp. 203-4.

وتطرقت التشريعات الى ممتلكات الراغب فى الانخراط فى سلك الرهبنـة ، فنصت على ضرورة التصرف فى أموالهم قبل دخول الدير بالطريقة التى تحلو لهم ، وأن يترك لأطفاله ربع التركة على الأقل ، لأن ممتلكات كل من ينخرط فى السلك الديرى تصبح مملوكة للدير ، ويفقد صاحبها حق تملكها ، حتى ولو لم يعلن صراحة عن ذلك (٨٧) ٠

ولعلاج المفاسد داخل الدير ، أمر جوستنيان ، بأن يظل فريق ساهرا ليراقب سلوك من غلب عليهم النعاس ، حتى يكونوا دائما بعيدين عن كل أنواع الآثام والسفاهات (٨٨) ٠

ولم يعد هناك فوضى ناجمة عن خروج الرهبـان او دخول غرباء للدير ، بعد أن أحاط جوستنيان الأديرة بأسوار قوية ، وبنى بكل دير كنيسة صغيرة ، وزود كل دير بالكتب الدينية ، وجعل للدير بابا واحدا وصار الخروج من الدير باذن رئيس الدير نفسه فى صحبة كبار السن من الرهبان ولأسباب دينية فحسب (٨٩) ٠

وقضى على كل الشبهات الناجمة عن اختلاط الرهبان بالراهبات ، والتى كان من بينها التذرع بحجة القرابة ، أو حضور جنازات الموتى ، « لأنه لا توجد قرابة فى الحياة الدنيا للرهبان الذين يتفكرون فى الحياة السماوية ٠ ومن جهة أخرى ماذا سيكون هدف أولئك الذين يودون دخول اماكن مقدسة كتلك ، اذا لم يكن من أجل اقتراف ما هو محرم ؟ » (٩٠) ٠ وحتى عصر جوستنيان كانت هناك عادة دفن الرجال فى أديرة النساء او العكس ٠ بيد أنه أمر بالغاء ذلك ومنع القائمين على المقابر من دخول الدير ، ولا سيما القراء ، والمناط اليهم بحفر اللحد فى أديرة الرجال ٠ اما فى أديرة النساء فقد منع دخول الرجال كلية ، حتى أنه فى حالة وفاة راهبة ، كانت رئيسة الدير ، ومعها راهبة أخرى ، تقومان بمواراة جثة الراهبة المتوفاة التراب (٩١) ٠ وبذلك يكون جوستنيان قد قضى على السفاهات التى كانت تحدث ابان اقامة العزاء بمناسبة مرور اليوم الثالث أو التاسع على الوفاة ، أو عندما يمضى أربعون يوما على الوفاة أو بعد مرور عام (٩٢) ٠

---

(٨٧) Nov., 5, C., 5, p. 41, Nov., 123, C. 38, p. 205.

(٨٨) Nov., 133, C., 1, p. 252.

(٨٩) Nov., 133, C., 1, p. 253.

(٩٠) Nov., 133, C., 3, p. 254.

(٩١) Nov., 133, C., 3, p. 255.

(٩٢) Nov., 133, C., 3, p. 255.

على أن أديرة الرجال خضعت للاشراف الأعلى من قبل الأسقف الذى كان عليه التصدى بكل حزم للانحرافات (٩٣) • أما الاشراف على أديرة النساء فكان المشرف من الخصيان أو الطاعنين فى السن ، ومن بين الذين لهم سمعة طيبة فى العفة وطهارة النفس ، وأن يتحدث مع رئيسة الدير بحضور حارسات باب الدير ، وعلى مقربة من باب الدير ، وأن يكون الحديث فى الشئون الادارية فقط (٩٤) •

تلك كانت أهم التشريعات التى أصدرها جوستنيان لتنظيم الحياة الديرية وهى بلا شك تدعو الى الفضيلة والطهارة وتحافظ على حياة الرهبان بما يضمن لهم التفرغ للعبادة ، والبعد كل البعد عن أى شىء يخدش رداء العفة •

ولعل من بين اصلاحات جوستنيان الديرية التى ارتقت بالحياة الديرية الغائه للأديرة المشتركة للرجال والنساء والتى ظلت قائمة حتى سنة ٥٤٦ (٩٥) •

على أن مفهوم اقامة كنيسة واحدة بمذهب واحد حتم جوستنيان التصدى للطوائف الدينية التى لا تدين بمذهب الدولة ، وهو الأمر الذى بذل فيه جهودا ذات أثر ملموس وفقا للعديد من التشريعات التى استهدفت القضاء على المعارضين للكنيسة الكاثوليكية ، بالرغم من أنها مشكلة كانت موجودة قبل اعتلائه للعرش بعدة قرون •

فالواقع يقول أن ظهور بعض الطوائف الدينية المسيحية يرجع الى القرن الأول للميلاد ، حيث اختلفت الآراء بشأن المسيح (عليه السلام) • ولا يود الباحث الخوض فى المسائل اللاهوتية ، بيد أنه من الثابت تاريخيا أن انجيل لوقا ، لم يكتبه صاحبه فى نهاية القرن الأول الا بعد أن تعددت الأناجيل التى اختلفت بشأن المسيح (٩٦) • وطالما أن هناك

---

(٩٣) Nov., 133, C. 4, P. 256.

(٩٤) Nov., 133, C. 5, pp. 256-257.

(٩٥) Nov. 123, C., 36, p. 204.

(٩٦) « اذ كان كثيرون قد اخذوا بتاليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا • كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة • رأيت انا ايضا اذ تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالى اليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » • (لوقا ١ : ١ — ٤) •

أناجيل متعددة فمن البديهى أن يكون لكل انجيل مؤمنون به ، ولا يدينون بالأناجيل الأخرى (٩٧) ٠

واذا كان المسيحيون قد توصلوا الى اتفاق على تحديد أناجيل متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا على أنها صحيحة وقانونية وما غيرها من الأناجيل غير معترف بها (أبو كريفا) (٩٨) الا أن هذا الاجراء لم يؤد الى الهدف المنشود وهو اتفاق الطوائف المسيحية على كلمة واحدة ، وانما ظلت هناك طوائف دينية لها مذاهبها الخاصة بها ٠ وعلى ذلك يمكن القول ان مسألة تعدد الطوائف الدينية المسيحية هى المسألة التى وجدت مع ظهور المسيحية نفسها على أيدى الحواريين أنفسهم ٠

واذا كان مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م كان المحاولة الأولى على المستوى العالمى للمسيحيين ، استهدف وضع صيغة متفق عليها للايمان المسيحى ، وهو ما عرف « بقانون الايمان المسيحى » الا أن هذا المجمع نفسه لم يكلل بالنجاح بشأن جمع الطوائف المسيحية على مائدة واحدة بمذهب واحد ، بل أنه كان بمثابة بداية لسلسلة من المجامع «المسكونية» التى كان ثانيها سنة ٣٨١م ، وثالثها فى سنة ٤٣١م ٠ وفى المجمعين الأخيرين تم اضافة ما وجده المجتمعون ضروريا « لقانون الايمان المسيحى » هذا فى الوقت الذى ظهرت فيه آراء دينية تتعارض مع مفهوم الايمان المسيحى للمجامع الثلاثة السابقة ٠

على أن ما يعيننا فى الأمر هو موقف أباطرة الرومان من الطوائف المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة ٠ فالواقع أن أقدم القوانين الامبراطورية التى وصلتنا وتصدت للطوائف الدينية المسحية التى لا تدين بمذهب الدولة ، صدر قبل مجمع القسطنطينية الثانى بعامين فحسب (أى سنة ٣٧٩م) ، حيث حذر هذا القانون الطوائف المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة ٠ وفى نفس الوقت أطلق عليهم كلمة (هراطقة) ،

---

(٩٧) عن أسماء هذه الأناجيل العديدة وعن الطوائف التى آمنت بها ، انظر : الأنبا يؤانس (اسقف الغربية) ، الكنيسة فى عصر الرسل ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، (١٩٧٧) ، ص ٢٩٨ - ٣٠١ ٠

(٩٨) فى أواخر القرن الثانى الميلادى (حوالى ١٨٠م) اتفقت كنائس أنطاكية وافسوس وروما على اعتبار الأناجيل الأربعة صحيحة ، وما عداها فهو مزور ٠ انظر : صموئيل مشرقى ، مصادر الكتاب المقدس ، القاهرة ، (١٩٧٣) ، ص ٦٨ ٠

وذلك في عهد الامبراطور ثيودوسيوس الأول (٩٩) • وبعد أن مضى عامان على مجمع القسطنطينية الثاني (أى سنة ٣٨٣م) أصدر الامبراطور ثيودوسيوس قانونا ينص على ضرورة اعتناق كل شعوب الامبراطورية الديانة المسيحية وفقا لعقيدة الثالوث الأقدس « وأن يحمل الممثلون لهذا القانون لقب المسيحيون العالميون » [الكاثوليك] وهدد نفس القانون المخالفين بالعقاب ، (وان كان لم يحدد نوعية العقاب) (١٠٠) •

على أن موجة العقاب المحدد بدأت في عهد أركاديوس ، اذ أصدر قانونا سنة ٣٩٦م ، حذر فيه الطوائف الدينية من الصلاة فى كنائسهم ، وفرض غرامة مالية قدرها مائة رطل من الذهب على حاكم المدينة الذى يتراخى فى تنفيذ القانون ، وكذلك غرامة قدرها خمسون رطلا من الذهب على القاضى المتراخى (١٠١) وأصدر قانونا سنة ٤٠٠ م حذر فيه الطوائف الدينية من ممارسة شعائرهم الدينية داخل منازلهم ، وهددهم بمصادرة المنازل التى تقام بها الصلوات (١٠٢) •

غير أن نظرة اركاديوس تجاه طائفتى مانى (١٠٣) ودوناتوس Donatus (١٠٤) كانت عدائية للغاية ، اذ أصدر أمرا سنة ٤٠٧م باعدام اتباع هاتين الطائفتين ومصادرة أملاكهم وحرمانهم من حق عمل

---

(٩٩) Cod. Just, 1, V, p. 96.

ويجدر الاشارة الى أن كلمة (هرطقة) ليست عربية وانما هى يونانية الأصل واستخدمت فى اللاتينية وما انبثق عنها من اللغات الأوربية الحديثة وهى باللاتينية haeresis وتعنى طائفة فلسفية أو طائفة دينية ، ثم صارت تستخدم الطائفة الدينية التى لا تدين بمذهب الكنيسة العالمية • على أن اتباع هذه الطوائف كانوا يدعون « بالمسيحيين » حتى عصر جوستنيان » ، انظر : Nov. 109, Prè, p. 101.

(١٠٠) Cod. Just., 1, 1, p. 17.

(١٠١) Cod. Just., I, V, p. 97.

(١٠٢) Vod. Just., I, III, p. 53.

(١٠٣) بدأ مانى دعوته الدينية فى بلاد الفرس سنة ٢٤٢م ، وقويت طائفته بعد وفاته ، وهى طائفة مسيحية استمدت تعاليمها من انجيل الحوارى توما ، (هذا الانجيل ضمن الأناجيل التى اعتبرتها الكنيسة أنها غير قانونية) وهم آمنوا بالمسيح على أنه بشر خلقه الله ، وأنه لم يصلب ، وانما الذى صلب شخص آخر ، انظر :
T. C. Burkitt. The Religion of the Manichees (Cambridge, 1925).
وكذلك يؤانس (أسقف الغربية) ، عصر الرسل (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٧) ، ص ٣٠٠ •

(١٠٤) بدأت دعوة دوناتوس سنة ١٥٦م باقليم فريجيا Pharygin ودعا الى التشبه بحياة الحواريين والميل الى التقشف الشديد • انظر :
D. C. Murry, A History of Heresy, (London 1976), p. 33-37.

الوصايا وحرمان الأبناء من وراثة آبائهم ، الا اذا اعتنقوا المسيحية على مذهب الدولة ، وأعطى لعبيدهم حق العتق من نير العبودية شريطة اعتناق المسيحية على مذهب الدولة (١٠٥) وليس أدل على تعدد الطوائف المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة من القانون الصادر سنة ٤٢٨ م على عهد ثيودوسيوس الثانى ، والذى حدد فيه أسماء تلك الطوائف ، والتى بلغ عددها حوالى سبع وعشرين طائفة لها كنائسها الخاصة بها • بيد أن أشد هـــذه الطوائف خطورة على الدولة ، كانت طائفة مانى ، لذلك أمر ثيودوسيوس الثانى بطردهم من المدن واعدامهم (١٠٦) •

على أن خلو المصـــادر التاريخية من تشريعـات امبراطورية بشأن الطوائف الدينية التى لا تدين بمذهب الدولة منذ سنة ٤٢٨ م وحتى عصر جوستنيان ، قد لفت انتباه الباحث • ولعل مرجع ذلك الى أن أباطرة هذه الفترة اكتفوا بما هو موجود من تشريعات لو طبقت بحرفيتها ــ لحلت المشكلة ، أو لعل الأباطرة فى ذلك الحين وجدوا استحالة استئصال شأفة هذه الطوائف نظرا لقوتها ، ويميل الباحث الى الرأى الأخير وبخاصة أن أباطرة الفترة التى سبقت عصر جوستنيان (زينون وانستاسيوس) ما لا الى شيء من التسامح الدينى بشكل عام هذا من ناحية ، ولشدة اضطراب أحوال الدولة فى الداخل والخارج ــ والتى كان لها الأولوية من ناحية ثانية •

على أية حال بذل جوستنيان جهودا كثيرة للقضاء على هذه الطوائف المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة ، اذ اصدر قانونا نص على ضرورة اعتناق الشعب بكل أقاليم الامبراطورية المسيحية على المذهب الكاثوليكى خلال ثلاثة أشهر وذلك سنة ٥٢٩م (١٠٧) ولم يخف جوستنيان بغضة الشديد تجاه الطوائف الدينية المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة ، « لأنهم لا يستحقون الا كل ازدراء » • على حد قوله (١٠٨) • هذا فضلا عن أنه جعل اعتناق المذهب الخلقيدونى شرطا أساسيا فى شغل وظائف الدولة (١٠٩) • وبذلك أعطى امتيازا لاتباع مذهب الدولة على باقى الطوائف الأخرى ، وعمل على تنفيذ هذا القـــانون بكل حزم • منذ عهد خاله ، وطوال حكمه بعد أن انفرد بالسلطة ، « حتى لا يحققوا مكاسبا

---

(١٠٥) Cod. Just., 1, V, p. 98.

(١٠٦) Cod. 1, V, p. 100.

(١٠٧) *Malalas*, Op. Cit., p. 449; *Theophanes*, Op. Cit., p. 276.

(١٠٨) *Nov.* 45, Pr. P. 314.

(١٠٩) *Theophanes*, Op. Cit., p. 276.

على حساب المؤمنين بكنيسة الله الرسولية ، والعالمية» على حد قوله (١١٠) ولللتحقق من وضع هذا الشرط موضع التنفيذ ، اشترط توافر شهادة ثلاثة يقسمون أمام الأسقف وأيديهم على الكتب المقدسة (١١١) .

ولا شك أنه بهذه الوسيلة ضمن جهازا حكوميا يدور في فلكه ، ويحقق سياسته الدينية ، كما أصدر قانونا تضمن حرمان الطوائف الدينية المسيحية التي لا تدين بمذهب الدولة من الشهادة في المحاكم ضد الذين يؤمنون بمذهب الدولة : سواء أكان طرفا النزاع من الأرثوذكس أم طرفا واحدا منهما ، وكان على أتباع هذه الطوائف الدينية أن يتقدموا بشهود من بين أبناء طائفتهم (١١٢) . ولم يكتف جوستنيان بذلك وانما حرمهم من حق المواطنة ، وذلك بحرمانهم من حق المشاركة في المجالس العامة بالمدن واضعا اياهم في وصف واحد مع اليهود والوثنيين والسامريين (١١٣) .

وعمل جوستنيان على زيادة ضغوطه عليهم ، حتى لا يجدوا مفرا من من الانخراط تحت راية كنيسة الدولة ، اذ أصدر قانونا نص على عدم الاعتراف بالوصايا التي تركوها ، ما لم تكن لصالح أبناء أو أقارب يدينون بالمذهب الارثوذكسي (١١٤) وحرمهم من الاشتغال بالتدريس أو المحاماة (١١٥) ، أو اقتناء العبيد من المسيحيين الارثوذكس (١١٦) .

---

(١١٠) الواقع أن حرمان المسيحي الذي لا يدين بمذهب الدولة من الوظائف الحكومية بدأ منذ عهد الامبراطور ليو الأول (٤٥٧ - ٤٧٤م) ، وفقا لما ورد في قانون جوستنيان ، ولم تذكر (النوفلا) شيئا عن عهدي ، زينون وانستاسيوس اذ من المفهوم انهما كانا لا يؤمنان بالمذهب الخلقيدوني . انظر :

Nov, 109 pre. p. 100.

(١١١) *Cod. Just.,* 1, 4, 20, P. 94 ; ***Nov.*** 27, C. 8, p. 170.
Diehl, Justinien, p. 325, ***Labbriolla,*** Op. Cit., p. 447; ***Bury.*** Op. Cit., p. 364.

(١١٢) حرم جوستنيان على بعض الطوائف المسيحية حق دخول ساحات القضاء : شيعة مانى Manichicus شيعة بوربويتوس Borobritus شيعة مونتانوس Montanus ، والطائفة الاوفية Ophytes وذلك لتشابه معتقداتهم ، كما صدرت قوانين تمنعهم من الدعوة الى مذاهبهم . انظر :
Cod. Just. 1, 4, 12. pp. 108-109.

(١١٣) *Nov.* 45, pr. P. 314, *Ure,* Op. Cit., p. 112.

(١١٤) *Nov.* 115, c., 3, pp. 120-121, Diehl, Justinien, p. 326; *Stein,* Op. Cit,, p. 371.

(١١٥) *Diehl,* Justinien, *Holmes,* Op. Cit., p. 693.

(١١٦) Cod. Just. 1, 6, 3, pp. 110-111; *Diehl, Justinien,* p. 326.

وامتدت ضغوطه الاقتصادية الى حقوق الزوجات ممن يعتنقن مذاهب مخالفة ، اذ حرمهن من حقهن فى البائنة وترك الأمر لقرار الأساقفة الذين كان عليهم تقديم الشهادة ، اذا ما كانت المرأة المتزوجة تدين بمذهب الدولة من عدمه (١١٧) ٠

على أن جوستنيان لم يكتف بذلك ، وانما لجأ الى الاسلوب الدموى ضد بعض هذه الطوائف وعلى رأسها طائفة مانى ، وطائفة مونتانوس والطائفة الساباتريانية Sabbatrianism اذ فرض عليهم عقوبة الاعدام ٠ مما أدى الى أن ترك البعض أراضى الامبراطورية هربا بمعتقداتهم ، كما فضلت شيعة مونتانوس الموت حرقا بأيديهم لا بأيدى جوستنيان ، عندما تجمعوا فى كنائسهم وأشعلوا النيران فى أنفسهم جميعا (١١٨) ٠ ولا شك أن مثل هذا الأمر يعبر عن مدى حالة اليأس التى وصلت اليها طائفة مونتانوس ، من جراء تعقب جوستنيان لها ومحاصرتها فى كل درب وصوب ٠

غير أن جوستنيان لم يتمكن كلية من القضاء على بعض هذه الطوائف الدينية التى كانت لا تدين بمذهب الدولة ، اذ اعترف سنة ٥٤١م بأن شيعة مانى قد عادت الى الظهور من جديد وكذلك طائفة أبو ليناريس (١١٩) ٠ ومن الواضح وفقا لقانونه سنة ٥٥٤م أن هذه الطوائف الدينية ظلت قائمة ، وان كانت بشكل سرى ، واتخذت المنازل أماكن للقاء والتدارس ، والتعبد ، مما جعله ينص فى قانونه على توقيع أشد العقوبات عليهم مع مصادرة منازلهم التى كانوا يجتمعون بها لصالح كنيسة الدولة (١٢٠) ٠

وهكذا يبدو للباحث أن جهود جوستنيان لاستئصال شأفة الطوائف الدينية المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة لم تتحقق كاملا ، وان كانت جهوده قد ساعدت على رجحان كفة المذهب الخلقيدونى بعد أن خبا ضوء العديد من تلك الطوائف ٠

---

(١١٧) *Nov. 109* (A.D. 541), C., 1, pp. 101-102; *Bury*, Op. Cit., II, p. 364.

(١١٨) *Procopius*, The Secret History p. 96; *Michel Le Syrien*, Op. Cit., pp. 269-271; *Pargoire*, Op. Cit., II, pp. 23-24, *Duchesne*, Op. Cit., p. 280.

(١١٩) *Nov.* 109, Prè. p. 100.

(١٢٠) *Nov.* 132 (A.D. 554), p. 250.

وإذا كانت جهود جوستنيان الخاصة بالعمل على ضم كل الطوائف المسيحية الى الكنيسة الرسولية لم تصل الى الحد الذى كان يتمناه ، الا أنه قد حقق نجاحا الى حد أكبر فى اجبار الوثنيين على اعتناق المسيحية عن رهبة لا عن رغبة ٠

كانت الوثنية فى بداية عهد جوستنيان فى طريقها الى الاندثار رويدا رويدا ، بفضل جهود أباطرة القرنين الرابع والخامس ، فمنذ منتصف القرن الرابع الميلادى ، أصدر الامبراطور قنسطانز ، والامبراطور قنسطنطيوس قانونا سنة ٣٤٢ م نص على اغلاق معابد الوثنيين فى كل مكان ، ومصادرة أملاكهم وتحويلها الى خزانة الدولة (١٢١) ٠ وظل أباطرة الرومان يصدرون القوانين التى عملت على القضاء على الوثنية ، حتى أوشكت شمسها على المغيب ولجأ الوثنيون الى التعبد سرا فى المزارع والمنازل ٠ وبالرغم من ذلك فقد تعقبهم الامبراطور ليو الأول بقانونه الصارم الذى نص فيه على جلد من يضبط متلبسا بممارسة الشعائر الوثنية ثم الحاقه بالعمل فى المناجم أو بالنفى المؤبد ، اذا كان معدما مباشر هذه الشعائر بشكل فردى ، أما اذا تم ضبط جماعة من الوثنيين فى أرض زراعية أو فى منزل ويمارسون شعائر معتقداتهم ، فكان عقابهم الاعدام مع مصادرة المنزل أو الأراضى الزراعية لصالح الكنيسة (١٢٢) ٠

غير أن الوثنية ظلت موجودة فى الخفاء حتى عصر جوستنيان فكان عليه أن يتعقبها ، ولم يكن ذلك بالأمر الصعب نظرا لأنها كانت تحتضر على أيامه ٠ وما ان انفرد بالسلطة حتى أكد على ضرورة تطبيق العقوبات التى أصدرها من سبقه من الأباطرة ضد الوثنيين (١٢٣) ٠ وأعطى جوستنيان الحق لرقيق الوثنيين فى التحرر من نير العبودية بمجرد انضمامهم الى الكنيسة الكاثوليكية ، وحذر من مصادرة الأملاك وتطبيق عقوبة الاعدام لمن يتصدى لتنفيذ هذا القانون ٠ والجدير بالذكر أن هذا القانون تضمن اشارة هامة بشأن الوثنية التى كانت قوية على حدود مصر فى أقصى الجنوب وفى أقصى الغرب ، وذلك فى قانونه ضد الوثنية سنة ٥٢٨م (١٢٤) ٠ واستعمل جوستنيان أسلوبا قاسيا ضد المواطنين

---

(١٢١) Cod. Just. 1, XI, 1, p. 121.

(١٢٢) Cod. Just. 1, XI, 8, p. 124.

(١٢٣) *Malalas*, Op. Cit., p. 449; *Bury*, Op. Cit., II p. 367; *Labriolle*, Op. Cit., p. 443.

(١٢٤) Cod. *Just*., I, III, 42, pp. 84-85.

الوثنيين بالقسطنطينية أولا ، وبخاصة ضد الشخصيات الكبرى بالمناصب المهمة فى الدولة ، وصادر ممتلكاتهم ، وحكم على بعضهم بالاعدام (١٢٥) ٠

وبالرغم من تظاهر بعض الوثنيين باعتناق المسيحية للنجاة من العقوبات القاسية ، فانه سرعان ما افتضح أمرهم ، حيث تم ضبطهم وهم يمارسون الاراقة [سكب الخمر على جسد الأضحية تكريما للآلهة] ، وكذلك التقريب [تقديم الأضاحى والقربان والذبائح للآلهة] ، وممارسة الشعائر الأخرى ، لذلك تعرضوا للتشويه الجسدى ومصادرة الأملاك (١٢٦) ٠

على أن بقاء الوثنية سرا بالعاصمة بصفة خاصة ، بالرغم من اغلاق جامعة أثينا « قلعة الوثنية » سنة ٥٢٩م (١٢٧) ، لدليل قوى على أنها كانت عقيدة بعض الفئات المثقفة فى العاصمة ٠ هذه الفئات وبخاصة الذين مارسوا التدريس ، لذلك حرمهم جوستنيان من ممارسة التعليم ، وصادر أملاكهم لرفضهم اعتناق المسيحية (١٢٨) لذلك ، وبعد أن ضاقت سبل العيش بالعديد من الفلاسفة الوثنيين ، اضطروا الى الذهاب الى بلاد الفرس ، حيث رحب بهم كسرى أنوشروان ٠ غير أنهم عادوا الى وطنهم مكرمين ، بعد أن تعهد جوستنيان لكسرى بتركهم يمارسون حرية المعتقدات ، وذلك ابان عقد معاهدة السلام الدائم سنة ٥٣٢ (١٢٩) ٠

على أن الفضل يعود الى جوستنيان فى القضاء التام على جيوب الوثنية فى بعض أقاليم الامبراطورية بشكل نهائى ، ففى أقاليم آسيا الصغرى ، وفريجيا Phrygia وليديا Lydia وكاريا Caria نجح جوستنيان فى تنصير ما بقى من الوثنيين فى تلك الأماكن بعد أن أغراهم بالمال والثياب (١٣٠) ٠

غير أنه استعمل القوة فى القضاء على الوثنية فى جنوب مصر حيث حطم معبد جزيرة فيله Elephantaine الخاص بعبادة ايزيس ، والقى القبض على رجال الدين هناك ، وتم ارسالهم مع تماثيلهم الدينية الى

---

(١٢٥) *Malalas*, Op. Cit., p. 449; *Bury*, Op. Cit., II, p. 368.

(١٢٦) *Procopuis*, The Secret History, p. 98.

(١٢٧) *Malalas*, Op. Cit., p. 448; *Labriolle*, Op. Cit., p. 445.

(١٢٨) *Diehl*, Justinien, p.562; *Labriolle*, Op. Cit., p. 442.

(١٢٩) *Bury*, Op. Cit., p. 370 .; *Labriolle*, Op. Cit., p. 445; *Pargoire*, Op. Cit., p. 13.

(١٣٠) *Diehl*, Justinien, p. 557; Holmes, Op. Cit., 699; *Bury*, Op. Cit., p. 381; Stein, Op. Cit., p. 372.

القسطنطينية . كما نجح فى تنصير قبائل البلاميين Blemyes والنوبيين Nobadae (١٣١) . كما قضى على عبادة آمون Ammon فى غرب مصر ، وبنى هناك كنيسة (١٣٢) .

وفى اقليم فينيقيا قضى جوستنيان على معبد مدينة هيليوبوليس Heliopolis (بعلبك) . وأحرق كتب الوثنية ونقل أوثانهم الى القسطنطينية ، وألقى القبض على كهنتهم (١٣٣) .

على أن جهود جوستنيان امتدت لمحاربة الوثنيــة خارج حدود الامبراطورية ، اذ نجح فى تحويل الشعب التزانى Tzani [عاش هذا الشعب بين أرمينيا الفارسية ولازيقا] ، الى المسيحية بالقوة (١٣٤) . ونجح فى تحويل قبائل الهيرول Herules [احدى قبائل الهون] ، التى كانت تقطن المناطق المجاورة للبسفور Bosporus الى المسيحية (١٣٥) .

وبالرغم من جهود جوستنيان المضنية للقضاء على الوثنية سواء فى الداخل أو فى المناطق القريبة من الامبراطورية فان آثار الوثنية ظلت باقية فى القسطنطينية ذاتها . ففى أواخر أيامه (سنة ٥٥٩م) ، وجد جماعة تمارس الشعائر الوثنية سرا ، فما كان من جوستنيان الا أن قام بعملية تشهير لهم فى شوارع القسطنطينية ، ثم أحرق كتبهم ومؤلفاتهم علنا (١٣٦) . بيد أنه من الناحية الواقعية ، يمكن القول ان جوستنيان قد نجح الى حد كبير فى القضاء على الوثنية داخل الامبراطورية بشكل لم يسبق له مثيل اذا ما نظرنا الى جهود من سبقه من أباطرة الرومان .

على أن السياسة الدينية التى وضعهــا مستهدفا تنصــــير شعب الامبراطورية ، امتدت لتشمل الســـــامريين الذين لم يكونوا على شاكلة الوثنيين ، وانما كانوا شعبا له عقيدة وكتب مقدسة وفقا لرسالات السماء لذلك اصطدمت هذه السياسة بصخرة قوية صعب عليه تفتيتها . وهو فى سياسته الرامية الى تنصير السامريين ، خالف من سبقه من الأباطرة منذ

---

(١٣١) *Procopius*, History of the Wars, I, pp. 187-189; *Labroille*, Op. Cit., p. 444.

(١٣٢) *Procopius*, Buildings, p. 369; *Diehl*, Justinein, p. 549.

(١٣٣) *Michel Le Syrien*, Op. Cit., p. 271; *Duchesne*, Op. Cit., p. 280.

(١٣٤) *Procopius*, Buildings, p. 205; *Holmes*, Op. Cit., p. 700.

(١٣٥) *Malalas*, Op. Cit., p. 431; *Theophanes*, Op. Cit., p. 269; *Holmes*, Op. Cit., p. 701.

(١٣٦) *Malalas*, Op. Cit., p. 491; *Pargoire*, Op. Cit., pp. 12-13; *Duchesne*, Op. Cit., p. 280; *Labriolle*, Op. Cit., p. 444.

عهد الامبراطور قنسطنطين • وعلى أية حال فبالرغم من جهوده المضنية معهم والتى آستمرت حوالى ثلاثين عاما ، فانه لم يحقق كل ما كان يرجوه من نجاح (١٣٧) •

ويبدو أن محاولات جوستنيان مع السامريين استهدفت فى المقام الاول حماية المسيحيين فى فلسطين بعد أن لمس تزايد قوة السامريين فى بداية عهده ، بالرغم من فشلهم فى محاولاتهم الاستقلالية فى عهد زينون (١٣٨) ، وثورتهم الفاشلة فى عهد أنستاسيوس (١٣٩) •

ولا شك أن الخلاف العقائدى بين السامريين والمسيحيين فى فلسطين خلق جوا من التعصب بين الفريقين بها (١٤٠) ، فى فترة كانت الامبراطورية نفسها تعمل على تغذية التعصب بين المسيحيين أنفسهم لمجرد الاختلاف المذهبى ، حيث تعقبت الدولة كل مسيحى لا يؤمن بعقيدة « الثالوث الأقدس » على المذهب الخلقيدونى •

على أية حال ، نجح جوستنيان فى اشعال نيران الثورة ضده فى نفوس السامرين عندما أصدر قانونا سنة ٥٢٧ م ، شمل السامريين ضمن فئات أخرى ، اذ حرم عليهم الدعوة لمعتقداتهم الدينية والشهادة فى ساحة القضاء ضد المسيحيين الأرثوذكس ، وأباح هذا القانون مصادرة أملاك الورثة من السامريين لصالح خزينة الدولة ما لم يكن هؤلاء الورثة قد اعتنقوا المسيحية الارثوذكسية (١٤١) •

---

(١٣٧) عبر جوستنيان عن عدم نجاحه فى اجبار السامريين على اعتناق المسيحية فى (نوفلا) رقم ١٤٤ لسنة ٥٥٦م ، حيث قال فى مقدمتها : « اننا نكرس وقتنا باستمرار من أجل العمل على انتشال السامريين من ضلالهم ، ومن أجل شفاء نفوسهم التى أفسدتها هذه الآثام ، وذلك تشبها بوالدنا الملك التقى [يقصد خاله جوستين] ، غير أننا لم نحقق بعد هذه الغاية التى حددناها لأنفسنا ••• » انظر :
Nov. 144, prè, p. 308.

(١٣٨) انظر الفصل الأول •

(١٣٩) فى عهد أنساسيوس تزعمت سيدة سامرية جماعة من الرجال وتمكنوا من هدم الكنيسة التى كان قد بناها زينون على قمة جبل جرزيم Gerizim بعد قتل حرس الكنيسة من الجند الرومان • بيد أن حاكم الاقليم عاقب الجناة ، انظر :
Lebeau, Op. Cit., T. 7, 148; *Milman*, The History of the Jews, Vol. II, p. 226.

(١٤٠) عبر جوستنيان عن العداء بين السامريين والمسيحيين قائلا :
« لقد ابتلينا فيما مضى بالعديد من النكبات على أيدى السامريين ، الذين كانوا فى ذلك الحين الد أعداء المسيحيين ، والذين كانوا فى غاية الكبرياء والتعالى » • انظر :
Nov. 129, pr;., p. 233.

(١٤١) Cod. Just., I, pp. 108-109.

واذا كان الانسان قد يرضى بالظلم الاقتصادى – على مضض ـ الى حين – فانه لا يسكت على الاطلاق على الاضطهاد الدينى ، لا سيما اذا كان ملتزما بمبادىء عقيدته · والحال هنا أن جوستنيان بسياسته الدينية تجاه السامريين – الذين عاشوا فى مجتمع دينى مغلق (١٤٢) قد أجج فى نفوسهم أتون الثورة بضربة على الوترين معا وفى وقت واحد ·

لذلك كان من المتوقع قيـــام الســامريين بفلسطين بثورة ضــد المسيحيين ، وبخاصة بعد أن أمر جوستنيان بهدم معابدهم (١٤٣) · على أن السامريين كانوا قد تصرفوا بذكاء عندما أصدر جوستنيان ضدهم وضد غيرهم قانونه ســـنة ٥٢٧م ، اذ تظاهروا باعتناقهم للمسيحية ، حتى لا يقعوا تحت طائلة العقوبات (١٤٤) ، هذا فى الوقت الذى ظلوا فيه لمدة عامين كاملين يتحينون الفرصة للقيام بالثورة كما فعلوا أيام زينون ·

وهكذا استغلوا فرصة اشتعال نيران الحرب بين الفرس وجوستنيان ، وانشغال جوستنيان بهذه الحرب سنة ٥٢٩ ، واعتقدوا أن كفة الفرس هى الراجحة ، وأن الجيش الفارسى على اســـتعداد لتدعيم سـلطتهم بفلسطين (١٤٥) ·

على أية حال ، أعلن السامريون الملكية ، واختاروا جوليان Julian ملكا عليهم وقتلوا العديد من المسيحيين وبخاصــة فى مدينتى بيسان Scythopolis ونابلس Neapolis ، وقضوا على القوات الرومانية هناك · غير أن الفرس لم يقدموا لهم المساعدة المرجوة ، لأن مفاوضات السلام كانت جارية بينهم وبين جوستنيان · وعلى ذلك تمكنت القوات الرومانية بمعاونة الحارث بين جبلة [ملك الغساسنة] من توجيه ضربة قاصمة الى السامريين ، وبيعت أطفالهم فى أسواق النخاسة على يد الحارث ابن جبلة فى الحبشة وبلاد الفرس (١٤٦) ·

تعلم جوستنيان من التاريخ ، لذلك عندما انهارت معاهدة السلام

---

(١٤٢) *Duchesne*, Op. Cit., p. 282 ; *Labriolle*, Op. Cit., p. 446.

(١٤٣) Malalas, Op. Cit., p. 445 ; Holmes, Op. Cit., p. 694; Bury, Op. Cit., p. 365; *Stein*, Op. Cit., p. 373.

(١٤٤) *Procopius*, the Secret History, p. 97.

(١٤٥) *Zachariah*, Op. Ci., p. 232; *Malalas*, Op. Cit., p. 455; ..*ames Paker*, A History of Palestine, P. 80; *Abel*, Hisloire de La Palestine, T. II, pp. 355-356.

(١٤٦) *Malalas*, Op. Cit., p. 445; *Chronicon Pachale*, p. 872; *Michel Le Syrien*, Op. Cit., p. 91, Lebeau: Op. Cit., T. 8, pp. 119-120.

الدائم مع الفرس ، على أثر هجوم كسرى أنوشروان على أنطاكيــة سنة ٥٤٠م ، وفرضه ارادته على المدن البيزنطية الواحدة بعد الأخرى ، هنا خشى جوستنيان أن يكرر ما فعله السامريون معه سنة ٥٢٩م وما كانوا قد فعلوه مع زينون سنة ٤٨٤ ، لذلك سارع بمحاولة استرضاء السامريين وأصدر (نوفلا) خاصة بهم سنة ٥٤٢م ، استهدفت تخفيف حدة القيود المفروضة عليهم ، والسماح لهم بحرية التصرف فى ثرواتهم ، وأعطاهم حق كتابة الوصايا ، ومنح التبرعات ، والتصرف فى العبيد وابرام العقود المتبادلة (١٤٧) ٠

وهكذا نجح جوستنيان فى اجتياز هذه المرحلة الحرجة ابان حروبه الثانية مع الفرس ، دون أن يعكر السامريون صفو الأمن فى فلسطين لمدة قاربت أربعة عشر عاما ٠

غير أن السامريين استغلوا فرصة انشغال جوســتنيان فى الحرب الطويلة مع الفرس فى لازيقا ، وغياب معظم قواته فى الغرب لاتمام الحركة الاستردادية ، وأشعلوا نيران الثورة للمرة الثانية فى سنة ٥٥٦م ، بعد أن كان بعضهم قد تظاهر باعتناق المسيحية ، حتى لا يتعرضوا لأى أذى ، وحتى يتمتعوا بكافة حقوق المواطنة الرومانية ، بيد أن مثل هذا النفاق سرعان ما افتضح أمره (١٤٨) ٠

على أية حال ، كرر السامريون أعمال العنف ، وقتلوا العديد من المسيحيين بمـا فيهم حاكم فلسطين ، وأحرقـوا العديد من الكنائس ، وبخاصة فى مدينة قيصرية Caesarea بفلسطين غير أن جوستنيان أتبع معهم حرب الابادة والحق بهم أشد الوان العقاب ، كما أعدم زعماء الثورة على الفور وصادر كل الممتلكات (١٤٩) ٠ وأصدر (نوفلا) ثانية خاصة بالسامريين تضمنت حرمانهم من العديد من الحقوق المدنية التى كانت قد أعادهـا اليهم فى (نوفلا) رقم ١٢٩ ، فحرمهم من الميراث واقتناء العبيد ، وحذرهم بالنفى مدى الحياة فى حالة التظاهر باعتناق المسيحية على سبيل الخداع ٠ وحرم عليهم ممارسة شعائرهم الدينية ، ومنعهم من حق التقاضى والقاء الأحاديث الدينية وتعليم الصبية (١٥٠) ٠

---

(١٤٧) *Nov.* 129 (A. D. 542), pp. 233-236.

(١٤٨) Nov. 144 (A.D. 556), Prè., p. 308.

(١٤٩) *Malalas*, Op. Cit., p. 487; *Theophanes*, Op. Cit., p. 356; *Michel Le Syrien* Op. Cit., p. 262; *Milman*, Op. Cit. p. 230.

(١٥٠) Nov. 144, pp. 308-310.

ويبدو أن هذه التشريعات الأخيرة قد كسرت شوكة السامريين فلم نعد نسمع عنهم شيئا بقية عصر جوستنيان ٠

على أن سياسة جوستنيان تجاه بقية فرق اليهود كانت أقل تشددا من سياسته تجاه السامريين ٠ بالرغم من أنهم ظلوا تحت رحمة التشريعات التى صدرت ضدهم منذ نهاية القرن الرابع الميلادى وفى القرن الخامس للميلاد ٠ والتى استهدفت فى جملتها جعلهم مواطنين من الدرجة الثانية ، وحاصرتهم كطائفة لا ترضى عنها الدولة دون صدور تشريع صريح يلزمهم باعتناق المسيحية على غرار ما أتبع ضد الطوائف الأخرى ٠

فقد حرمت عليهم التشريعات الامبراطورية زواج اليهودى من المسيحية أو المسيحى من اليهودية ٠ كما بدأت الدولة فى عهد ثيودوسيوس الثانى فى التضيق على اليهود ، وفقا لسياسته العامة التى استهدفت اضطهاد غير المسيحيين فى ذلك الحين هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان اليهود قد اعتادوا التعبير علنا عن ازدرائهم للديانة المسيحية فكانوا يحرقون الصلبان فى أعيادهم ٠ وحرمت الدولة عليهم اقتناء العبيد المسيحيين بأى وسيلة كانت ٠ وفرضت على معابدهم ضريبة سنوية عرفت « بضريبة التاج الذهبية » ٠ وحرمت عليهم اجراء عملية الختان ، وجعلت عقوبتها النفى مدى الحياة ٠ الى أن صدر قانون سنة ٤٣٩م ، استهدف حرمانهم كلية من الوظائف الادارية والشرفية ٠ وحرم عليهم بناء معابد جديدة مع السماح لهم بترميم الآيلة للسقوط ٠ وجلعت التشريعات عقوبة بناء معبد جديد ، دفع غرامة قدرها خمسون رطلا من الذهب ، مع مصادرة المبنى واعدام المسئول عن البناء (١٥١) ٠

تلك كانت تشريعات الدولة الرومانية ضد اليهود حتى عصر جوستنيان غير أن الامبراطور جوستنيان لم يكتف بذلك ، وانما مس جوهر عقيدتهم ذاتها ، مستهدفا تعديل مفاهيمهم عن المسيح بما يتطابق مع العقيدة المسيحية اذ ألزمهم بعدم التمسك بالمعنى الحرفى فى العهد القديم « وألزمهم بترك النصوص العبرية للعهد القديم واستخدام الترجمات باللغة اليونانية أو اللاتينية أو اللغات الأخرى ، وحدد لهم الترجمة السبعينية Septuaginta (١٥٢) ، لأنها تتفق مع الترجمة التى وضعها

---

(١٥١) *Cod. Just*, I, pp. 115-119; *Jonin*, «Le Juifs Dans L'Empire Byzantin», Echos D'Orient, Tome XV, (Paris, 1912) pp. 127-129.

(١٥٢) الترجمة السبعينية للعهد القديم قام بها سبعون يهوديا حوالى سنة ٢٧٠ ق٠م ، حيث ترجموا العهد القديم من العبرية الى اليونانية ، انظر : السيد الباز العرينى مصر البيزنطية ، ص ٢١ ، الحاشية ٠

جوستنيان « للعهد القديم » باللغة اللاتينية ، وذلك لوجود اشارات بهذه الترجمة عن المسيح ، كما سمح لهم أيضـــا باستخدام ترجمة اكويلا Aquila (١٥٣) ، بالرغم من أن الترجمة الأخيرة لا ترقى الى مستوى الترجمة السبعينية [وفقا لما جاء فى (نوفلا) رقم ١٤٦ لسنة ٥٥٣م الخاصة باليهود] • وحذر كبار رجال الدين اليهود من مخالفة تشريعاته ، حيث جعل العقوبة للمخالفين الضرب المبرح (١٥٤) ، كما حرم على اليهود الاحتفال بعيد فصحهم قبل المسيحيين ، وكذلك حرم عليهم تقديم الذبائح فى الأعياد (١٥٥) •

وهكذا تدخل جوستنيان فى أمـور عقيدة اليهود ، بالقدر الذى يتمشى مع سياسـته الدينية التى لا ترضى الا بالمسيحية وفقـا لعقيـدة « الثالوث الأقدس » على المذهب الخلقيدونى ، لكل الذين يعيشون فى كل أنحاء أراضى الامبراطورية الرومانية •

والواقع أن جوسـتنيان كان أول امبراطور رومانى شـغل نفسـه بالدراسات اللاهوتيه عن اطلاع ومعرفة • وظهر هذا عندما حاول ممارسة عمليات التقريب بين المونوفيزيتيين واتباع المذهب الخليقدونى حيث لفت أنظار المجتمعين عندما شـارك فى المناقشـات التى دارت وازداد اهتـمام جوستنيان بالمسائل اللاهوتيه كلما تقدم به السن اذ انهمك فى دراساته الدينية حتى ساعات متأخرة من الليل (١٥٦) •

لذلك عكف على دراسة أراء أوريجين (١٥٧) التى انتشرت فى بعض

---

(١٥٣) اكولا عالم يهودى ترجم العهد القديم الى اللغة اليـونانية فى القرن الثانى للميلاد : انظر :

A. Fricot, Aquila, in Dictionnaire d'Histoire et de Geographie Ecclesiastique. Toml *Troisieme*, (Paris, 1924). 1108-1110; Labriolle, Op. Cit., p. 446.

(١٥٤) *Nov.* 146, pp. 313-316.

(١٥٥) *Procopius*, The Secret History, p. 182.

(١٥٦) *Procopius*, History of the Wars, 7, p. 432; *Homles*, Op. Cit., p. 702.

(١٥٧) أوريجين (١٨٥ – ٢٥٤م) من أهالى الاسكندرية كان عالما فى الفلسفة ، ومتبحرا فى الدراسات اللاهوتية حيث اطلع على الأناجيل القانونية ، وبعض الأناجيل غير القانونية (مثل انجيل بطرس ، انجيل العبرانيين ، انجيل توما ، انجيل المصريين) وهو يؤمن بوحدانية الخالق ، وأن المسيح خلقه الله كسائر البشر • انظر :

د• **السيد الباز العرينى** ، مصر البيزنطية ، ص ٢٠ – ٢١ ، **يؤانس** (أسقف الغربية) عصر الرسل ، ص ٣٠٠ ، د• **رأفت عبد الحميد** ، الدولة والكنيسـة الجزء الثانى ، ص ٣١ – ٣٩ •

الأديرة فى القرن السادس فى فلسطين (١٥٨) . وما أن اقتنع جوستنيان أن آراء أوريجين تتعارض مع المسيحية (١٥٩) حتى أصدر مرسوما سنة ٥٤٣م أدان فيه آراء أوريجن ووقع على هذا المرسوم مينـــاس بطريرك العاصمة وفيجيليوس Vigilius بابا روما وبعض البطارقة بما فيهم بطريرك أورشليم (١٦٠) .

على أن جوستنيان ، قام بعرض أفكار أوريجين وأتباعه ، فلخصها فى أنهم يؤمنون بأن الأرواح تنقسم الى ثلاث درجات : الدرجة الأولى التى تعيش بين الشمس والقمر ، والنجوم ، والثانية تدخل أجساد البشر والثالثة وهى التى اندمجت مع الشياطين وان المسيح لا يختلف عن سائر البشر . وأن الجســد مجرد قبر ، وقد تظل به الروح حبيسة . وأن الأرواح وكذلك الشياطين ستمر بثلاث مراحل من العقاب ، بعدها تصل الى حالتها السابقة من القداسة والطهارة ، كما كانت من قبل ، متآلفة فى حب الله (١٦١) .

ولم تكن مسألة أوريجين المشكلة الدينية الوحيدة التى أدلى جوستنيان بدلوه فيها موضحا خروجها على الايمان المسيحى ، اذ تمخضت أفكاره عن الاصرار على التصدى لما عرف باسم « الفصول الثلاثة » (١٦٢) محاولا تخليص مجمع خلقيدونية من كل شائبة حتى تخطى قرارات ذلك المجمع بموافقـــة المنافرة عليهـــا وهم الذين كانوا مصرين على رفض الاعتراف

---

(١٥٨) Duchesne, Op. Cit., P. 166; *Labriolle*, Op. Cit., pp. 459-460

(١٥٩) كان بعض الرهبان فى أورشليم قد تقدموا بعريضة الى بلاجيوس **Pelagius** باعتباره مندوبا عن الامبراطور سنة ٥٤٢م أثناء وجوده فى غزة ، ضد جماعة من المنشقين الذين يدعون الناس الى اعتناق تعاليم أوريجين ، انظر :
Holmes, Op. Cit., p. 677.

(١٦٠) *Evagrius*, Op. Cit., p. 419; *Liberatus*, Op. Cit., Col. 1049; *Pargoire*, Op. Cit., p. 36.

(١٦١) Holmes, Op. Cit., p. 704.

(١٦٢) الفصول الثلاثة يقصد بها المرسوم [غير موجود] الذى تكون من ثلاثة فصول أشارت الى كل من ثيودور ، وثيـودوريت ، وايبـــاس ، وهم : ثيـودور المصـــيصى (٣٩٢ ــ ٤٢٨م) (Theodore of Mopsuestia) أسقف المصيصة والذى يعتبر الأب الروحى للنسطورية ــ وثيـودوريت أســـقف أنقره Theodoret of Cyrus (٤٣٣ ــ ٤٥٨م) ، والذى كان قد قام بتفنيد الحروم الاثنى عشر لكيرلس ، وكان يدين بمذهب نسطور ويعتقد بطبيعتين منفصـــلتين فى المســـيح . وايباس أسقف الرها Ibas of Edessa (٤٣٠ ــ ٤٥٧م) والذى كتب رسائل هاجم فيها كيرلس ، انظر :
Evagrius, Op. Cit., pp. 337-338; *Harnack*, Op. Cit., pp. 245-246; *Labriolle*, Op. Cit., pp 460-462.

للخلافات المذهبية (١٦٣) · لذلك أصدر جوستنيان مرسوما سنة ٥٤٣م تضمن ادانة شخص وكتابات ثيودور المصيصى ، وكذلك بعض كتابات ثيودوريت التى تتعارض مع كيرلس ، كما أدان خطابا أرسله اياس الى ماريس Maris أسقف أرداشير Ardaschir كان قد هاجم فيه كيرلس (١٦٤) ·

غير أن المنافزة كرهوا مبادرة الامبراطور اللاهوتية ، لأنه لعن وأدان أساقفة ماتوا منذ أمد بعيد بالرغم من معارضتهم لهؤلاء العلماء الثلاثة (١٦٥) · كما عارض رجال الدين بالغرب مرسوم الامبراطور لأنه اعتدى على نفوذهم وفرض ارادته بالقوة على الكنيسة (١٦٦) ·

وبالرغم من المعارضة التى لمسها الامبراطور جوستنيان من كلا الفريقين فانه أصر على رأيه ، ورأى ضرورة الحصول على قرار بابوى للتصديق على مرسومه · ومن أجل ذلك استدعى البابا فيجيليوس Vigilius الى القسطنطينية حيث وصلها فى الخامس من يناير ٥٤٧م ، وظل بها حتى العشرين من فبراير ٥٥٤م · غير أنه نظرا لتردد وتخوف البابا من الموافقة على آراء الامبراطور بشأن ادانة الفصول الثلاثة ، لذلك اقترح على الامبراطور عقد مجمع مسكونى فى جزيرة صقلية أو فى ايطاليا ، ويبدو أن البابا قصد من ذلك الحصول على غالبية تؤيد رأيه ، الا أن جوستنيان تمسك برأيه على أن يكون المجمع فى القسطنطينية دون غيرها ، مما أدى فى النهاية الى تدهور العلاقات بين البابا والامبراطور (١٦٧) ·

على أية حال نجح جوستنيان فى تنفيذ ارادته ، وعقد مجمعا كنسيا بالقسطنطينية ، حضره مائة وخمسة وستون أسقفا ، مع امتناع فيجيليوس عن الحضور بالرغم من أنه كان على مقربة من مكان انعقاد المجمع (١٦٨) · وامتدت جلسات المجمع الثمانية فى الفترة ما بين الخامس من مايو حتى الثانى من يونية سنة ٥٥٣م · وحضر جوستنيان الجلسة الأخيرة وكان

---

(١٦٣) Hornach, Op. Cit., p. 247; Ure, Op. Cit., pp. 129 130; *Tixeront*, Op. Cit,. p. 130.

(١٦٤) *Evagrius*, Op. Cit., p. 420; *Liberatus*, Op. Cit., Col. 1051-1052; Labriolle, Op. Cit., p. 461 ; *Stein*, Op. Cit., p. 632.

(١٦٥) *Duchesne*, Op. Cit., pp. 395-396; *Holmes*, Op. Cit., p. 697.

(١٦٦) Hornack ,Op. Cit., pp. 247-248.

(١٦٧) *Labriollez* Op. Cit., pp. 469-472; *Duchesne*, Op. Cit., pp. 179-176; *Holmes*, Op. Cit., p. 681; *Stein*, Op. Cit., pp. 639-641; *Tixeront*, Op. Cit., p. 136.

(١٦٨) سعيد بن بطريق ، نفس المصدر ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ ·

حريصـا على صـياغة القرارات بنفسـه نظرا لتعمقه فى المسـائل اللاهوتية (١٦٩) ·

على أن المجمع لم يقتصر على اصدار قرارات ضد الفصول الثلاثة فحسب ، وانما أصدر قرارات أخرى بلغ جملتها جميعا أربعة عشر قرارا ، خصص المجمع القرارات الثلاثة الأخيرة ضد ثيودور المصيصى وثيودوريت ، وايبـاس · وتدرج المجمع فى قراراته فخصص القرارات العشر الأولى بصلب العقيدة ، من أن الأب والابن والروح القدس ، طبيعة واحدة وجوهر واحد ، وخاصية واحدة ومشـيئة واحدة وأنهم ثالوث متحد فى الجوهر ، واله واحد معبود فى ثلاثة أقاليم · وأن لكلمة الله ميلادين ، الأولى من الأب ولادة أبدية ، وغير مادية قبل كل الدهور ، والثانية من مريم · وأن كلمة الله تجسد وصار بشرا · وأن المسيح أقنوم واحد · وأصر المجمع على القول بأن مريم والدة الله ، وعدم القول بأنها والدة المسيح أو والدة الانسان · وأكد على ضرورة الاعتراف بأن المسيح يجب أن يعترف له بالألوهية والبشرية دون ان تذوب كلمة الله فى الطبيعة البشرية لأن كل طبيعة ظلت محتفظة بخصائصها بعد أن تحقق اتحادهما كالأقنوم (١٧٠) الواحد · وحذر المجمع من عبادة المسيح فى طبيعتين منفصلتين · والقرار الخامس نص على ضرورة الاعتراف بمجمع خلقيدونية والقرار الحادى عشر تحدث عن ضرورة لعن أوريجين ، وأريوس ، وأونوميوس Eunomius ومقدونيوس ، ونسطور وكتاباتهم وكذلك أبوليناري Apollinaire ونسطور (١٧١) ·

على أن جوستنيان قام بحركة انتقامية ضد معارضيه فور الانتهاء من جلسات هذا المجمع ، وكان على رأسهم البابا فيجيليوس الذى نفاه فى احدى الجزائر ببحر مرمره ونفى كذلك عددا من المعارضين وسجن البعض الآخر (١٧٢) · بيد أن البابا فيجيليوس سيطر عليه الحنين الى ايطاليا ، ولم يتحمل مرارة السجن والنفى ، لذلك طالب جوستنيان بالافراج عنه ، واعادته الى ايطاليا مقابل اعترافه بقرارات المجمع المسكونى الخامس · غير أن جوستنيان لم يوافق الا بعد أن مرغ أنف البابا فى التراب ،

---

(١٦٩) *Labriolle* Op. Cit., pp. 472-475; *Harnack*, Op. Cit., pp. 248-9.

(١٧٠) المفرد اقنوم ، أو أقنوم ، أو قنوم ، وهى سريانية الأصل ثم استخدمت فى اللغة اليونانية والجمع أقانيم ، انظر :
Corpus Scriptorum Chistianorum Orientalium, Vol. 147, (Louvain, 1954, p. 11).

(١٧١) *Hefele*, Op. Cit., pp. 107-130 ; *Tixeront*, Op. cit., pp. 140-142.

(١٧٢) *Vasiliev*, The Byzantine Empire, Vol. I, p. 153;

وأجبره على اصدار فتوى بابوية أعلن فيها صراحة أنه أخطأ ، وأنه يلعن ويدين الكتاب الثلاثة وذلك فى الثالث والعشرين من فبراير ٥٥٤م (١٧٣).

وهكذا يتضح أن جوستنيان قد تسلط على الكنيسة باصداره التشريعات العديدة المتعلقة بالأمور الادارية لها ، فضلا عن تدخله فى المسائل اللاهوتية بحكم هوايته للدراسات اللاهوتية ، وان كان لم يكن فى مقدرته فرض آرائه اللاهوتية دون الرجوع الى مجمع كنسى حتى تحظى أفكاره الدينية بالقبول على المستوى الكنسى ، وهو ما درج عليه من سبقه من أباطرة بيزنطة منذ انعقاد مجمع نيقية الأول (١٧٤) .

وهذا الأسلوب المتسلط أو هذا النمط من « الدكتاتورية فى المجال الدينى » أطلق عليه الباحثون اسم « القيصرية البابوية » Caesaropapism (١٧٥) أو « الخلافة المسيحية » ، أو « الملكية المقدسة » ، وان كانت التسمية الأولى قد حظيت بشهرة أكثر (١٧٦) .

على أن جوستنيان كان يتصرف فى مجال التشريعات الدينية عن ايمان عميق بأن هذه هى مسؤليته بحكم كونه نائبا عن الله فى الأرض Vicegerent of God . وقد أفصح عن ذلك بقوله بأن السلطة الامبراطورية imperium والسلطة الكهنوتية Sacredotium هما فى الواقع يصدران من مصدر واحد (١٧٧) . وأن هناك فرق طفيف بين السلطتين ، الكهنوتية والامبراطورية (١٧٨) . وطالما أن هناك فرقا

---

(١٧٣) *Fleury*, Op. Cit., T. VII, pp. 507-508; *Diehl* ,*Justinien*, pp. 202—203.; *Labriolle*, Op. Cit., pp. 476-477

(١٧٤) عبر جوستنيان عن ذلك صراحة فى رسالة الى المجمع المسكونى الخامس بالقسطنطينية سنة ٥٥٣م قائلا : « لقد كان دائما من عادة اجدادنا الاباطرة مقاومة (الهرطقات) كلما ظهرت ، وذلك بفضل جهود الأساقفة الذين اجتمعوا فى المجامع المسكونية ، حتى تظل كنيسة الله المقدسة فى سلام عن طريق التبشير بالايمان الحقيقى » . انظر :

H. Magoulais, Byzantine Christianty, Emperor, Church and West. (Michigan, 1970), p. 16.

(١٧٥) تعبير القيصرية البابوية هو مصطلح حديث اطلقه العلماء الغربيين الذين تأثرت وجهات نظرهم بالحوليات اللاتينية ، والأنجلوسكسونية ، والجرمانية والمقصود بهذا التعبير أن الامبراطور كان قيصرا وبابا ، انظر :

Magoulias O.p. Cit., p. 115.

(١٧٦) *W. Ensslin*, Op. Cit., p. 274.

(١٧٧) Nov. 6, Pré. p. 45.

(١٧٨) Nov. 7, C., 2, p. 65, «Neque multum differant allterutroscre- dolium et imperium».

طفيفا بين السلطتين — من وجهة نظر جوستنيان — فلا بد أن تخضع الكنيسة للدولة التى يرأسها الامبراطور ·

والواقع أن نظرة جوستنيان للكنيسة لم تختلف على الاطلاق عن نظرة الأباطرة الرومان منذ عهد قنسطنطين ، اذ ظلوا يعتبرون أن الكنيسة هى احدى مؤسسات الدولة ، وأن رعايتها من الأمور الأساسية التى تدخل فى صلب مسئوليات الامبراطور · فلقد عبر قنسطنطين نفسه عن ذلك بقوله ، « لقد عيننى الله للاشراف على الشئون الخارجية للكنيسة » (١٧٩) · وأكد قنسطنطين على رعايته للكنيسة ومسئوليته عنها فى احدى رسائله ابان الخلاف والمجادلات التى أثارها الدوناتيون فى شمال أفريقيا حول شرعية الأسرار الدينية التى يقدمها رجال الدين لطائفة دوناتوس الذين كانوا قد سلموا الكتب المقدسة والآنية المقدسة للسلطات الوثنية عندما اشتدت وطأة الاضطهاد الدقلدياني فكتب قنسطنطين : « ان كل هذه المنازعات والمجادلات ستثير غضب الله لا على الجنس البشرى فحسب ، ولكن أيضا علينا شخصيا ، وعلى كل الذين يحكمون وينفذون ارادة الله المقدسة برعاية الأمور الدنيوية ···· اننى لن يهدأ لى بال ، أو أتوقع الخير والسعادة ، من الله العلى القدير والرحيم ، الا اذا شعرت أن كل البشر يعبدون الله العبادة الحقة » (١٨٠) ·

ولماذا نذهب بعيـدا ، ألم يظل قنسطنطين يحمل اللقب الوثنى « الكاهن الأعظم Pontifex maximus » والذى يعنى أن الامبراطور هو الرئيس الدينى الأعلى من الناحية العملية فى الدولة ؟ (١٨١) وألم يظل الامبراطور الرومانى يحمل نفس اللقب حتى سنة ٣٧٩م ؟ (١٨٢) · كما يبدو أنه من باب التكريم والعرفان بالجميل اتجهت الكنيسة الى المناداة بالامبراطور مارقيان فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م على أنه قس Hiereus وملك Basileus (١٨٣) · ولعل هذا فى نفس الوقت

---

(١٧٩) *John Meyendroff*, Byzantine Theology, (New York, 1974). p. 82.

(١٨٠) *Meyendroff*, Op. Cit., p. 14.

وعلى المسالة الدوناتية فى عهد قنسطنطين ، انظر الفصل الشيق والممتع للاستاذ الدكتور/ رأفت عبد الحميد فى كتابه الدولة والكنيسة ، الجزء الاول ، الفصـــل الرابع ص ١٤٣ — ١٦٣ ·

(١٨١) *Magoulias*, Op. Cit., p. 14.

(١٨٢) *G. Barroclough*, The Medieval Papacy, p. 22.

(١٨٣) *Ensslin*, Op. Cit., p. 276.

يدل على أن مفهوم الحبر الأكبر أو الكاهن الأعظم الذى كان موجودا قبل الاعتراف بالمسيحية ظل عالقا بالأذهان ٠

على أية حال يمكن القول ان الكنيسة أظهرت الامبراطور على أنه السند الأقوى والأعلى والذى حررها من الاضطهاد وجعل كلمتها هى العليا على كل الديانات الأخرى ٠

على أن قانون الاتحاد Henoticon الذى أصدره الامبراطور زينون بهدف فرض مذهب واحد على كافة شعب الامبراطورية لم يكتب له النجاح ولو أنه يمكن اعتباره من الناحية الواقعية اجراء ينم عن ممارسة سلطة « القيصرية البابوية » لأن أهميته تكمن فى أن الامبراطور – دون عقد مجمع مسكونى – قام لأول مرة باصدار تشريع يتعلق بالعقيدة لكل شعب الامبراطورية (١٨٤) ٠ وعلى هذا فانه يشكل بداية مبكرة للقيصرية البابوية التى تجلت بشكل واضح وصارخ فى عصر جوستنيان ٠

اذ ان تشريعات جوستنيان اشتملت على مجموعة من القوانين تتعلق بالكنيسة غطت مدى أكبر كل التشريعات التى صدرت قبله وبعده ، والتى بدأها سنة ٥٢٨م بضرورة انتخاب الأسقف من بين ثلاثة مرشحين لهذا المنصب (١٨٥) ٠ كما أمر جوستنيان أن تكون لقرارات المجامع الكنسية قوة القانون الامبراطورى (١٨٦) ٠ اذ أن من البديهى الا تتناقض قرارات المجامع المسكونية التى صدرت قبل عصر جوستنيان مع التزامه بالثالوث الأقدس والايمان الكاثوليكى الذى تصدر به مجموعة (الكودكس) Codex (١٨٧) ٠ وأكد البطريرك ميناس على حق جوستنيان فى الهيمنة على الكنيسة عندما أعلن أمام المجتمعين فى المجلس الدينى بالقسطنطينية سنة ٥٣٦ ، « انه لا يصح أن يحدث شىء بالكنيسة على غير أوامر وارادة الامبراطور » (١٨٨) ٠

وهكذا يمكن القول أن السلطة الامبراطورية الثيوقراطية Imperial Thearacy وصلت الى ذروتها فى عصر جوستنيان بعد أن صارت الكنيسة فى عصره احدى مؤسسات الدولة ، وتجسدت فى شخصه صورة الامبراطور الكاهن ، اذ كان امبراطورا وكاهنا أعلى ٠

---

(١٨٤) *W. Ullmann*, The Growth of Papal Governmest, p. 15.

(١٨٥) *Codex Just*, 1, 3, pp. 81-82; *Meyendroff*, Op. Cit., p. 83.

(١٨٦) Nov. 131, Ç., 1, pp. 240-241; Meyendraff, Op. Cit., p. 83.

(١٨٧) Cod. Just. I, I, p. 17.

(١٨٨) *Ensslin*, Op. Cit., p. 275; *Ullmann*, A History of Political Thought in the Middle Ages, p. 48.

والواقع أن جوستنيان له الفضل كل الفضل فى النهوض بالكنيسة، ونشر التعاليم المسيحية بدرجة فاقت كل من سبقه من أباطرة منذ اعتراف قسطنطين بالمسيحية وله الفضل كل الفضل فى اجبار الطوائف المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة على الانضواء تحت راية الكنيسة الرسمية وله الفضل كل الفضل فى القضاء على الوثنية واجبار معتنقيها على الايمان بالتعاليم المسيحية . كما ان له الفضل كل الفضل فى تنظيم الحيـــاة الديرية والارتقاء بها الى المستوى اللائق .

غير أنه يؤخذ عليه اتباعه أساليبـــا ارهابية ودموية جعلت فئات عديدة من شعبه تعتنق المسيحية عن رهبة لا عن رغبة ، وهو الأمر الذى لم تناد به أية شريعة سماوية على الاطلاق .

ولا يغيب عن الباحث ان الدافع السياسى لعب دوره الخفى فى كل اتجاهات جوستنيان المتعلقة بالأمور الدينية ، اذ أن وجود امبراطورية بها شعوب متعددة اللغات والقوميات والحضارات لا يمكن لها ان تكون قوية ما لم يجتمع شعبها على مائدة واحدة متمثلة فى عقيدة واحدة بمذهب واحد ، تعمل على خلق عاطفة واحدة تسمو فوق كل الاعتبارات . ومن الناحية الواقعية كانت المسيحية فى عهده هى طوق النجـــاة ، والدرع الواقى ، والعروة الوثقى ، التى ساعدته على تدعيم أركان امبراطوريته العالمية ، وكنيسته العالمية ، وامبراطوريته الموحدة .

سياسة جوستنيان تجاه شعوب الحدود الشرقية

الدبلوماسية الرومانية فى عصر جوستنيان ـ جوستنيان وعرب الحدود : الغساسنة والمناذرة ـ جوستنيان والبحر الأحمر : الحبشة ـ واليمن ـ جوستنيان والبحر الأسود : شبه جزيرة القرم ـ قبائل شرق البحر الأسود جوستنيان وجبهة الدانوب ـ جوستنيان والآفار ٠

جوستنيان والفرس :

الصراع الرومانى الفارسى بين النظرية والتطبيق ـ نضال جوستنيان ضد النفوذ الفارسى بالمنطقة القوقازية ـ الصراع الرومانى الفارسى حول لازيقا ـ بليزايوس والفرس ـ معاهدة السلام الدائم ٥٣٢ م والحركة الاستردادية ـ الدبلوماسية الرومانية بعد توقيع معاهدة السلام الدائم ـ القلق الفارسى لتزايدقوة جوستنيان بالشرق ونجاح الحركة الاستردادية بالغرب ٠

- كسرى وحتمية التصدى عسكريا لطموحات جوستنيان ٠
- معاهدة السلام لسنة ٥٦٢ م ٠

بالرغم من أن جوستنيان تولى السلطة فى وقت كانت فيه البلاد معرضة لأخطار اغارات الشعوب المجاورة فى الشرق ، ومنافسة الفرس للرومان فى مناطق النفوذ فى الأقاليم القوقازية ، فضلا عن التحكم الفارسى فى التجارة الدولية ، فانه انتهج أسلوبا دبلوماسيا تجاه الشعوب المجاورة ، استطاع من خلاله حماية القسم الشرقى من الامبراطورية من

السقوط فى أيدى تلك الشعوب بل والعمل على تطويع معظمها ، بالقدر الذى يخدم مصالح الامبراطورية .

والواقع أن جوستنيان اتبع أساليبا دبلوماسية تقليدية غير أنه قام بتطويرها حتى جعلها أكثر فاعلية عن أساليب أسلافه من أباطرة الرومان الذين كان عليهم جميعا العمل على اقامة علاقات دبلوماسية مع جيرانهم وأن يبذلوا جهودا ، مضنية ، ولا سيما بعد سقوط القسم الغربى من الامبراطورية فى أيدى القبائل الجرمانية (١) .

ففى الوقت الذى رحل فيه قادة جوستنيان لاسترداد الأجزاء الغربية من الامبراطورية ، نجد أنه عمل جاهدا على المحافظة على مناطق النفوذ عبر الحدود ، وبذل قصارى جهده فى ضم شعوب جديدة الى دائرة النفوذ الرومانى متبعا فى ذلك أساليب متعددة . كان أولها تقديم الأموال الى تلك القبائل على شكل اعانات سنوية ، وكان المال هو الوسيلة الأولى والمباشرة فى التأثير على تلك الشعوب ، ذلك لأن العاملين فى الميـــدان الدبلوماسى الرومانى اعتبروه الحل الأمثل على الدوام (٢) . وفى مقابل هذه الأموال كانت تلك الشعوب تقوم بحماية حدود الامبراطورية ، وأن تمد الامبراطورية بعدد من الجنود (٣) . وامتدت هذه الاعانات السنوية لتشمل قبائل الهون فى شبه جزيرة القرم Crimea والأمراء العرب على الحدود الجنوبية الشرقية ، وحكام الحبشة ، وقبـــائل الهيـــرول Herules ، والأفار Avars ، وشعب ابيريا ، والشعب اللازى (٤) .

غير أن الاعانات السنوية لم تكن الوسيلة الوحيدة ، وانما لازمتها وسائل أخرى ، كانت فى مقدمتها انعام جوستنيان على رؤســـاء هذه القبائل بالألقاب والرتب والمرتبات الخاصة بكل رتبة ، هذا فضلا عن التـــاج الذهبى والثيـــاب الحريرية المطرزة بالذهب ، والتى كانت على شاكلة ثياب الامبراطور (٥) .

---

(١) *T. Dvornik*, Origins of of the Intelligence Services, (New Jersey, 1957) pp. 165-166; *Bury*, Later Roman Empire, 2, p. 292.

(٢) *Diehl*, Byzantium, p. 55.

(٣) *Malalas*, Op. Cit., p. 495; *Menandrus*, Excerpta de legationibus barbarorum, pp. 286-287; *Diehl*, Justinien, p. 371.

(٤) *Diehl*, Byzantium, p. 55.

(٥) *Malalas*, Op. Cit., 412-413; *Agathias*, Op. Cit., p. 172; *Theophanes*, Op. Cit., 168-169; *Diehl*, Justinien, *Ibid*, Byzantium, p. 56.

وبهدف استمرار النفوذ الروماني على تلك الشعوب التابعة ، سمح لهم فى معظم الأحوال بالزواج من الرومانيات ، اللاتى كن من بنـــات الطبقة السناتورية ، بل وحتى من أقارب البيت الامبراطورى ، هـــذا بالاضافة الى استضافة أبنائهم فى القسطنطنية بالقصور بصـــفة دائمة للعناية بهم وتربيتهم تربية عالية (٦) . ولا شك أن هذا الزواج يعمل على تقوية مشاعر الولاء للامبراطور والتشبع بالروح الرومانية ، وكذلك يتحقق نفس الهدف من جراء تربيـــة أبناء تلك الشعوب فى عاصـــمة الامبراطورية .

وأكثر جوستنيان من اســـتضافة الوفود من تلك الشعوب ، حتى كانت القسطنطينية تعج بأفواج كالأمواج المتلاطمة من رؤساء كل هـــذه الشعوب المحيطة بالامبراطورية وبخاصة في المناطق الشرقية للامبراطورية ، ومعهم زوجاتهم وأطفالهم وحاشيتهم وخدمهم حتي بدت المدينـــة كمعرض لكل أزياء العالم ، ولكل لغات العالم . وأغدق جوستنيان عليهم جميعا الهدايا والمنح ، فى الوقت الذى نعموا فيه بكل ترحاب ورقة فى العاصمة ولهذا بدت القسطنطينية في حالة بهجة مستمرة لمرور هذه الأفواج التى كانت تمتطى الخيول وتسير معها قوات الفرسان حاملة الأعلام ، وسط ضجيج موسيقى الأبواق (٧) كما كانت تعد الزيارات والجولات لاولئك الزوار داخل العاصمة لمشاهدة الكنائس الرائعة ، والقصور المزودة بكل أسباب الترف ، والأسواق المملؤة بكل الخيرات والتحصينات الدفاعيـــة القوية ، ومستودعات السلاح المرتبة على أحسن وجه . بيد أن هؤلاء الزوار أنفسهم خضعوا للرقابة الدقيقة ، خشية أن يدفعهم فضولهم الى القيام بأى تصرفات طائشة (٢) .

وبهدف التأكيد على تفوق الامبراطورية فى المجالين المادى والفكرى ، حرص جوستنيان على مظاهر الأبهة والمهابة ، وذلك بجعل الضيـــوف والزوار من الشعوب المتبربرة يشعرون بالانبهار عند دخول غرف القصر الامبراطورى المطلية بالذهب . وعندما يشاهدون الأزياء الرسمية الغالية التى يرتديها العاملون بالقصر . وكذلك المجوهرات النفيسة والســـجاد الفخم ، وقواعد التشريفات التى لابد من مراعاتهـــا فى غرفة الامبراطور

---

(٦) *Procopius* ; De Belloc Gothico, IV, P. 498; *Aagthias* ; Op. Cit., p. 170; *Theophanes*, Op. Cit., p. 240; *Diehl*, Justinien p. 383; *Ibid*, Byzantium, p. 56.

(٧) *Agathias*, Op. Cit., p. 172; *Diehl*, Justinien, p. 374.

(٨) *Diehl*, Byzantium, p. 58.

بالقصر ، حيث كانت هناك عبارات وحركات كان القصد منها التأكد على البون الشاسع الذى كان قائما بين السلطة الامبراطورية والشعب الخاضع للامبراطور الذى كاد أن يؤلهه (٩) ٠

وأما عن الشعوب التى لاتثق فيها الدبلوماسية الرومانية فى عصر جوستنيان ، فاتبعت معها أسلوب الوقيعة والدس والشقاق وذلك باثارة شعب ضد الآخر ، واشعال نيران الغيرة والحسد والضغينة والصراعات فيما بينها ، اذ لم يكن هناك أسهل من جرح كبرياء الشعوب المتبربرة واثارة حنقهم الشديد (١٠) ٠ والواقع أن هذا الاسلوب الأخير والقائم على مبدأ « فرق تسد » ورثته بيزنطة عن روما القديمة ٠

على أن ما تقدم لم يكن كل شىء فى جعبة الدبلوماسية الرومانية فى عصر جوستنيان ، والتى كانت فى واقع الأمر كلها أساليب ورثتها روما الجديدة عن روما القديمة ، وانما أضافت الدبلوماسية الرومانية عاملا جديدا لم يكن موجودا فى روما القديمة ، ألا وهو التبشير بالمسيحية ، والذى كان له أثر خطير حقق الكثير لبيزنطة المسيحية ، عن طريق التفاعل السلمى الهادىء ، والمنظم بين الشعوب المتبربرة جميعها ٠ فرجل الدين المسيحى كان يقوم بدور كبير فى تمهيد الطريق لرجل السياسة ، حيث كان يذهب قبله الى البلاد المجاورة ويدعو للمسيحية ٠ على أن الداعية المسيحى ، كان يسعى على الدوام الى كسب النساء أولا الى صفه ، واللاتى كن أسرع وأكثر تأثرا بفكرة الايمان العقلانى بالقدرة الالهية وفقا لمبادىء المسيحية (١١) ٠

واذا كان رجل الدين المسيحى يقوم بالدعوة الدينية العلنية بما يعود على الامبراطورية بالنفع فى أكثر من مجال ، فقد مارس التاجر الرومانى المسيحى ، والذى يجوب البلاد المجاورة دورا خفيا لصالح الجهاز

---

(٩) Ibid, p. 57.

كانت تحية جوستنيان تتم بانبطاح الذى يقدم التحية أرضا أمام الامبراطور ويمد يديه وقدميه ثم يقبل أحد قدمى الامبراطور ، وهى عادة لم تكن موجودة من قبل بين أباطرة الرومان اذ كان من المعتاد ثنى الركبة اليمنى وملامستها للارض ٠ كما أصر جوستنيان على استعمال لفظ « السيد » عند مخاطبته ، بينما اكتفى من سبقه من الاباطرة ، بلفظ امبراطور فحسب ، انظر :

Procopius, The Secret History, p. 192.

(١٠) *Agathias*, Op. Cit., p. 306, 332-333; *Bury*, Op. Cit., p. 292; *Diehl*, Justinien, pp. 374-375; *Ibid*, Byzantium pp. 58-59.

(١١) Bury, Op. Cit., p. 292; Diehl, Justinien, p. 376; Ibid, Byzantium, pp. 58-59.

الدبلوماسى فى الدولة ، اذ كان يقوم بدور رجل المخابرات فى عصرنا الحاضر ، ويزود الدولة بكل المعلومات الضرورية (١٢) ٠

تلك كانت المبادىء الأساسية للدبلوماسية الرومانيـــة فى عصر جوستنيان ، والتى كانت تمارس على أوسع نطاق ، وبالقدر الذى لم يبذله امبراطور رومانى من أسلافه ٠

على أن أكثر الشعوب المجـــاورة تحضرا كانت القبـــائل العربية المجاورة للحدود الفارسية والرومانية ، وذلك بحكم الاحتكاك الحضارى مع كل من الفرس والرومان ، حتى أنهم فى عصر جوستنيان كانوا قد شكلوا قوة راسخة وثابتة ، ولها ميولها المعروفة والواضـــحة لكل من القوتين العظميين فى ذلك الحين ٠ فهنـــاك عرب الحيرة الموالين للفرس ، وعرب الغساسنة الموالين للرومان ٠

ونظرا لقوة القبائل العربية الواقعة بشمال شبه الجزيرة العربية ، حاول الفرس والرومان كسبهم لصالحهم فى صراعهم التقليدى والدائم ٠ غير أن الفرس ، وبخاصة منذ بداية عهد الساسانيين ، سبقوا الرومان فى هذا المجال ، عندما أقاموا امارة الحيرة (١٣) فى النصف الأول من القرن الثالث للميلاد (١٤) ٠

ولاقامة توازن مع امارة الحيرة الموالية للفرس ، نجح الرومان فى كسب عـرب الضجاعمة (١٥) الى صفهم فى أواخـــر القـرن الرابـع

---

(١٢) *Bury*, Op. Cit., p. 292; *Diehl*, Justinian, p. 375; *Ibié*, Byzantium, p. 59.

(١٣) تنسب امارة الحيرة الى مدينة الحيرة التى ظهرت على صفحة التاريخ حوالى سنة ٢٠٠م ، عندما شيدها العرب على نهر الفرات حيث كان صالحا للملاحة حتى مدينة الحيرة ٠ وكانت سفن التجارة الصينية والهندية تمر بالقرب من منازل هذه المدينة ، الأمر الذى جعلها فى حالة من الرفاهية والثراء ، انظر :
T. Hirth, China and Roman Orient, (London, 1885), p. 149.

(١٤) ترجع تبعية امارة الحيرة للفرس الى عهد شابور الأول (٢٤١ ـ ٢٧٢م) والمعروف بذى الأكتاف انظر : سعيد نفيسى ، تاريخ تمدن ايران ساسانى ، (تهران ، ١٣٣١هـ) ص ١٥٤ ٠

(١٥) ينسب الضجاعمة الى سليح بن حلوان بن ضجعم ، وهم الذين دحرهم الغساسنة وفرضوا سيادتهم عليهم ٠ انظر :
ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الثانى ، (بيروت ١٩٦٦) ص ٥٨٠ ، **ابن قتيبة** ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، (القاهرة ، ١٩٦٠) ص ٦٤٠ ٠

للميلاد (١٦) · والواقع أن اقامة الرومان علاقات ودية مع عرب الضجاعمة لم يكن الهدف منه مجرد اقامة توازن مع امارة الحيرة فحسب، وانما ليأمنوا شر هذه القبائل ذاتها من ناحية ، ولتعمل قبائل الضجاعمة على منع الغارات الخاطفة التى اعتادت عليها قبائل البدو الرحل من ناحية ثانية ·

كان لاعتناق عرب الضجاعمة للمسيحية أثره الواضح فى موالاتهم للرومان وبخاصة حصول كبيرهم على لقب Phylarchus - (شيخ قبيلة عربى ، أمير عربى) (١٧) · وهو ما يعنى أنه صار الشخصية العربية الأولى التى لها حق التعامل مع السلطات الرومانية ، أو بمعنى آخر له السيادة على القبائل العربية الأخرى التى تتعامل مع الرومان ·

وظهر تعاون عرب الغساسنة (١٨) ، الذين انتقلت اليهم مشيخة العرب الموالين للرومان ، فى عهد انستاسيوس (١٩) ، ابان الحرب مع الفرس (٥٠٢ ـ ٥٠٥ م) (٢٠) ·

على أن شهرة الغساسنة بدأت فى عهد الحارث بن جبله المعاصر للامبراطور جوستنيان والذى مارس جهودا عسكرية ودبلوماسية ، ودينية طوال عصر جوستنيان ، ومنحه جوستنيان القابا لم يحظ بها شيخ عربى من قبل طوال تعاملهم مع الرومان · (٢١)

---

(١٦) **نولدكه** ، أمراء غسان ، ترجمة بندلى جوزى ، وقنسطنطين زريق ، (بيروت ١٩٣٣) ، ص ٦ ·

(١٧) *Procopius*, Wars, 1, pp. 45-47; *J. Kawar*, «The Arabs in the peace treaty of A.D. 561,» «Arabica, 3 (Leiden, 1956), p .186.

و**نولدكه** ، نفس المرجع ص ٦ ، **جواد على** ، المفصل فى تاريخ العرب ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ ·

(١٨) الغساسنة هم فرع من أزد اليمن نزحوا الى بلاد الشام تحت قيادة زعيمهم عمرو بن عامر مزيقيا وعرفوا فى التاريخ بـ « آل غسان » وبـ « آل جفنة » وبـ « الغساسنة » انظر **المسعودى** ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثانى بيروت ١٩٦٥م ، ص ٨٣ ، **جواد على** ، نفس المرجع ، ص ٣٩٥ ، **السيد عبد العزيز سالم** ، دراسات فى تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ٢٧١ ·

(١٩) **نولدكه** ، نفس المرجع ، ص ٧ ، **جواد على** ، نفس المرجع ، ص ٣٩٥ ·

(٢٠) *Joshua*, Op. Cit., p. 64.

(٢١) الألقاب التى حصل عليها الحارث بن جبلة ، لقب الصفى Clarissimus ثم المحترم Spectabilis ثم الملك Basilius ثم **المتاز** illustris ثم الأمجد gloriossimus ثم الشريف Patricius **انظر :**
I. *Kawar*, "The Patriciate of Arethas», BZ, 52 (1929), pp. 323-329.

نجح جوستنيان فى زيادة العداء والتوتر القائم بين عرب امارة الحيرة وبين الحارث بن جبله ، وحرضه على القيام بغـارة انتقامية على أراضى الحيرة ، والقلاع الفارسية المجاورة لهـا ، واستطاع الحارث ضرب المنذر أمير الحيرة ، (٥٠٥ ـ ٥٥٤م) ، فى عقر داره بعد أن لاذ بالفرار الى جوف الصحراء تاركا النساء والأطفال ، وكل شىء ، غنيمة للحارث ، الذى تمكن من تدمير أربعة من الحصون الفارسية ، وأسر من بها من الرجال من عـرب وفرس ، وذلك فى أبريـل ٥٢٨ (٢٢) وبذلك يكون الحارث قد كال الصاع صاعين للفرس وللمنذر ، اذ ان الأخير كان قد أغار فى أواخر سنة ٥٢٧م ، على ثلاثة أقاليم رومانية قريبة من الحدود الفارسية وأحدث بها خرابا شديدا (٢٣) .

على أية حال ، اذا كان الحارث قد دافع عن الأراضى الرومانيـة بردع المعتدين فى عقر دارهم ، فانه فى نفس الوقت ، أصبح الشرطى الأمين للضرب على أيدى المتمردين على السلطة فى داخل أراضى الامبراطورية نفسها ، اذ استطاع القضاء على ثورة السامريين سنة ٥٢٩م ، بعد أن عجزت قوات الأمن والجيش فى القضاء عليها ، وتمكن من أسر الآلاف منهم وبيعهم فى أسواق النخاسة (٢٤) . وبذلك يكون الحارث قد حقق عملين عظيمين لصالح الرومان ، بعد أن صار الشيخ العربى الآعلى المعترف به لدى الرومان ، فى فترة وجيزة ولذلك أنعم عليه جوستنيان بلقب ملك حوالى سنة ٥٣٠م (٣٥) .

كان جوستنيان يثق فى اخلاص الحارث ، لذلك طلب منه التعاون مع بليزاريوس للتصدى للفرس حيث دارت معركة الرقة Callinicum وعلى الرغم من أن نتيجة المعركة لم تكن فى صالح الرومان ، فان الخسائر كانت فادحة فى الجانبين (٢٦) .

والواقـع أن خـدمات الحـارث للرومان لم تقتصر على الجانب العسكرى فحسب ، وانما امتدت الى الجانب الدبلوماسى أيضا ، وخاصة بعد أن ذاع صيت الحارث بين العرب ، لذلك أرسله جوستنيان على رأس

(٢٢) *Malalas*, Op. Cit., pp. 434-435.

(٢٣) *Ibid*, p. 344.

(٢٤) انظر الفصل الرابع ، جوستنيان والسامرة .

(٢٥) *Procopuis*, wars, 1, p. 159; *J. Kawar*, «Procopius and Arethas Again, «Byzantion, 41 (1971), p. 318 *V. Christides*, «Saracen's Prodosia in Byzantine sources», Byzantion, 40 (1970), p. 6.

(٢٦) *Procopius*, Wars, 1, p. 171; *Malalas*, Op. Cit., pp. 462-464; *I. Kawar*, "Procopius and Arethas», BZ, 50 (1957), pp. 362-3.

وفد دبلوماسي لمحاولة اقناع أبرهة حاكم اليمن للانضـــمام الى جانب الرومان في الصراع الدائر بين بيزنطة الفرس ســنة ٥٣٩ م (٢٧) ، هذا اذا ما عرفنا أن الحارث كان مسيحيا وكذلك أبرهة ٠ ولاشك أن مسألة وحدة المشاعر الدينية لها أثرها في قيام تعاطف بين الحكام ، ويؤدى هذا التعاطف الى توثيق العلاقات ، ولاسـيما اذا ما اتحدت المصـالح الاقتصادية ، ضد الفرس الوثنيين وحلفائهم بالحيرة والذين كانوا وثنيين أيضا ٠

وعلى مايبدو ، كان الفرس على علم بجهود الحارث الدبلوماسية لصالح الرومان باليمن ، وذلك لحضور المندوب الفارسى احتفالات بناء سد مأرب ٥٣٩ م ٠ ومن ثم أوعزوا الى حليفهم ملك الحيرة بالدخول فى معركة ضد الحارث لتأديبه هذا من ناحية ، ولتسخين الجبهة مع الرومان اسـتعدادا لمعركة قادمة قادها كسرى بنفسه من ناحية ثانية ٠

وعلى ذلك ما أن عاد الحارث من اليمن حتى أجبره المنذر على الدخول فى معركة فى نفس العام (٥٣٩م) ، فقد فيها أحد أبنائه ، وذلك بالرغم من محاولات جوستنيان والحارث تفادى هذه المعركة ، ومعالجة موضوع النزاع بالطرق الدبلوماسية ، والذى كان حول قطعة أرض على الحدود بين الامارتين ، بها مرعى على جانبها طريق ممهد Strata يقع بين تدمر ودمشق (٢٨) ٠

على أن الحارث بن جبله تمكن من شن غارة ناجحة ضد الأراضى الفارسية سنة ٥٤١ م ، وذلك لتطهير المناطق القريبة من مدينة نصيبين ، بعد أن عجز بليزاريوس عن احتلالها بالرغم من محاصرته لها ٠ وهى المحاولة التى استهدفت الضغط على كسرى ، الذى كان فى ذلك الحين فى لازيقا ونجح فى احتلال أجزاء منها ، بغية ايجاد موضع قدم للفرس على ساحل البحر الأسود يتيح لهم فرصة مهاجمة القسطنطينية ذاتها ٠ وترجع أهمية ما قام به الحارث من نجاح فى مهمته ، وعودته سالما ومحافظا على ســلامة القوات التى كانت تحت أمرته ، والتى كان بليزاريوس قد زوده بها ، بخلاف القوات العربيــة التابعة له ، الى أنه أجبر كسرى على العودة بسرعة لحماية بلاده ، بمجرد علمه بما فعله الحارث ، تاركا حامية

---

(٢٧) I. *KaWar*, «The patriciate of Arethas» BZ, 52 (1959), p. 331.

(٢٨) *Procopius*, Wars, 2, pp. 261-263; *Kawar*, «Procopius ané **Arethas», BZ, 59 (1957), p. 371; *Ibid*, The Arabs in the peace** treaty of **A.D. 561, p. 187.**

فارسية فى لازيقا (٢٩) . لذلك كافأه جوستنيان بأن منحه فى العام التالى لقب شريف Patricius (٣٠) بعد أن دعاه الى العاصمة وقابله وحضر مراسيم الحصول على هذا اللقب (٣١) وبذلك يكون الحارث قد حصل على أعلى الألقاب فى طبقات المجتمع الرومانى فى ذلك الحين .

ولا شك أن الحارث كان قد بلغ مركزا قويا فى سنة ٥٤٢م ، مكنه من أن يطلب من الامبراطور جوستنيان الموافقة على تعيين الأسقف المونوفيزيتى ، ثيودور على مدينة بصرى ، ويعقوب المونوفيزيتى على مدينة الرها ، وهو المطلب الذى لم يجد جوستنيان مفرا من الموافقة عليه (٣٢) . فبالرغم من أن جوستنيان ورجال بلاطه كانوا جميعا متعصبين للمذهب الخلقيدونى ، الا أنه انصاع كارها لطلب الحارث (٣٣) . وعلى ذلك يكون الحارث قد استغل الموقف بذكاء وحصل على موافقة جوستنيان ، وهو يعلم أن الامبراطور فى أمس الحاجة اليه فى الوقت الذى كانت فيه الجبهة الشرقية مشتعلة وتحت رحمة كسرى .

على أية حال ظل الحارث مخلصا للرومان ، فبالرغم من توقيع الفرس والرومان على هدنة سنة ٥٤٥م لمدة خمس سنوات ، وتم تجديدها مرتين فان تلك الهدنة لم تشمل اقليم لازيقا أو مناطق الحدود بين عرب الغساسنة وعرب الحيرة (٣٤) . لذلك ظلت الحرب دائرة بين عرب الغساسنة وعرب الحيرة . واذا كان الحارث قد فقد أحد أبنائه فى تلك الحروب سنة ٥٤٥م، وقدمه المنذر أمير الحيرة ضحية للعزى (٣٥) . فان الحارث استطاع ان

---

(٢٩) *Procopius*, Wars, 2, pp. 423-429; **Ibid**, The Secret History p. 51

(٣٠) أقر جوستنيان نظام الطبقات الذى نشأ منذ أيام دقلديانوس حيث قسمها الى اشراف Patrici وممتازين **illustres** ومحترمين Specabites وأصفياء Clarissimi وأمجاد **gloricsi** وانظر :

ديورانت (ول) قصة الحضارة الجزء الأول من المجلد الرابع ، عصر الايمان ، ترجمة محمد بدران ، ص ٢٢٧ .

(٣١) *John of Ephesus*, Lives of the Eastern Saints, P.O. 19, pp. 237-238; ***Kawar***, The patriciate of Arethas, p. 332.

(٣٢) ***John of Ephesus***, Op. Cit., p. 238; ***Kawar***, Op. Cit., p. 332.

(٣٣) اوضح بروكوبيوس أنه بالرغم من توقيع الفرس والرومان على تجديد الهدنة سنة ٥٥٠ م الا أن مسالتى الاعتداءات المتكررة بين عرب الحيرة ، وعرب الغساسنة ، وكذلك لازيقا ، لم تتمكن الجهود الدبلوماسية للقوتين من التوصل الى حل لهما . انظر :
Procopius, De Bello Gothico, IV, pp. 536-537.

(٣٤) ***Procopius***, Wars, 2, p. 519.

(٣٥) Ibid, p. **519.**

يقتل المنذر نفسه فى احدى المعارك سنة ٥٥٤ م ، فى معركة قرب قنسرين، وهى التى عرفت فى التاريخ العربى « بيوم حليمة » (٣٦) ٠

الواقع أن مقتل المنذر أمير الحيرة ، كان من الممكن أن يؤدى الى اشتعال الموقف بين المناذرة والغساسنة لولا أن سعى جوستنيان الى شراء مسالمة أبناء المنذر ، وذلك بالتعهد بدفع دية سنوية طوال حياة الامبراطور قدرها مائة رطل من الذهب ٠ وظل يسددها ، وان كان قد توقف عن السداد ، منذ توقيع معاهدة سلام الخمسين عاما مع الفرس سنة ٥٦٢م(٣٧) ٠

على أن جوستنيان اضطر فى العام التالى على توقيع هذه المعاهدة على مواصلة دفع الفدية الى عمرو بن المنذر أمير الحيرة ، بناء على نصيحة الحارث بن جبلة ، الذى اضطران يذهب خصيصا الى القسطنطينية ـ ونجح فى اقناع جوستنيان بضرورة مواصـــلة دفع الفدية السـنوية ، لأن عمرو بن المنذر كرر اغارته على الآراضى الرومانية ردا على توقف الامبراطور عن دفع الفدية (٣٨) ٠

تلك كانت محصلة العلاقات الرومانية مع عرب الغساسنة فى عصر جوستنيان ، وهى بلا شك قامت على تحقيق المصالح الامبراطورية على ضوء المتغيرات السياسية ، والصراع الفارسى الرومانى ، ولا ريب أن عرب الغساسنة الذين اعتنقوا المسيحية كانوا بمثابة درع واق للامبراطورية فى هذا الجزء من العالم الرومانى ٠

على أن الدبلوماسية الرومانية ، حرصت فى نفس الوقت على تجنب الدخول فى صراع سافر ضد عرب الحيرة نظرا لقوتهم وتحالفهم مع الفرس، والذين كانوا تحت امرة المنذر الثالث (٥٠٥ ـ ٥٥٤م) ، الذى دان له كل العرب فى بلاد ما بين النهرين ، وعلى امتـــداد نهر الفـرات والخليج الفارسى حتى جزائر البحرين (٣٩) ٠

كانت أولى الاتصالات الدبلوماسية بين جوستنيان والمنذر الثالث ، سنة ٥٢٣ م عندما ذهب السفير البيزنطى ابراهيم بن أوفراسيوس لفك

---

(٣٦) جـــواد على ، نفس المرجع ، ص ٤٠٨ ، نولدكه ، نفس المرجع ، ص ٢٠ ، صالح احمد العلى ، محاضرات فى تاريخ العرب ، جـ ١ ، ص ٥٨ ٠

(٣٧) *Theophanes*, Op. cit., p. 371; *Stein*, Op. Cit., p. 521.

(٣٨) *Theophanes*, Op. cit., p. 371; *Stein*, Op. Cit., p. 521; **KaWar, «The Arabs in the peace Treaty of A.D. 561», Arabic, 3 (1956), p. 203.**

(٣٩) *F. Nau*, Les Arabes Chrétiens de Mésopotamie et de Syrie du VII au VIII Siècle (Paris, 1933), p. 38.

أسر بعض القــادة الرومان على أثر اغارة المنذر على أراضى الامبراطورية الرومانية (٤٠) • ومن الملاحظ أن المصادر الرومانية لم تذكر شيئا عن تقديم هدايا أو منح مالية للمنذر ، مقابل فك أسر الأسرى ، بيد أنه من المنطقى – كما جرت العادة لبيزنطة فى تعاملها مع الشعوب المجاورة – أن جوستنيان قدم الهدايا والأموال الى المنذر مقابل افتداء الأسرى •

على أن المنذر ظل طوال حياته « مخلصــا للفرس » على حــد قول بروكوبيوس (٤١) لذلك عندما جرب معه جوستنيان أسلوبه التقليدى فى استمالة الأعداء وتحويلهم الى أتباع عن طريق تقــديم الأموال فان هذه المحاولة أفتضح أمرها ، وسلم المنذر الخطابات التى تدين جوســتنيان بمحاولته كسب المنذر الى صف الرومان وتخليه عن التعاون مع الفرس ، وذلك سنة ٥٣٩م (٤٢) وهى الحادثة التى كانت من بين الأسباب التى دفعت كسرى الى نسف معاهدة السلام الدائم (٥٣٢ م) ومحاربة الرومان على الحدود ، وفى المنطقة القوقازية (لازيقا) •

وبالرغم من أن معاهدة السلام الدائم لم يرد بهــا شيء يلزم عرب الحيرة أو عرب الغساسنة بعدم حمل السلاح ، واشعال الحروب ، وكذلك بالرغم من فشل الجهود الدبلوماسية الرومانية فى الوصول الى اتفاق على هذا الموضـــوع ابان فترات الهدنة والتى تجددت أكثر من مرة ، الا ان السياسة الرومانية نجحت فى اذكاء نيران العداء بين الغساسنة والحيرة التى وصلت الى حد مقتل المنذر الثالث ، العدو القوى ، والمحارب المحنك ، والواقع ان مقتل المنذر يخدم المصالح الرومانية ، وبنفس القدر والمفهوم للمصالح الرومانية سارعت بيزنطة بدفع فدية سنوية الى أبناء المنذر ، وبذلك أمنت عدم اعتداء عرب الحيرة ، على أراضى الامبراطورية فى الفترة مابين ٥٥٤ م الى ٥٦٢ م ، الى أن تم التوقيع على معاهدة ســلام الخمسين عاما والتى نصت على « الا يحمل العرب حلفاء الفرس السلاح ضد الرومان» •

وهكذا يمكن القول ان جوستنيان نجح الى حد كبير فى تأمين حدود الامبراطورية المتاخمة لشمال شبه الجزيرة العربية بأقصى ما استطاع ،

---

(٤٠) *Zachariah*, Op. Cit., p. 193, *Michel Le Syrien*, Op. Cit., p. 184; *Musil*, Palmyrena, p. 28; *Vasiliev*. Justin, p. 274-280; Lebeau, Histoire 8, pp. 55-58; Vasiliev,» Notes on some Episodes Histoire, 8, pp. 56-58; *Vasiliev*,» Notes on some Episodes concerning the relation between the Arabs and Byzantine Empire from the Fourth to the Sixth Century», D.O.P. 10 (1956), p. 314.

(٤١) *Procopius*, Wars, 1, p. 157.

(٤٢) *Procopius*, Wars, 2, p. 249; *Diehl*, Justinien, p. 213.

وحافظ على وحدة أراضى الدولة فى منطقـة من أهم مناطـق الامبراطورية وأقربها الى الفرس ، وذلك بفضل ممارسة كل أساليب الدبلوماسية التى درجت عليها الدولة الرومانية • كما حافظ على استمرار سير وتأمين الطرق التجارية التى كانت تربط جنوب شبه الجزيرة العربية بشمالها بفضـل وجود امارة الغساسنة القوية وبفضل سياسته تجاه البحر الأحمر التى دار محورها حول تحقيق المصالح التجارية للدولة فى كل علاقاته مع دول هذه المنطقة من العالم •

والواقع أن منطقة البحر الأحمر من أكثر المناطق أهميـة للتجارة العالميـة عامة ، وللرومان خاصـة • لذلك حرص الرومان على تأمين هذا الشريان الحيوى مع اللجوء الى استعمال القوة منذ مطلع القـرن الأول للميلاد ، عندما كانت اليمن فى ذلك الحين تشكل بؤرة الاهتمام والتحدى فى نفس الوقت الذى كان فيه العداء مستحكما بين الفرس والرومان (٤٣)• واذا كان الرومان قد آمنوا مصالحهم التجارية بالقوة فى اليمن الا أنهـم

---

(٤٣) يرجع ظهور دور اليمن فى التجارة الهندية مع البحر الأحمر الى القرن الخامس قبل الميلاد • وفى عهد الحميريين صارت عدن تحت سيطرتهم واحتكروا التجارة مع الشرق لصالحهم فحسب ، وذلك بمنع السفن الهندية من دخول البحر الأحمر ، ومنع المصريين من الخروج منه ، واستمر هذا الوضع حتى سنة ٣٠ ق•م بيد أن الرومان لم تقبلوا هـذا الوضع وأرسلوا حملة بقيادة أليوس جالوس حاكم مصر الرومانية سنة ٢٤ ق•م لاحتلال اليمن غير أن هذه الحملة لم تحقق هدفها ، ثم تلتها حملة بحرية قوامها مائة وعشرون سفينة فى عهد الامبراطور أوغسطس ونجحت فى الخروج من البحر الأحمر ، وكسر احتكار اليمن للتجارة • وبذلك يمكن القول أن القرن الأول للميـلاد يعتبر بداية لفترة تمتع الامبراطورية الرومانية بتجارة الهند وشاطىء أفريقيا الشرقى • على أن اهتمام الرومان امتد ليشمل طريق القوافل من اليمن الى الشام عبر شبه الجزيرة العربية ، ولأهمية اليمن التجارية أطلق الرومان عليه « السوق الرومانى » أو « اليمن السعيد » Arabia Felix على أن الطريق البرى بين اليمن والشام كان أكثر أمنا وغير محفوف بالمخاطر • ويبدو أن عناية الرومان بهذا الطريق جعلتهم يقيمون التحصينات للمحافظة عليه ، والتى أكدت جهـود التنقيب عن الآثار وجود بعضها جنوب مدينة بصرى Bostra بحوالى خمسمائة كيلومترا ، انظر :

Hudson, Europe and China, p. 72; *Holmes*, The Age of Justinian and Theodora, Vol. I, p. 189; *Bury*, Later Roman Empire, Vol. II., pp. 317-318; *Vasiliev*, Justin, pp. 361-363 .

وعبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، القاهرة ١٩٤٧م ، ص ٥ – ١٠ ، السيد محمد يوسف ، علاقات العرب التجـارية ، ص ٧ ، ١٣ جورج حورانى ، العرب والملاحة ، ص ٧٥ ، جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٣ ، ص ٥٣٣ •

اتبعوا الأسلوب الدبلوماسى منذ بداية القرن الرابع للميلاد ، بعد أن انتقل مركز الثقل من اليمن الى الحبشة (٤٤) .

فمنذ ذلك الحين بدأ التبشير يلعب دوره فى هذا المجـــال ، اذ أن الامبراطور قنسطنطيوس الثانى (٣٣٧ ـ ٣٦١ م) لم يرســل ســـفيره ثيوفيلوس Theophilus الى عيزانا Ezana ملك الحبشة ، لمجرد هدف دينى فحسب ، وانما لمحاولة طلب المساعدة فى التخلص من الاحتكار الفارسى للتجارة البحرية (٤٥) .

على أن عهد انستاسيوس شهد تحركا تبشيريا ودبلوماسيا ، أكثر من ذى قبل حيث أرسل بعثة قامت برسامة الآساقفة ، وبناء الكنائس ، فى عدة أماكن بالحبشة واليمن هذا من ناحية (٤٦) ، كما عمـــل الوفد السياسى الذى أرسله انستاسيوس على تحريض اليمنيين التابعين للحبشة على مهاجمة الحـدود الفارسـية من ناحيـــة ثانية (٤٧) . والواقع أن الدبلوماسية الرومانية تجاه الحبشة منذ القرن الرابع الميلادى وحتى عصر جوستنيان دار محورها حول المحافظة على المصالح الاقتصادية للامبراطورية الرومانية على ضوء حرمان الفرس للسفن الرومانيــة من الوصـــول الى السواحل الغربية للهند وجزيرة ســـيلان ، وعلى ضـــوء تحكم الفرس الاقتصادى فى تجارة الرومان البرية مع الشرق من ناحية ثانية (٤٨) ، ونجاح الحبشة فى القيام بدور الوسيط التجارى فى ميـدان الملاحة مع

---

(٤٤) تربط بلاد اليمن بالحبشة صلات متينة وقوية منذ أقدم العصور بحكم الموقع الجغرافى وكشفت النقوش عن تبعية اليمن للحبشة فى عهد « عيزانا » ملك الحبشة الذى ارتقى العرش فى القرن الرابع للميلاد . وأن مملكته قد صارت المركز الرئيسى لتجـارة هذا الجزء من العالم ، وأن ميناء « عدول » التجارى صار من أقوى الأسواق التجارية فى العالم بعد أن سيطرت الحبشة على مدخل البحر الأحمر ، وعلى كل البلاد التى تقع على ضفتى هذا البحر ـ انظر : الحيمى الحسن بن أحمد ، سيرة الحبشة ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، ص ٤٦ ـ ٥٠ .

(٤٥) *T. Dvornik*, Origins of the Intelligence Services, New Jersey, 1974, p. 169.

والحيمى الحسن بن أحمد ، سيرة الحبشة ، ص ٥٠ .

(٤٦) Dvornik, Origins, p. 169.

(٤٧) *J. Milne*, A History of Egypt Under Roman Rule, London, 1913, p. 103.

(٤٨) *Stein*, Op. Cit., p. 102; *Vasiliev*, Justin, p. 361.

الهند ، ونقلهم السلع التجارية الى ميناء عدول (٤٩) الحبشية التى صارت سوقا عالميا للسلع التجارية الشرقية والافريقية من ناحية ثالثة (٥٠) ٠

غير أن اليهود باليمن استطاعوا السيطرة على الحكم بها ، عن طريق نجاحهم فى تهويد (٥١) « ذونواس » (٥٢) وقومه ، واستطاعوا انتهاج سياسة اقتصادية ودينية لايمكن للرومان أو الأحباش السكوت عليها ، بأية حال من الأحوال وذلك فى الربع الأول من القرن السادس للميلاد ٠

فبالرغم من وجود حامية حبشية باليمن ، ووجود أكثرية عددية للمسيحيين بها ، فان ذانواس تمكن من الوصول للسلطة منتهزا فرصة حلول فصل الشتاء ، وعدم مقدرة ملك الحبشة على ارسال نجدات سريعة للحامية باليمن والتى كان ذو نواس قد أبادها عن بكرة أبيها (٥٣) ٠

---

(٤٩) ميناء « عدول » Adulis هى التى ذكرها بعض شعراء العرب فى الشعر الجاهلى ، وهى ميناء الحبشة التجارى ، وهذا الميناء اندثر ، ومازالت آثارها باقية عند ضواحى ميناء زيلع Zulla بالقرب من خليج انسيلى ٠

Lebeau, Histoire, 8, p. 46.

وعبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، ص ١٨ – ١٩ ٠

(٥٠) *Heyd* (Histoire du commerce de Levant Vol. I., p. 9; *Hirth*(China and Roman Orient, P. 178; *Diehl*, Justinien, pp. 390-391; *Holmes*, The Age of Justinian, Vol. I, pp. 186-187.

وجورج فضلو ، العرب والملاحة ، ص ٩٨ – ١٠٠ ٠

(٥١) عن تهود ذى نواس وقومه وتركهم عبادة النار انظر :

الدينورى ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٦١ ، الأزرقى ، أخبار مكة ، (مكة ١٣٥٢هـ) ، ص ٨١ ٠

(٥٢) ذكرته المصادر الحبشية باسم فنحاس Phinhas وهو من أسماء اليهود ٠ وذكرته المصادر السريانية باسم مسروق ٠ وهناك رأى يقول أن مسروق هذه ترجمة لاسم ذى نواس باللغة السريانية وأن (سرق) معناها سرح أو مشط الشعر ، لهذا أسماه مسروقا لصيغة مفعول العربية الشمالية ٠ ثم جاء العرب وأخذوا القصة من السريان فترجموا مسروقا بذى نواس ، وأما المصادر العربية فذكرته باسم زرعة بن زيد ابن كعب وشهرته ذى نواس لوجود بعض الشعيرات التى تنوس (تتذبذب) على رأسه ٠ وجعله بعضهم يوسف ذو نواس بن زرعة بن تبع الحميرى ٠ وبعضهم جعله زرعة بن تبان أسعد ثم سمى نفسه يوسف ، انظر :

Moberg, The Book of Himyarites, p. CV.

وانظر الدينورى ، الأخبار الطوال ، ص ٦١ ، المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٥٢ ، وابن خلدون ، العبر ، جـ ٢٢ ، ص ١١١ ، وجود على ، المفصل فى تاريخ العرب ، جـ ٣ ص ٤٦٩ ، عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ص ٤٤٠ ٠

(٥٣) *Procopius*, Wars, 1. p. 189.

كما تمكن بالدهاء والخديعة من ذبح المسيحيين الذين كانوا بالكنائس فى مدينة ظفار (٥٤) • وغيرها • وعلى ذلك لم يكن أمام الآخرين سوى التهود أو الموت حرقا (٥٥) •

غير ان أشد الأمور خطورة على الحبشـــة والرومان ، كان قطع ذى نواس لشريان التجارة بين الحبشة والرومان عن طريق قتله للتجار المسيحيين الرومان ، واستيلائه على بضائعهم ، ومنعه للقوافل التجارية بين الحبشـــة والامبراطورية الرومانيـــة والتى كانت تمر بالأراضى اليمينية (٥٦) •

وعلى الرغم من محاولة ملك الحبشة معالجة الموقف الجديد باليمن ، بالطرق الدبلوماسية ، وذلك بارساله الى ذى نواس رسالة موضحا بها مدى الأضرار الاقتصادية المترتبة على منعه للقوافل التجارية الرومانية ، « لقد أخطأت التصرف بقتل التجار الرومان المسيحيين • ان هذا التصرف يضر بمملكتى أيضا » (٥٧) فان ذا نواس لم يعر تلك الرسالة التفاتا ، وانما سار وفقا للخطة التى رسمها لنفســه ، بشـــأن التعصب المقيت لليهودية ، واضطهاد المســـيحيين باليمن ، وضربه للمصالح الرومانية والحبشية فى الصميم ، وأعلن عن تحديه لنجاشى الحبشة فى رسالة عدائية تحمل معانى التهديد والوعيد (٥٨) •

على أن ذا نواس كان جادا فى تهديداته ، اذ قام بمذبحة رهيبة فى مدينـــة نجـران (٥٩) راح ضحيتهـا الآلاف الذين ماتـوا حرقا فى

---

(٥٤) كانت مارب عاصمة ملوك سبأ ، بيد أن الحميريين نقلوا حاضرتهم الى ريدان (ظفار) ، حتى يكونوا أقرب الى البحر ، ولا سيما بعد أن أصاب بعض مدن الجنوب التخريب فى حملة القائد الرومانى اليوس جالوس سنة ٢٤ ق•م • وأصبح ملوك حمير يلقبون أنفسهم (ملوك سبأ وذى ريدان) بعد أن كان السابقون منهم يلقبون أنفسهم (ملوك سبأ) فحسب • انظر : **عبد المجيد عابدين** ، بين الحبشة والعرب ، ص ٤ •

(٥٥) *Moberg*, Op. Cit., p. CV.

(٥٦) *Michel Le Syrien*, Op. Cit., II, p. 183.

(٥٧) *Malalas* Op. Cit., p. 432; *Michel Le Syrien* Op Cit, II, p. 184.

(٥٨) *Michel Le Syrien*, Op. Cit., p. 184.

ويلاحظ أن المصادر العربية لم تذكر شيئا عن المراسلات التى دارت بين نجاشى الحبشة وذى نواس •

(٥٩) كانت نجران فى ذلك الحين تابعة لليمن ، وتدفع جزية سنوية لها ، وهى مدينة كبيرة على طريق القوافل ، وتبعد عن صنعاء بمسافة عشرة أيام على ظهور الابل ، وعن مكة بمسافة تقطعها الابل فى عشرين يوما ، انظر :
Lebeau, Histoire, 8, p 54.

الأخاديد (٦٠) ، والتى لم يسلم منها كبير المسيحيين بالمدينة وهو الحارث بن كلب البالغ من العمر سنة وتسعين عاما ، وكذلك زوجته رحمة ، وذلك فى الرابع والعشرين من أكتوبر ٥٢٣م (٦١) . وما أن نجح ذو نواس فى تأمين موقفه فى اليمن حتى بادر ببذل جهود دبلوماسية لصالح اليهود (٦٢) . فى امارة الحيرة وفى بلاد الفرس ، وذلك بارساله سفارة الى المنذر الثالث (٥٠٥ ــ ٥٥٤ م) أمير الحيرة ، وأخرى الى ملك الفرس ، مطالبا صراحة باضطهاد المسيحيين بهما ، ورعاية اليهود ، ففى رسالته الى المنذر : « وأما بخصوص اليهود الذين يعيشون فى بلادك ، فأرجوك أن تعاملهم معاملة طيبة ، مع ابلاغى بذلك ، وانى على استعداد لأى طلب فى المقابل » (٦٣) .

تلك كانت الصورة السياسية والاقتصادية والدينية التى رسمها ذو نواس على خريطة العلاقات الدولية فى وقت تحولت فيه العلاقات الفارسية الرومانية من حالة السلام المشوب بالحذر الى حالة الحرب الباردة ، على أثر نجاح الرومان فى ضم اقليم لازيقا اليهم سنة ٥٢٢ م ،

---

(٦٠) الأخاديد هى حفر مستطيلة ، ومازال الأخدود موجودا حتى اليوم فى نجران ويعرفه العرب هناك ، انظر :

Philby, The Background of Islam, p. 119.

(٦١) ***Moberg***, **Op. Cit., pp. CX-CXVII,** ***Zachariad***, **Op. Cit., pp. 192-200;** ***Lebeau***, **Op. Cit, 8, p. 55;** ***Duchesne***, **Op. Cit., p. 290.**

وورد ذكر حادثة نجران « أصحاب الأخدود » فى القرآن الكريم ، فى الآية الرابعة من سورة البروج . واجتهد المؤرخون المسلمون فى تفسيرها ورصدها تاريخيا بما يتطابق مع المصادر السريانية المعاصرة للحادثة انظر : **ابن هشام** السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ١١ ، **الدينورى** ، الأخبار الطوال ، ص ٦٢ ، **البلخى** ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٢ ــ ١٨٣ ، الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ، ص ١٢٣ ، **ابن قتيبة** ، **المعارف** ، ص ٦٣٧ .

(٦٢) شكل اليهود جالية هامة فى امارة الحيرة ، وكانت لهم قرية قائمة بذاتها على مقربة من مدينة الحيرة ، كما كان يحدث دائما حيث اعتادوا الاقامة بالقرب من كل عاصمة وعلى كل طريق تجارى . وكانت قريتهم تقع بين طيسفون Ctesiphon عاصمة الفرس والحيرة . وعرفت هذه القرية باسم ميتا ماسيا Metamahsia انظر :

Nau, Les Arabes Chretiens, p. 44.

(٦٣) *Zachariah*, Op. Cit., p. 197; *Carpentier*, Martyrium Arethae, (Acta Sanctorum), Octobris, X (Paris, 1869), p. 742; (*Stein*, Op. Cit., p. 266.

ويلاحظ أنه لم ترد أية معلومات عن رسائل **ذى نواس** الى المنذر أو الى ملك الفرس فى المصادر العربية .

والذى كان تابعا للفرس • والسؤال المطروح الآن ، هل تقبل الحبشة أو يرضى الرومان (٦٤) بما فعله ذو نواس ؟

على أية حال ، قاد ارياط الحبشى جيشا بلغ تعداده ، حوالى سبعين ألف مقاتل للقضاء على ذى نواس (٦٥) ، ثم نقلهم على سـفن رومانية تجارية من موانى القلزم رايله ، وعتياب (تيران) ، وجزائر فرسان ، بعد أن تجمعت فى ميناء عدول الحبشية ، هذا بالاضافة الى السفن التى استأجرها النجاشى ، والقوارب التى صنعت على وجه السرعة فى الحبشة والتى تصنع دون استخدام الحديد ، ويستعاض عنه بنوع خاص من الحبـال (٦٦) •

وبفضل التعاون الرومانى مع الحبشة استطاع أرياط نقل جيشه الى سواحل اليمن حيث دارت معركة فاصلة ، بالرغم من أن ذا نواس حاول منع جيش أرياط من الوصول الى أرض اليمن عن طريق التصدى للجيش الحبشى ، الا أنه لم يوفق فى خطته ، ودفع حياته ثمنا لخطته ، حيث مات قتيلا غريقا ، بعد أن هزم جيشه هزيمة منكرة • وفقا لما جاء بالمصادر العربية ، والسريانية وما أيده الكشف العلمى للدكتـور /

---

(٦٤) المصادر العربية ذكرت أن دوس ذو ثعلبان ـ أحد المسيحيين من أهالى نجران ـ قام بدور كبير فى ابلاغ نجاشى الحبشة والرومان ، والعمل على اعداد حملة حبشية على سفن رومانية للقضاء على ذى نواس انظر :

الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ، ص ١٢٣ ، **ابن قتيبة** ، المعارف ، ص ٦٣٧ ، **ابن هشام** ، التيجان فى ملوك حمير ، ص ٢٩٩ ، **البلخى** ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ •

أما المصادر غير العربية ذكرت أن الرومان علموا بما فعله ذو نواس ابان وجود وفد سفارة رومانية فى ديار المنذر أمير الحيرة وتقابلت مع وفد ذى نواس ، انظر :
Lebeau, Histoire, 8, p. 59, Reinaud Relations Politiques et Commerciales de L'Empire avec l'Asie Oriental, p. 269.

(٦٥) **الطبرى** ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ، **ابن قتيبة** ، المعـارف ، ص ٦٣٧ **ابن هشام** ، التيجان فى ملوك حمير ، ص ٢٩٩ ، **البلخى** ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٢ ، ص ١١٣ ، **ابن الأثير** ، الكامل فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٤٣١ •

(٦٦) *Reinaud*, Relations Politiques p. 269; *Abel*, «L'ile de Jotabr», Revue Biblique, 47, (1938), pp. 528-529; *Lebeau*, Histoire, 8, p. 6-; *Vasiliev*, Justin, p. 367.

أحمد فخرى فى العاشر من مايو ١٩٤٧ م بمدينة مارب والذى يحمل نقشا حبشيا أكد صحة هذه المعلومات (٦٧) ٠

كان لنجاح حملة أرياط الناجحة ، والتى قضت على ذى نواس باليمن أثرها الكبير فى تقوية الصلات الحبشية الرومانية ، حيث بادر نجاشى الحبشة بارسال وفد سياسى كبير ضم كبار رجال الدولة الى القسطنطينية لتبادل التهانى ، ولتعزيز العلاقات السياسية والتجارية والدينية ، والعمل على تكثيف نشاط الجماعات التبشيرية فى كل من الحبشة واليمن (٦٨) كما عادت اليمن الى تبعيتها للحبشة وعين النجاشى عليها السميفع أشوع Esimphaeus نائبا عنه ــ وهو من نصارى اليمن ، على أن يدفع جزية سنوية للحبشة (٦٩) ٠

وعلى ضوء العلاقات الدبلوماسية القوية بين الرومان وجنوب البحر الأحمر (الحبشة ــ واليمن) بذل جوستنيان جهودا كبيرة بغية تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية ضد عدوه فى الشرق (الفرس) ابان حروبه الأولى معهم ، حيث أرسل سفيره جوليان Julian الى ملك الحبشة والى السميفع أشوع نائبه فى اليمن ٠ غير أن هذه الجهود لم تحقق ما كان يتمناه جوستنيان ٠ فعلى الرغم من أن الدبلوماسية الرومانية كانت تتوقع نجاح مساعيها عند السميفع أشوع باليمن ، الذى طلبت منه تعيين قيس شيخا على اقليم انجد ، وأن يقوم قيس هذا باعداد جيش من العرب لمهاجمة الأراضى الفارسية ، فان هذا المسعى لم يخرج الى حيز التنفيذ ، وذلك

---

(٦٧) *Moberg*, Op. Cit., p. CXXIV; *A. Caquot*, L'Inscription Ethiopienne de Marib», Annales d'Ethiopie, (Paris, 1965). pp. 223-226.
وابن هشام ، التيجان فى ملوك حمير ، ص ٣٠١ ، **ابن قتيبة** ، المعارف ، ص ٦٣٧ ، **البلخى** ، البدء والتاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ ، **الطبرى** تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ ، **ابن الأثير** ، الكامل فى التاريخ ، جـ ١ ص ٤٣١ ، **ابن خلدون** ، العبر ، جـ ٢ ، ص ١١٤ ٠

(٦٨) *Michel Le Syriens* Op. Cit., p. 184.

(٦٩) *Procopius*, *Wars*, I, p. 189.
والسميفع أشوع هذا كان من الشخصيات المهمة باليمن ، استغلته السياسة الحبشية والرومانية مقابل المساعدات المادية فى القضاء على ذى نواس ٠ ويوجد حاليا نقشا حميريا محفوظا فى متحف اسطنبول يتضمن العبارة التالية : « نفس قدس سميفع أشوع ملك سبأ » وفى آخر العبارة : « بسم الرحمن وابنه المسيح الغالب » ، ومن هاتين الجملتين دلالة واضحة على أن السميفع اشوع كان حاكما على اليمن ، وأنه كان مسيحيا ، وأنه هو الذى ذكره بروكوبيوس ٠
انظر : جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، جـ ٣ ، ص ٤٧٦ ــ ٤٧٧ ٠

لوجود ثأر بين السميفع وقيس هذا من ناحية ، ولصعوبة عبور جيش عربي أراضي شاسعة وصحراوية من ناحية ثانية (٧٠) ٠

على أن الرسائل الدبلوماسية بين جوسـتنيان ونجاشي الحبشة وجهود السفير جوليان فى نفس السـنة (٥٣٠ م) ، كشفت عن قوة العلاقات والمصالح المتبادلة بين الطرفين ، اذ أرسل ملك الحبشة رسالة الى قباذ ملك الفرس يعلن فيها صراحة عداءه للفرس وصداقته للرومان ، هذا فى الوقت الذى حرض فيه عرب اليمن ضد الفرس ، بناء على طلب جوستنيان غير أن جهود الحبشة ـ بناء على طلب جوستنيان ـ والخاصة بمحاولة شراء الحرير من جزيرة سيلان ثم بيعه للرومان ، لم يكتب لها التوفيق لتفوق النظام التجارى الفارسى فى الأسواق بجزيرة سيلان التى ترسو بها السفن المحملة بالحرير حيث اعتاد التجار الفرس شراء كل حمولات السفن دفعة واحدة (٧١) ٠

وعلى الرغم من فشل جهود جوستنيان الدبلوماسية لعدم استطاعة الحبشة تحقيق الأهداف الاقتصادية المشتركة بخصوص تجارة الحرير ، فان ذلك لم يمنعه من ارسال سفارة دبلوماسية ثانية للحبشة برياسة السفير نونوسوس ، Nonnosus فى العام التالى (٥٣١ م) ، وذلك فى محاولة لاقناع أصحاب السفن التجارية بعدم دخول الخليج الفارسى، والتوجه مباشرة الى الحبشة ٠ ومرجع هذا الفشل الى التنافس الشديد بين التجار الذين كانوا على استعداد تام لشراء كل الحمولات وبأسعار عالية من ناحية ، ولرفض أصحاب السفن التجـارية لطلب الحبشـة من ناحية ثانية (٧٢) ٠

وهكذا أصبح من الواضح أن السياسة الرومانية فشلت فى عهد جوستنيان ، فى مقاومة الاحتكار الفارسى للتجارة العالمية سـواء فى جزيرة سيلان ، أو فى الموانى الفارسية ذاتها ، وكان على رأس هذه السلع التجارية الحرير الصينى ٠

على أن الدبلوماسية الرومانية واجهت موقفـا جديدا فى اليمن ،

---

(٧٠) *Procopius*, Wars I, p. 193, *Bury*, Op. Cit., p. 325 ; I.. Kawar, «Byzantium and Kinda», Byzantinische Zeitschrift, 53 (Munchen, 1960), p. 61.

(٧١) *Procopius*, Wars, I, p. 193; *Malalas*, Op C.it., pp. 457-458; *Ure*, Justinian, p. 67.

(٧٢) *Heyd*, Op. Cit., p. 6; *Holmes*, Op. Cit., p. 412.

عندما استولى أبرهة (٧٣) على السلطة بها ، وفى عهده صارت اليمن تابعة للحبشة من الناحية الاســـمية فحسب ، بعــد أن سلك أبرهة (٥٣٥ ـ ٥٧١ م) سياسة شبه مستقلة عن الحبشة (٧٤) وذلك بعــد فشل الحملات الثلاث التى أرسلها ملك الحبشة للقضـــاء على حكم أبرهة الأمر الذى جعل ملك الحبشة يقبل بسياسة الأمر الواقع ، وبخاصة أن أبرهة تعهد بدفع جزية سنوية اليه (٧٥) ٠

وعندما حاولت الدبلوماسية الرومانية الزج بأبرهة فى حلبـــة الصراع الفارسى الرومانى ، فان جهودها باءت بالفشــــل ، بالرغم من الوعود العديدة التى قطعها أبرهة على نفسه للامبراطور جوستنيان (٧٦) وعلى ذلك لم يعد أمام السياسة الرومانية بالنسبة لليمن فى عهد أبرهة ، سوى العمل على استمالته للمحافظة ، على أمن وسلامة طريق التوابل بين اليمن والشام فى وقت اشتدت فيه الصراعات السياسية والاقتصادية بين الفرس والرومان ، وذلك بعد أن تولت بيزنطة تأمين الجزء الشـــمالى لطريق القوافل عندما منح جوستنيان أبا كارب لقب المشيخة على عرب فلسطين الثالثة ، والذى اســـتطاع بدوره السيطرة على واحتى تبوك وتيماء (٧٧) ٠

وعندما جدد أبرهه ترميم سد مأرب ٥٤٢/٥٤٣ م سارعت الدولة الرومانية بارســـال وفودها للتهنئة ، كما أرسلت الحارث بن جبله أمير الغساسنة ، وكذلك أبو كارب شيخ عرب فلسطين الثالثة ، وسلك الفرس نفس المسلك ، وكذلك حليفهم المنذر الثالث أمير الحيرة (٧٨) ٠

---

(٧٣) ذكرت المصادر العربية أن صراعا على السلطة حدث بين أرياط ، قائد الجيش الحبشى باليمن ، وأبرهة أحد رجاله ، وأن الأخير تمكن من الاستيلاء على السلطة بعــد مبارزة بينهما نتج عنها مقتل أرياط ، واصابة أبرهة ، ولهذا سمى بأبرهة الأشرم ، انظر : **المسعودى** ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٥٢ ، **اليعقوبى** ، تاريخ اليعقوبى ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، **الأزرقى** ، اخبار مكة ، ص ٨٢ ، **ابن الأثير** ، الكامل فى التاريخ ، ج ١ ، ص ٤٣٢ ، **ابن خلدون** ، العبر ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، **الطبرى** ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ٠

(٧٤) *Philby*, The Background of Islam, p. 122

(٧٥) *Procopius*, Wars, I, pp. 191-193.

(٧٦) Ibid, p. 193.

(٧٧) **Kawar**, The Arabs in the Peace treaty of A.D. 561 p. 182.

(٧٨) *Philby*, The Background of Islam, pp. 121-122.

وليس بخاف أن حضور هذه الوفود باليمن ، لم يكن لمجرد التهنئة فحسب ، حيث تحملوا مشقة السفر ، وقطع الصحارى ، الى أن وصلوا الى هذا الجزء من العالم ، وانما يبدو واضـــحا أن الغرض الحقيقى من حضورهم هو الاقتناع بمكانة وأهمية أبرهة نظرا لتحكمه فى هذه المنطقة الخطيرة من العالم فى وقت كان العالم فيه منقسما الى معسكرين معسكر شرقى (الفرس) وآخر غربى (الروسان) ٠

على أية حال ، اذا كان جوستنيان قد نجح نســبيا بفضل الجهود الدبلوماسية فى المحافظة على المصــالح التجارية للامبراطورية فى البحـر الأحمر ، باقامة علاقات طيبة مع شعوبه التى آمنت المسيحية فانه اتبع أسلوبا دبلوماسيا وعسكريا فى البحر الأسود مكنه من تحويله الى بحيرة بيزنطية فى عهده بكل ما فى الكلمة من معنى ، بفضل نضاله المستميت ، ضد الفرس فى لازيقا ، والذين فشلوا فى ايجاد موطىء قدم لهم على ساحل هذا البحر هذا من ناحية ، وبفضل جهوده الدبلوماسية والعسكرية التى مكنته من تحويل شبه جزيرة القرم كلها الى أراضى بيزنطية نظرا لأهميتها الاستراتيجية ٠

حققت دبلوماسية جوستنيان نجاحا جعل شبه جزيرة القرم كلها منطقة تابعة للنفوذ الرومانى فى عهــده ، بعد أن كان قاصرا على مدينتى خرسون Cherson (حاليا سفاستبول) التى تقع فى أقصى جنوب غرب شبه جزيرة القرم ، وكذلك مدينة بوسبورس Bosporus (حاليا كرش)، والتى تقع على مضيق كرش الذى يربط بحر آزوف بالبحر الأسود (٧٩)٠

ويرجع حرص الرومان على تبعية شبه جزيرة القرم لهم الى أهميتها التجارية ، حيث كانت مدينة خرسون بصفة خاصة سوقا عالميا للتجارة ، ومركزا لتجارة الفراء مع أواسط آسيا ، حيث توجد بهــا السلع التى تصدرها الامبراطورية الرومانية من توابل ، وحلى وملابس ، وكذلك مدينة بوسبورس التى تليها فى الأهميــة فى تجــارة البحر الأحمر مع البحـر المتوسط (٨٠) ٠

على أن اهتمام الرومان بمدينة خرسون كان قد زاد فى عهد الامبراطور

---

(٧٩) *Diehl*, Justinien, p. 378.

(٨٠) *Heyd*, Op C.it., p. 11; *Diehl*, Op. Cit., pp. 378-379.

ولويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، (القاهرة ، ١٩٦٠م » ، ص ١٦ ٠

زنيون ، حيث عملت الدولة على زيادة العمران بها (٨١) · وذلك بعد أن انقطعت العــــلاقات بين الامبراطورية ومدينة بورسبوس على اثر غارات الهون عليها ، غير أن شعب هذه المنطقة طلب الحماية الرومانية ، والعودة الى أحضان الامبراطورية فى عهد جوستين (٨٢) ·

ولما كانت المعمودية من الناحية الواقعية ، مرادفة للاعتراف بالسيادة العليـــا للامبراطور جوستنيان ، لذلك نجحت الدبلوماسية الرومانية فى اقناع جرود Girod ملك قبائل الهون الذين كانوا يعيشون فى شـــبه جزيرة القرم بين مدينتى بووسبورس وخرسون ، بالذهاب الى القسطنطينية سنة ٥٢٨ ، حيث تم تعميده هناك ، وعاد محملا بالهدايا ، بعد أن تعهد بالدفاع عن المصالح الرومانية فى شبه جزيرة القرم (٨٣) · بيد أن جهود جوستنيان تجاه جرودأصيبت بنكســـة عندما قام موجيل Mugel شقيق جرود بثورة أطاحت بجرود نفسه وكلفته حياته وحيـاة الحامية الرومانية هناك ، واعلان العودة للوثنية ، لذلك كان من واجب جوستنيان ـ وهو الامبراطور المسيحى ـ أن يستعمل القوة فى اخضاع الهون بشبه الجزيرة ، والانتقام لمقتل الحامية الرومانية ، والمحافظة على المصـــالح الاقتصادية ، والاستراتيجية بشبه الجزيرة ، وهو ما حدث بالفعل على يد قوات ضخمة تمكنت من السيطرة على الموقف بعد أن أشاعت الرعب والذعر هناك (٨٤) ·

ولضمان أمن التجارة فى مدينة خرسون ، ووضع فيها جوستنيان حامية قوية للدفاع عنها ومزودة بأسلحة قاذفة Ballistarii (٨٥) ، [منجنيقات] ·

ولكى يضمن استمرار الأمن وعدم توقف دولاب التجارة فى شبه جزيرة القرم ، فان جوستنيان لم يطلب من أهالى مدينتى بوسبورس وخرسون الضرائب العادية المفروضة على باقى أقاليم الامبراطورية مقابل

---

(٨١) لويس ، نفس المرجع ، ص ١٦ ·

(٨٢) *Procopius, Wars*, 1, pp. 97-99; Cedrenus, Op. Cit., p. 644; *Bury*, Op. Cit., p. 311.

(٨٣) *Malalas*, Op. Cit., p. 431; *Theophanes*, Op. Cit., p. 269; *Cedrenus*, Op. Cit., pp. 644-645 ! *Bury*, Op. Cit., p. 311.

(٨٤) *Procopius* Wars, I, p. 281; *Malalas*, Op. Cit., p. 431; *Theophanes*, Op. Cit., pp. 269-270; *Michel Le Syrien*, p. 182; *Diehl*, Justinien, p. 379; *Stein*, Op. Cit., p. 304, *Bury*, Op. Cit., p. 311.

(٨٥) *Diehl*, Justinien p. 379; *Bury*, Op. Cit., p. 311; *Stein*, Op. Cit., p. 305.

الحماية ، وانما اكتفى بالزامهم بالمساهمة فى الدفاع عن الأسطول التجارى الرومانى الذى كان يعمل فى البحر الأسود ، وشاركتهم لازيقا فى ضريبة السفن هذه بعد أن انضمت الى الامبراطورية (٨٦) • هذا فى الوقت الذى عمل فيه جوستنيان على تقوية دفاعات مدينة بوسبورس (كرش) ، واعادة بناء أسوار خرسون وبناء قلعتين جديدتين فى جنوب شبه الجزيرة ، وبخاصة بعد أن علم ان كسرى أعد جيشا لاحتلال هذه المنطقة المهمة (٨٧) •

واذا كانت سياسة جوستنيان قد حققت مصـالح الامبراطورية فى جنوب شبه الجزيرة الشرقى والغربى ، الا أنه قد حرص أيضا على تبعية الجزء الشمالى من شبه الجزيرة للامبراطورية الرومانيـة ، وذلك باقامة علاقات ودية مع بقايا القوط الذين كانوا يتمركزون حول مدينة دورى Dory على الشـاطىء الساحلى ، وبنى هنـاك أسوارا طويلة فى بعض النقاط التى كانت معرضة للغزو ، بعد أن نجح فى استخدام هؤلاء القوط فى الدفاع عن المصالح الرومانية (٨٨) •

وعلى ضوء ممارسة أسلوب « فرق تسد » الذى كان أحـد مبادىء الدبلوماسية الرومانية ، فان جوستنيان نجح فى ممارسة هذا الاسلوب فى شبه جزيرة تامان Taman المواجهة لمدينـة بوسبورس ــ وبذلك اكتملت سيطرته على شبه جزيرة القرم كلها • ففى شبه جزيرة تامان ــ [المواجهة للجزء الشرقى فى شبه جزيرة القرم والواقعة على مدخل بحر آزوف عند مدينة كرش] ــ عاش شعب قوطى عرف باسم تيتراكسيت Tetraxites ، والذين كانوا تحت رحمة قبائل الأوتيجور Utigurs الذين عاشوا شرقهم مباشرة (٨٩) • كان شعب تيتراكسيت قد اعتنق المسيحية ، ونجحت الدبلوماسية الرومانية فى احضار وفد منهم الى القسطنطينية سنة ٥٤٨م ، لاجراء مقابلة سرية مع جوستنيان ، تمخضت عن تكليفهم بممارسة أساليب كفيلة باثارة القلاقل والفتن والخلافات بين قبائل الهون (٩٠) •

---

(٨٦) *Nov.* 163, p. 348; *Bury*, Op. Cit., p. 311.

(٨٧) *Procopius*, De Bello Gotthico, IV, p. 480; *Ibid*, Buildings, pp. 215-217 ; *Bury* Op. Cit., p. 312; *Dvornik*, Origins of the Intelligence Services, p. 157.

(٨٨) *Procopius*, Buildings, p. 217; *Bury*, Op. Cit., p. 312.

(٨٩) *Procopius*, De Bello Gotthico, IV, p. 553; *Diehl*, Justinien, p. 378; *Bury* Op. Cit. p. 313.

(٩٠) *Procopius*, De Bello Gothico, IV, p. 474 ; *Diehl*, Justinien, p. 379; *Bury*, Op. Cit., p. 312; *Stein*, Op. Cit., p. 305.

امتدت العلاقات الدبلوماسية لتشمل القبائل التى تعيش على السواحل الشرقية للبحر الأسود والتى اعتادت على أن يقوم الامبراطور الرومانى بتعيين حكامها من بين سكانها وأشهرها شعبى زيخ Zichs ، وهيبان Hypanis ، غير أن الشعبين الأخيرين كانت لهما أهمية ضئيلة ٠ أما شمال سلسلة جبال القوقاز مباشرة فقد عاش شعب الألن Alans الذى كانت تربطه بالامبراطورية الرومانية صداقة تقليدية قبل عصر جوستنيان وكذلك شعب سابير Sabirs الذى يلى شعب الألن شرقا (٩١) ٠

على أن اشد الجبهات خطورة والتى أزعجت الامبراطور طوال عصره كانت جبهة الدانوب حيث دأبت القبائل المتبربرة على مهاجمة أراضى الامبراطورية الواقعة جنوب نهر الدانوب ، بل وصلت الى أسوار العاصمة ، وهى قبائل الأنتاى Antae والسلاف Slavs والبلغار Bulgarians الذين تعددت اغاراتهم بغية السلب والنهب والعودة سريعا الى شمال نهر الدانوب (٩٢) ٠ على أن شدة ضراوة هذه الاغارات تكمن خطورتها فى تعريض العاصمة ذاتها للسقوط فى أيديهم ، وهو الأمر الذى تكرر فى الفترة مابين ٥٤٠ ، ٥٥٠ م ٠

فبالرغم من هجماتهم المكثفة فى الفترة مابين ٥٢٩ ـ ٥٣٠ م ، واجتياحهم الأقاليم الواقعة جنوب الدانوب ، فان قادة الجيش تمكنوا من ردعهم فى النهاية ، وأجبروهم على عبور نهر الدانوب شمالا ٠ وان كانت الدولة تكبدت الكثير من الخسائر فى الأرواح ودفعت آلاف الارطال من الذهب فدية للأسرى فى ذلك الحين (٩٣) ٠ على أن جهود الدولة تجاه هؤلاء المتبربرين حققت الأمن لمدة قاربت العشر سنوات ، اذ لم تحدث اغارات على الأقاليم الواقعة جنوب نهر الدانوب حتى سنة ٥٣٩م ٠

غير أن أشد اغارات هذه القبائل خطورة كانت سنة ٥٤٠ م عندما اجتاحوا عدة أقاليم جنوب الدانوب ووصلوا الى السور الطويل للعاصمة بل وشقوا طريقهم عبر هذا السور ناشرين الذعر فى كل أنحاء العاصمة ، ثم عودتهم الى شمال الدانوب بعد أن أخذوا معهم عشرات الآلاف من

---

(٩١) *Procopius*, Wars, 2, p. 533; **Ibid**, De Bello Gotthico IV, pp. 4?3-474; *Zachariah*, Op. Cit., p. 328; *Bury*, Op. Cit., II, p. 313.

(٩٢) *Diehl*, Justinien, p. 218; Zachariah, Les Slaves Byzance et Rome, (Paris, 1926), p. 3.

(٩٣) *Procopius*, Wars, 7, pp. 263-7; *Theophanes* Op. Cit., pp. 338-339; *Malalas*, Op. Cit., p. 437; *Bury* Op., Cit., II, p. 296.

الأسرى (٩٤) ويبدو أن هذه المحنة هي التي دفعت جوستنيان الى أن يأخذ على عاتقه اقامة نظـــام دفاعي من التحصينات القوية حتى لا تتكرر هذه المأساة (٩٥) ٠

واذا كان الغزاة قد حققوا مآربهم ، وعادوا من حيث أتوا ، الا أنه سرعان مادب النزاع فيما بينهم ٠ وهنا لعب جوستنيان دوره التقليدي في العمل على توسيع شقة الخلاف بين تلك القبائل المتنازعة والمتصارعة ٠ اذ سارع جوستنيان بالاتصال بقبائل الانتاى Antae وعرض عليهم الاقامة الدائمة على الجانب الشمالي من دلتا نهر الدانوب ، ومنحهم اعانة مالية سنوية مقابل تصديهم للبلغار والسلاف ، وبذلك صـــارت قبائل الأنتاى حلفاء للامبراطورية (٩٦) ٠

وبالرغم من بناء جوستينيان لسلسلة التحصينات والقلاع ، فان السلاف استطاعوا ســـنة ٥٥٠ م التوغل في أراضي الامبراطورية حتى وصلوا الى السور الطويل مهددين العاصمة ــ بيد أن الجيش الامبراطوري هزمهم في موقعة أدريانوبل Adrianople وأجبرهم على التراجع تاركين خلفهم ما كانوا قد غنموه (٩٧) ٠

تلك كانت غزوات السلاف على عصر جوستنيان والتي كانت بهدف السلب والنهب والعودة سريعا ، كمقدمة لاحتلال أراضي الحدود والاقامة بها بصفة دائمة ، وهو الأمر الذي حدث بعد وفاة جوستنيان بعشرين عاما٠

على أن أخطر وآخر غزوات لقبائل المتبربرة على أقاليم جنوب الدانوب كانت على يـد زابر جـان Zabergan رئيس قبـائل الكوتريجـور Kotrigurs [احدى قبائل الهون] ، والذي قاد بنفسه سبعة آلاف فارس واتجه صوب القسطنطينية لاحتلالها سنة ٥٥٨ م ، بعد أن وجه قسما من جيشه لاحتلال خرسون (سباستيبول) الواقعة جنوب غرب شبه جزيرة القرم باستخدام قوارب صغيرة يسع كل قارب أربعـــة من الرجال فحسب ، وقسما ثالثا من جيشه تجوه صوب شبه جزيرة البلقان .

(٩٤) *Procopius*, Wars, 5, p. 293; *Diehl*, Justinien p. 218, *Bury*, Op. Cit., II, pp. 297-297; P. *Charamis*, «On the Slavic settlement in the Peloponnesus», Byzantinianche Zeitchift, 46 (1953), p. 92.

(٩٥) *Bury*, Op. Cit., p. 297.

(٩٦) *Procopius*, Wars, 7, p. 273; *Stein*, Op. Cit!, p. 522; *Obolensky*, The Byzantine Commonwealth, p. 47.

(٩٧) *Bury*, Op. Cit., p. 298 *Stein*, Op. Cit., pp. 523-525; *Dvornik*, Slaves, p. 4. *Obolenskey*, Op. Cit., p. 45.

غير أن مهارة بليزاريوس العسكرية ... والذى كان الامبراطور قد استدعاه بعد أن صار شيخا هرما ــ وحنكته جعلته يلحق الهزيمة بعدو فاقه عددا وعدة · كما تمكن القائد الرومانى جيرمانوس Germanus من القضاء ستمائة مقاتل من رجال زابيرجان ، وأغرقهم بقواربهم بعد أن تصدى لهم فى معركة بحرية بأسطوله البحرى الذى ضم حوالى عشرين سفينة حربية مزودة بالرجال · كما تصدت القوات الرومانية فى شبه جزيرة البلقان للقسم الثالث من جيش زابيرجان · وبذلك عادت قواته مدحورة الى ما وراء نهر الدانوب · وان كانوا قد استولوا على غنائم كثيرة ، وأحدثوا موجة شديدة من الذعر فى الأقاليم المجاورة للعاصمة حتى اضطرت فئات الشعب من أغنياء وفقراء الى نقل ما يمتلكون الى الشاطىء الأسيوى ، وكذلك فعلت الكنائس التى خشيت على ما بها من كنوز وثروات (٩٨) ·

واذ كانت شجاعة بليزاريوس ، ومهارته العسكرية قد ساعدت الى حد كبير على تحقيق النصر على الأعداء ، وابعاد شبح الحصار الذى خيم على عقول سكان العاصمة بما فيهم الامبراطور نفسه فان الفضل يعود الى جوستنيان فى مسألة القضاء التام على زابيرجان وكل قومه بشكل نهائى ·

ذلك لأن هذا الامبراطور الداهيـة أسرع فى مراسـلة سـانديلك Sandilch ملك قبائل اوتيجور Utigurs [من قبائل الهون] والذى كان على خلاف مع زابيرجان وقومه · وفى نفس الوقت كان سانديلك حليفـا للرومان ويتقاضى الاعانات الماليـة السنوية من الامبراطورية · وتلخصت رسالة جوستنيان الى سانديلك فى أن زابيرجان قد استولى على كميات ضخمة من الذهب من أراضى الامبراطورية ، وأن القوات الرومانية كان فى مقدرتها التصدى لقوم زابيرجان واجبارهم على العودة بخفى حنين · غير أن الامبراطور جوستنيان فضل ارسال هذه الكنوز الى سانديلك عن طريق زابيرجان ، لمعرفة مقدرة سانديلك على التصدى لزابيرجان والحصول على الذهب · وعلى أية حال نجحت خطة جوستنيان الماكرة فى الايقاع بين

(٩٨) *Agathias*, Op. Cit., pp. 301-303; *Malalas*, Op. Cit., p. 490; *Theophanes*, Op. Cit., p. 361; *Diehl*, Justinien, pp. 220-225; *Bury*, Op. Cit., pp. 304-307; *Dvornik*, Les slaves, p. 4; Stein, Op. Cit., p. 536; *Manjlovic*, «Le Peuple de Constantinople», Byzantion, XI, (Bruxelles, 1963), pp. 625-632; *P. Charanis*, «On the Slavic Settlement in the Peloponnesus», Byzantinische Zeitschrift ,46 (1953), p. 92.

القبيلتين وأفنى الطرفان بعضهما البعض وبذلك استفادت الامبراطورية من التخلص من خطرهما جميعا (٩٩) ٠

كانت جهود جوستنيان الدبلوماسية مع الآفار هى آخر جهوده تجاه القبائل المتبربرة شرق وشمال شرق البحر الأسود ٠

فبالرغم من ظهور الآفار على مسرح التاريخ كعنصر جديد من البرابرة شمال بحر قزوين له طموحاته العريضة فان ساروس Sarus ملك قبائل الألن Alans الحليفة التقليدية للرومان استطاع سنة ٥٥٨م ، بالاتفاق مع حاكم لازيقا الرومانى ، اقناع كاندش Candich ملك الآفار بالذهاب الى القسطنطينية فى نفس العام ، حيث قابل الامبراطور جوستنيان مع وفد كبير من شعبه ، حيث أنعم جوستنيان على الوفد الآفارى بالعديد من المنح والهدايا ، والمفروشات والملابس والأساور الذهبية ٠ وجرت مفاوضات على تحقيق كل مطالب الآفار المادية مقابل قيام كاندش ملك الآفار بتنفيذ مطالب جوستنيان وبالفعل حارب الآفار قبائل سابيرى Sabirs وقضوا عليهم ، وحاربوا قبائل أوتيجور Utigors وأخضعوا قبائل الأنتاى Antae بناء على أوامر الامبراطور جوستنيان (١٠٠) ٠

غير أن الآفار قويت شوكتهم بعد أربع سنوات فحسب (٥٦٢ م) ، وبعد أن انتصروا على القبائل المذكورة ، واعتلى عرش الآفار بايان Baian خلفا للملك كاندش ٠ أورسل بايان سفارة الى جوستنيان يلزمه بحق الاقامة داخل أى اقليم من أقاليم الامبراطورية ولما كان حاكم لازيقا الرومانى قد نجح فى أن يستشف نية الغدر والخيانة عند الآفار ، ابان مرور الوفد الآفارى عليه للذهاب الى القسطنطينية لذلك بادر بابلاغ جوستنيان بالموقف ٠ فقابل جوستنيان الدهاء بدهاء أشد ، والمكر بالمكر وتعمد اطالة بقاء الوفد الآفارى بالقسطنطينية وبالغ فى اكرام جميع أفراد الوفد وأعطاهم المنح والهدايا واشتروا ما أرادوا من سلاح من القسطنطينية ،

---

(٩٩) *Agathias*, Op. Cit., p. 330-335; *Menander*, excerpta de Legotionibus Romanorum, p. 345; *Obolensky*, Op. Cit., p. 47; *Diehl*, Byzantium, p. 56; *Franzius*, Op. Cit., p. 99;
Bury, Op. Cit., p. 308; *Stein*, Op. Cit., p. 549.

(١٠٠) *Malalas*, Op. Cit., p. 489; *Menander*, Op. Cit., p. 344; *Bury*, Op. Cit., p. 315; *Stein*, Op. Cit., pp. 542-543.
L. Hautmann, «Les Rapports des Byzantines avec les slaves et les Avares pendant la seconde moitie du VI Siécle» Byzantion, 4 (Paris, 1929), pp. 148--49; *Evagrius*, Op. Cit., p. 425.

بيد انه أصدر تعليماته السرية الى حاكم لازيقا الرومانى بتجريد هذا الوفد الآفارى من سلاحه وكل ما يحمل أثناء مروره على لازيقا فى طريق عودته الى بلاده (١٠١) • ومنذ هذا التاريخ بدا العداء السافر بين الآفار والامبرطورية الرومانية والذى استمر ما يقرب من ستين عاما بعد وفاة جوستنيان •

تلك كانت سياسة جوستنيان تجاه الشعوب التى درج اليونان ومن بعدهم الرومان على تسميتهم بالشعوب المتبربرة •

على أن سياسة جوستنيان تجاه الفرس كانت ذات طبيعة مغايرة لسياسته تجاه الشعوب الأخرى المتبربرة ، ذلك لأن الفرس كانوا شعبا عريقا له حضارته ونظمه وتقاليده وكل مقومات الشعب المتحضر • وقد نظر الفرس بدورهم الى الرومان بنفس المنظار بيد أن وجود حضارتين مختلفتين ومتجاورتين لشعبين عريقين لهما حدود مشتركة ومصالح متبادلة فى غالب الأحوال ، ومتعارضة فى بعض الأحيان ، أدى بالضرورة الى قيام منازعات بينهما ، عولجت فى معظم الأحوال بالأساليب الدبلوماسية وفى بعض الظروف باللجوء الى القتال فى حالة تعذر الوصول الى الحلول الدبلوماسية • وفى كل الأحوال تعود العلاقات السلمية بينهما لاعتراف كل منها بحق الآخر ، فى البقاء بتراثه وحضارته (١٠٢) •

غير أن العلاقات الرومانية الفارسية غلب عليها طابع الصراع ، فى عصر جوستنيان حول مناطق النفوذ ، وبخاصة فى المنطقة القوفازية ذات الموقع الاستراتيجى (١٠٣) ، والتجارى المهم لكل من القوتين العظميين من

---

(١٠١) *Agathias*, Op. Cit., p. 255; *Menander* Op. Cit., p. 345; *Evagrius*, Op. Cit., p. 425; *Bury*, Op. Cit., p. 317; *Stein*, Op. Cit., pp. 544-545; *Hauptmann*, Op. Cit., p. 149.

(١٠٢) *Procopius*, Buildings, p. 147, *Ure*, Op. Cit., p. 60.

(١٠٣) المنطقة القوفازية هى الأراضى الواقعة جنوب جبال القوقاز مباشرة • وتمتد من بحر قزوين شرقا الى البحر الأسود غربا ، وبها منحدرات القوقاز ثم وادى كيروس Cyrus فوادى فازيز Phasis وكان يسكنها الألبانيون Albanians ، والايبيريون Iberians والشعب اللازى Lazi or Colchians • وهى الأقاليم التى تعرف حاليا ، باقاليم آزربيجان Azerbaijan ، وشرق القوقاز Trancausia ، وجورجيا Georgia • وشكلت شعوب هذه المنطقة دولا حاجزة فى مواجهة قبائل الهون الممتدة شمال جبال القوقاز حتى بحر آزوف Azov غربا لحماية الفرس والرومان على حد سواء ، هذا من ناحية كما أنها قامت بنفس الدور لحماية الرومان من الفرس والعكس صحيح من ناحية ثانية ، انظر :

Procopius, wars, 2, pp. 284-387; *Agathias*, Op. Cit., p. 104; *Stein*, Op. Cit., p. 267; *Vasiliev*, Justin, pp. 258-259; *Ure*, Op. Cit., pp. 63-64.

ناحية ، ومحـاولات جوستنيان التخلص من الاحتكار الفارسى للتجـارة وطرقها مع الشرق بحكم موقعها الجغرافى من ناحية ثانية ٠

فحالة الهدوء المشوب بالحذر بين الرومان والفرس منذ عقد معاهدة سلام سنة ٥٠٥ م ، تحولت الى حرب باردة ، تلتها حرب ساخنة ، بسبب نجاح الجهود الدبلوماسية الرومانية المبنية على مناهضة النفوذ الفارسى فى المنطقة القوقازية وبخاصة بعد أن تحول عدد كبير من سكان كل من ابيريا ولازيقـا الى المسيحيـة بما فيهـم ملكى هذين الاقليمين ، وذهاب كل منهما الى القسطنطينيـة اعـلانا للولاء للامبراطـور الرومانى عامى ٥٢٢ ، ٥٢٣ م (١٠٤) ٠

على أن الامبراطورية الفارسية لم تقبل السكوت على هذا التحول فى المنطقة القوقازية ، وهى التى حرصت منذ سيطرت الأسرة الساسانية على السلطة ، على أن تكون الممرات القوقازية تحت سيطرتها ، وأن تلزم الرومان معها فى التعاون بالأموال لحماية هذه الممرات (١٠٥) ٠ لذلك سارع الفرس باتخاذ الاجراءات المضادة انتقاما من الرومان ، ولاسـيما بعد أن أعلن الرومان رفضهم دفع الاعانة السنوية التى كان يدفعها أنستاسيوس منذ سنة ٥٠٥ م والتى كان مقدارها خمسمائة رطل من الذهب سنويا (١٠٦) ٠

وبهدف استعادة الفرس سيطرتهم على اقليمى ابيريا ولازقا استعان الفرس بزيليجيبز Ziligibis ملك الهون البيض وقدم اليه الأموال للتعاون معه ، والذى أعد جيشا مزودا بالسلاح قيل أنه بلغ عشرين ألف مقاتل (١٠٧) ٠

---

(١٠٤) *Chronicon Paschale*, pp. 713-614; *Malalas*, Op. Cit., p. 413; *Cedrenus*, Op. Cit., pp. 638-639; *Lebeau*, Histoire, 8, pp. 39-42; *Diehl*, Justinien pp. 377-384; *Ibid*, Le Monde Orientale, p. 52; *Holmes*, Op. Cit. p. 311; *Vasiliev*, justin, p. 269; Toumdnoff, «Iberia6, Le Museon, 65, (1952), p. 31.

(١٠٥) الواقع أن مشكلة حماية ممر جبال القوقاز ٠ والمعروف حاليا باسم ممر داريال Darial مشكلة قديمة وتعود الى عهد الاسكندر الأكبر الذى أغلق هذا الممر الضيق بالحواجز الحديدية ليأمن خطر البرابرة ٠ وظل هـذا الممر تحت سيطرة الاغريق فالرومان منذ ذلك الحين ٠ بيد أنه انتقل الى السيادة الفارسية ، مع الزام الرومان بالتعاون بالأموال مقابل تحمل الفرس مسئولية الحمـاية وحدهم بجيوشهم منذ معاهدة ٣٦٣م ، على أثر هزيمة جوليان : ــ انظر
Procopius, Wars, I, pp. 79-83; *Holmes* O.p. Cit., p. 311.

(١٠٦) *Zachariah*, Op. Cit., p. 206; *Holmes*, Op. Cit., p. 311.

(١٠٧) *Malalas*, Op. Cit, pp. 414-415; *Chron.* Pasc. p. 61.5.

غير أن الدبلوماسية الرومانية نجحت فى فض هذا التحالف الخطير ، بل وفى القضاء التام على زيليجبيز نفسه ومعظم جيشه ، وذلك باتباع عمل سياسى من شأنه توريط زيليجبيز ، واتهامه بالنفاق حيث سارع الرومان بالاتصال به بمجرد علمهم بلقـائه مع الفرس ، وأعطوه بدورهم أموالا بغية التعاون معهم • هذا فى الوقت الذى سارعوا فيه بابلاغ الفرس بموقف زيليجبيز ، فما كان من الفرس الا ان قتلوا زيليجبيز ولم ينج من جيشه الا من استطاع الفرار (١٠٨) •

والواقع أن هذا التصرف السياسى من قبل الرومان كان أحد العناصر الرئيسية للدبلوماسية الرومانية ، حيث أن هذا العنصر قام على ممارسة الدس والشـــقاء بين الأعداء ، وخلق مشاعر الغيرة والحسد والضغينة واثارة بعضهم على بعض •

على أية حال نجحت السياسة الرومانية فى القضاء على خطر الهون البيض هذا من ناحية ، وفى تخفيف حدة التوتر بينهم وبين الفرس من ناحية ثانية (١٠٩) • حيث لجأ الفرس على أثر تلك الحادثة الى الاسلوب الدبلوماسى لمحاولة علاج الموقف فى المنطقة القوقازية بل ومحاولة الحصول على موافقة جوستين ، على أن يكون وصيا على كسرى الابن الأصغر لقباذ ملك الفرس • غير أن المفاوضات منيت بالفشل لاصرار الوفد الفارسى على عودة لازيقا للسيادة الفارسية ، ولاصرار الوفد الرومانى على ان يكون التبنى أو الوصـــاية وفقـــا للأسلوب الذى يتبعه الرومان مع القبـــائل المتبربرة (١١٠) •

كان فشل المفاوضات الرومانية الفارسية سنة ٥٢٥ م بمثابة لطمة شديدة لقباذ وولده كسرى ، لذلك ســـارع الفرس باحتـــلال لازيقا بعد احتلالهم لاقليم ابيريا ، بعد أن تذرع كسرى بتأديب ملك ابيريا لرفضه التمسك بتعاليم الديانة الزرادشتية (١١١) لذلك كان احتلال الفرس

---

(١٠٨) *Malalas*, Op. Cit., p. 415; *Chron. Pasc.* pp. 615-616; *Stein*, p. 267; *Vasiliev*, Justin p. 264.

(١٠٩) *Chronicon Paschale*, p. 616.

(١١٠) *Procopius*, Wars, I, pp. 83-85; *Zachariah*, Op. Cit., p. 206; *Lebeau*, Histoire., 8, pp. 31-34; *Ure*, Op. Cit., p. 63.

وكريستنسن ، ايران فى عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، ص ٣٤١ ، والثعالبى ، تاريخ غرر السير ، ص ٥٩٤ •

(١١١) *Procopius*, Wars, I, p. 93; *Lebeau*, Histoire 8, pp. 41-42; *Holmes*, Op. Cit., p. 316; *Bury*, Later Roman Empire, 2, p. 80; *Stein*, Op. Cit., p. 270.

لاقليمى لازيقا وابيريا ــ يعنى قيام الحرب بين القوتين العظميين ذلك لأن وجود قوات فارسية فى لازيقا يعطى الفرس الفرصة للتسلل الى البحر الأسود ، وتهديد الأقاليم الرومانية الواقعة على الساحل الجنوبى لهذا البحر بل وتهديد العاصمة الرومانية نفسها .

لذلك هاجمت القوات الرومانية أراضى أرمينيا الفارسية تحت قيادة سيتاس Sittas وبليزاريوس (١١٢) ، بيد أن السياسة الرومانية لم يكن هدفها احتلال الأراضى التابعة للفرس ، وانما مجرد اظهار المقدرة على الرد على العدوان بالمثل ذلك لأن القوات الرومانية لم تحتل أرمينيا الفارسية مقابل احتلال الفرس لاقليم لازيقا ، وانما اكتفت بالاغارة الخاطفة والعودة سريعا بالغنائم والأسرى (١١٣) .

انتقلت الجيوش الرومانية للعمل على الحدود الشرقية المجاورة للفرس وعملت على تقوية الحصون والتحصينات هناك ، ودخلت قوات بليزاريوس فى معارك هجومية غير أنها منيت بالفشل الأمر الذى جعلها تتخذ موقفا دفاعيا فى مدينة داراحتى سنة ٥٢٩ (١١٤) .

---

(١١٢) ولد بليزاريوس سنة ٥٠٥م ، وهو من أهالى اقليم ايلليريا Illdyricum وعمل فى بداية حياته ضمن الحرس الشخصى لجوستنيان عندما كان قائدا عاما للجيش فى حياة خاله . واظهر بليزاريوس مهارة فائقة فى استخدام الرمح ابان فترة تبعيته لحرس جوستنيان . وكان احتفاظ جوستنيان بحرس شخصى تقليدا لما كان متبعا فى حينه ، حيث درجت الشخصيات الكبرى على الاحتفاظ بعدد من الجند ، بخلاف القوات النظامية للدولة ، واختلف عددهم طبقا لمكانة المسئول عنهم ، وكانوا جميعا من الخيالة الذين يحملون التروس والرماح . ومعظم هذا الحرس لم يكن قاصرا على سيدهم المسئول عنهم فحسب ، وانما كانوا يقسمون يمين الولاء لسيدهم والامبراطور وجرت العادة الى مجالسة سيدهم لهم عند تناول وجبات الطعام وهم الذين عرفوا باسم الخيالة البوكليريان The mounted Buccellarian [نسبة الى buccellum . أى الخبز الجاف لأنهم كانوا يخدمون مقابل جراياتهم] . ويرجع تالق نجم بليزاريوس الى نجاحه فى مهاجمة ارمينيا الفارسية ، بالرغم من أنه كان فى العشرين من عمره ، حيث عاد ومعه آلاف من الأسرى . الأمر الذى جعل جوستنيان يركن اليه كقائد له المقدرة على تنفيذ المهام العسكرية بنجاح ، انظر :

Procopius, The secret History, p. 19, *Ibid*, Wars, 1, p. 1, p. 101, 3; p. 107, *Lindsay*, Op. Cit., p. 134! *Baker*, *Justanian*, Op. Cit., p. 79.

ونورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧٣ .

(١١٣) *Procopius*, wars, I, I, p, 93, *Holmes*, Op. Cit., p. 316; *Bury*. Op. Cit., 80; *Stein*, Op. Cit., p. 271.

(١١٤) *Procopius*, Wars, I, pp. 103-107; *Malalas*, Op. Cit., pp. 441-442; *Zochariah*, Op. Cit., pp. 273-274; *Michel Le Syrien*, Op. Cit. p. 287.

على أن جوستنيان فى ذلك الحين كان يفكر جديا فى تحقيق سياسته الاستردادية للقسم الغربى من الامبراطورية ، لذلك لم يكن راغبـا فى مواصلة الحرب مع الفرس سواء فى الجبهة الشرقية المشتركة بين القوتين العظميين أوفى المنطقة القوقازية • وعلى ذلك بادر بطلب اجراء مفاوضات سلام مع الفرس فى منتصف سنة ٥٢٩ م (١١٥) • وهنا لعبت الجهـود الدبلوماسية دورا هاما حيث أظهرت الرسائل المتبادلة بين قباذ وجوستنيان أن نظرة الفرس الى الرومان كانت نظرة الند للند ، وأن هناك عدو مشترك للقوتين العظميين ، وهم القبائل المتبربرة الذين أنهكوا الخزانة الفارسية ، وأن رفض الرومان التعاون مع الفرس ماديا لصد تلك القبائل كان السبب الرئيسى فى دخول الحرب ضد الرومان ولاجبارهم على المشـاركة المادية فحسب ، ولم يكن هنـاك تفكير فى ضم أراضى جديدة على حسـاب الرومان (١١٦) •

وبالرغم من أن رسالة قباذ احتوت على عبارات التهديد والوعيد ، والصلف والتعالى فان جوستنيان ، قبل الاستمرار فى التفاوض بل أنه هرول تجاه الحل السلمى لانهاء الصراع مع الفرس لأن قلبه وعقله ، فى ذلك الحين كان معلقا بالغرب ، باعتبـاره امبراطورا رومانيـا بالقلب وبالقالب • لذلك رد على رسالة قباذ برسالة عبر فيها عن تلهفه لاتمام اجراءات السلام ، بعد أن بلع كبرياءه ، اذ لم يرد فى رسالة جوستنيان

---

(١١٥) Theophanes, Op. Cit., p. 274; Holmes, Op. Cit., p. 396; Stein Op. Cit., p. 287.

(١١٦) جاء فى رسالة قباذ ردا على مبادرة جوستنيان للسلام ، « من قباذ ملك الملوك شمس الشروق الى فلافيوس جوستنيان القيصر قمر المغرب ، لقد ثبت لدينا بعد مطالعة ما فى خزانة دولتنا من وثائق ، أننا أخوة ، وأنه اذا احتاج أى منا الى رجال أو مال ، فعلى الطرف الآخر نجدته • لقد تعرضنا الى هجمات العدو ، وأجبرنا على الاشتباك معه فى معارك ، وجعلنا البعض الآخر من الأعداء يعترفون بسيادتنا لقاء مبالغ من المـال ، ولذلك فان خزانتنا أصبحت خاوية • أضف الى ذلك أننا أبلغنا الامبراطور أنستاسيوس والامبراطور جوستين بذلك دون جدوى • وقد اضطررنا فيما بعد الى دخول المعركة ضدكم • ولما وصلنا الى مقربة من حدودكم قضينا على بعض من قاومنا ، مع أنهم أبرياء • وذلك نتيجة لعدم محافظتكم على العهد ، فارحموا أيها النصارى رجالكم وادفعوا لنا بالأموال ، والا فاستعدوا للحرب ، وسنمهلكم عاما كاملا حتى لا يقال اننا أحرزنا النصر بالخديعة » انظر :

Malalas, Op. Cit., pp. 449-450.

أى شىء عن الحرب الدائرة ، بل أنه أشار فى رسالته أنه اعطى تعليمات للوفد الرومانى بعدم عرقلة مفاوضات السلام مع الفرس (١١٧) ٠

غير أن مفاوضات السلام توقفت فجأة وكان المسئول عن ذلك الجانب الفارسى الذى تذرع بضرورة عودة منجمين للذهب يقعان على الحدود بين أرمينا الفارسية وأرمينيا الرومانية ، وكان الامبراطور انستاسيوس ، قد استولى عليها ، بينما يعود هذا التوقف الى جهود السامريين الذين أغروا قباذ باحتلال فلسطين على أثر فشـــل ثورتهم ضد جوستنيان ـ بعد أن أوضحوا لقباذ ان الكنائس فى فلسطين بها كنوز لاتحصى من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وأنهم على استعداد للتعاون معه لاحتـــلال فلسطين بسهولة (١١٨) ٠

وهكذا نجح السامريون فى عرقلة جهـــود الســلام بين القوتين العظميين ، وفى الانتقام لأنفسهم من الرومان الذين اضطهدوهم فى فلسطين سنة ٥٢٩ م ٠

ولما كان بلزاريوس قد تحصن فى مدينة دارا التى حولها الى قلعة عسكرية قوية ، لذلك كان على الفرس تأمين حدودهم بالدخول فى معركة هجومية ضد بليزاريوس ، غير أن نتيجة هذه المعركة كانت فى صـــالح الرومان ولم يتمكن الفرس من هزيمة الرومان واقتحام دارا ، بفضل مهارة بليزاريوس العسكرية التى تجلت فى هذه المعركة التى دارت فى الأراضى الرومانية فى شهر يونيو ٥٣٠ م (١١٩) ٠

وبالرغم من النصر العسكرى الذى حققه جوستنيان على الفرس فانه

---

(١١٧) من بين ما جاء فى رسالة جوستنيان إلى قباذ : « ان المندوبين الذين ارسلناهم اليكم أبلغونا عند عودتهم عن حسن نواياكم الأبوية نحونا ٠ ونحمد الله على اتمام هذا العمل بفضله ، فالسلام سيعود علينا بالنفع والخير ٠ ومن الواضح ان السلام أمر بالغ الأهمية ، ويستحق ان نشكر الله عليه ، وسيؤدى الى القضاء على أعدائنا جميعا ٠ وسنزود مندوبنا اليكم بكل ما يلزم لوضع اجراءات السلام موضع التنفيذ ، وأملنا أن نحظى بمحبتكم على الدوام » ٠ انظر :

Malalas, Op. Cit., pp. 454-455.

(١١٨) *Theophones*, Op. Cit., pp. 274-275; *Malalas*, pp. 455-456; *Lebeau*, Histoire, 8, p. 130-131; *Bury* Op. Cit., p. 82.

(١١٩) للوقوف على تفاصيل معركة دارايونية ٥٣٠م انظر :

Procopius, Wars, 1, pp. 105-127; *Zachariah*, Op. Cit., pp. 224-5; *Theophanes*, Op. Cit., pp. 277-278; *Lebeau*, Histoire, 8, pp. 131-137; *Holmes*, Op. Cit., pp. 396-402; *Diehl* Justinian, pp. 211-212; *Bury*, Op. Cit., pp. 83-85; *Stein*, Op. Cit., pp. 287-289; *Ure*, Op. Cit., pp. 65-66.

كان يتوق الى انهاء حالة الحرب معهم للاسراع فى ارســـــال قواته الى شمال أفريقيا للقضاء على الوندال • غير أن الفرس كانوا فى غاية الغضب، لذلك احتد قباذ فى محادثاته مع السفير الرومانى ، الذى أرسله جوستنيان ووضع عدة شروط منها أن تكون مدينة دارا منطقة منزوعة السـلاح ، وضرورة تقديم الرومان المساعدات المالية للفرس لحماية الممرات القوقازية• ويبدو أن قباذ قد بيت النية على محاربة الرومان لأنه طرد السفير الرومانى دون التوصل الى اتفاق (١٢٠) •

على أية حال استطاع الفرس مسح عار الهزيمة ، وخاضوا معركة ضد بليزاريوس قرب مدينة الرقة Callinicum فى التاسع عشر من أبريل سنة ٥٣١ م • حيث هزموا بليزاريوس بالرغم من فداحة الخسائر لدى الطرفين (١٢١) •

على أن استئناف مفاوضات السلام بين الفرس والرومان حدث فى وقت كان فيه الفرس يحاصرون مدينة ماريتوروبوليس Martyropolis (ميافارقين) ، وبعد وفاة قباذ مباشرة وتولية كسرى للعرش الفارسى بناء على وصية والده ، بالرغم من انه كان الابن الثالث لقباذ ، وذلك فى الثامن من سبتمبر ٥٣١ م (١٢٢) •

على أية حال استغرقت مفاوضـــات الســلام عاما ، الى أن توصل الطرفان الى وضع شروط معاهدة السلام « الدائم » فى شـــهر سبتمبر سنة ٥٣٢ م ، والتى أملى فيها الطرف الفارسى شروطه ، التى نصت على أن تكون مدينة دارا الرومانية ، منزوعة السلاح ، وعودة مناجم الذهب فى أرمينيا الرومانية الى السيادة الفارسية ، والتى تقع على حـــدود أرمينيا الرومانية ، وعودة قلعتى بولون Bolon ، وفارانجيون Pharangion اللتان تقعان على حدود أرمينيا الرومانية الى السيادة الفارسية وأن يدفع الرومان أحد عشر ألف رطل من الذهب سنويا ، مقابل حمـــاية الفرس للممرات القوقازية ، وأن تكون أيبريا تحت سيطرة الفرس ، مع عودة لازيقا للسيادة الرومانية (١٢٣) •

---

(١٢٠) *Porcopius*, Wars, I ,pp. 141-145.

(١٢١) *Procopius*, Wars, I, p. 169; *Zachariah*, Op. Cit., p. 226; *Holmes*, Op. Cit., pp. 405-407, *Stein* Op. Cit., pp. 291-292.

(١٢٢) *Procopius*, Wars, I, pp. 195-197; *Zachariah*, Op. Cit., p. 230; *Lebeau*, Histoire, 8, pp. 169-170; *Stein* Op. Cit., p. 294.

(١٢٣) *Procopius*, Buildings, pp. 133-135; *Lebeau*, Histoire, 8, pp. 176-178, *Diehl*, Justinien, p. 211; *Holmes*, Op. Cit., p. 416; *Stein*, Op. Cit., pp. 294-195.

والواقع أن هذه المعاهدة مست السيادة الرومانية ، اذ ان اشتراط الفرس بأن تكون مدينة دارا منزوعة السلاح ، وهو بمثابة انتقاص من سيادة الرومان على أراضيهم ، لاسيما وان هذه المعاهدة لم يرد بها شيء عن وجود منطقة منزوعة السلاح على الجانب الفارسي ، كما أن المبلغ الذى أصبحت بيزنطة ملزمة بدفعه سنويا كان باهظا ، اذ انه زاد عن المبلغ الذى حددته معاهدة أنستاسيوس مع الفرس بعشرين مرة .

ولاشك ان جوستنيان قبل بكل هذه الشروط ولاسيما الجانب المالى لأنه كان متلهفا الى ارسال حملة لتأديب الوندال هذا من ناحية ، كما أنه كان حريصا على عودة لازيقا بموقعها الاستراتيجى المهم فى ناحية ثانية ، وبعد أن اقتنع بأنه لاقبل له على مواصلة الحرب ضد الفرس وحلفائهم من قبائل الهون ، الذين أحدثوا الدمار والخراب ، فى الأقاليم الشرقية من الامبراطورية ، والقريبة من الحدود الفارسية من ناحية ثالثة .

على أن معاهدة السلام الدائم لم يكتب لها البقاء سوى سبع سنوات حقق خلالها جوستنيان العديد من الانجازات السياسية الضخمة فى الشرق والغرب على حد سواء الأمر الذى جعل كسرى يرى ضرورة المبادرة بتوجيه ضربة موجعة لجوستنيان ، بعد أن أشارت كل الدلائل بأن الامبراطورية الفارسية ذاتها أصبحت معرضة للخطر اذا ما ظل الفرس يرقبون ما يجرى على الساحة دون حراك .

فعلى الرغم من توقيع معاهدة السلام الدائم مع الفرس ، وما توقعه القادة والجنود الرومان من الحصول على فترات من الراحة من عناء الحرب فان جوستنيان كان قد أخفى فى جعبته قرارا بارسال حملة عسكرية لتأديب جليمر Gelimer (٥٣٠ ـ ٥٣٤ م) ملك الوندال الذى تبادل الرسائل العدائية مع الامبراطور ، بعد أن اضاع جليمر هذا جهود جوستنيان الدبلوماسية الناجحة مع هلدريك Hilderic (٥٢٣ ـ ٥٣٠م) ملك الوندال الذى سجنه جليمر وسمل عينى اثنين من كبار أعوانه ، على أثر اكتشاف جليمر أن هليدريك يسير فى طريق التبعية للامبراطورية الرومانية بخطوات عملية تمثلت فى تبادل الوفود والسفارات والهدايا وفى اعتناق هيلدريك للمذهب الكاثوليكى (١٢٤) .

---

(١٢٤) *Procopius*, Wars, 3, pp. 85-89; *Martroye*, L'Occident à l'Epoque Byzantine, (Paris, 1904), pp. 215-226.

كان جوستنيان قد استشاط غضبا عندما قرأ آخر رسالة أرسلها جليمر له حيث ورد بها ، « من الأفضل لك أن تتولى شئون مملكتك دون تدخل فى شئون الآخرين بأسلوب تطفلى ، واذا ما حاولت انتهاك المعاهدة وتهاجمنا فاننا سوف نتصدى لك بكل قوانا » ، انظر : *Procopius*, Wars, 3, p. 91.

على أية حال نجحت حملة بليزاريوس ضد الوندال سنة ٥٣٣ م ، وقضى على دولتهم وزالت من صفحة التاريخ • وعاد هذا القائد المقتدر الى القسطنطينية ومعه جليمر أسيرا سنة ٥٣٤ م (١٢٥) •

على أن ما يعنينا فى هذا الأمر أن كسرى أصابه شىء من الحقد والقلق والتخوف على أثر ابلاغه بنجاح جوستنيان فى استرداد شمال أفريقيا ، لذلك أرسل اليه يبلغه بضرورة ارســـال نصيبه فى الغنائم الضخمة التى حصل عليها جوستنيان من الوندال • اذ اعتبر كسرى نفسه شريكا كاملا ، فى تحقيق هذا الانتصار لسماحه لجوستنيان بعقد معاهدة السلام الدائم التى أتاحت له فرصة تأمين الجبهة الشرقية ونقل الجنود لفتح شمال أفريقيا • فما كان من جوستنيان الا الانصياع لطلب كسرى وأرسل اليه مبلغا كبيرا من المال على سبيل الهدية لمحاولة كسب رضـاء كسرى (١٢٦) •

ويبدو أن ارسال جوستنيان هذه الأموال ، التى كانت على سبيل الهدية كان لتحقيق هدف آخر ، الا وهو مطالبة كسرى باغماض عينيه عن نجاح جهود جوستنيان الدبلوماسية فى اقليم ابيريا • وذلك لأنه فى نفس السنة التى احتفل فيها جوستنيان بالانتصار على الوندال ، ذهب الى القسطنطينية زامانازوس Zamanazus ملك ابيريا ، الذى كان يدين بالمسيحية ، وكبار رجال دولته بهدف « اعادة عرى الصداقة والتحالف مع الرومان » حيث استقبله جوستنيان وغمره والوفد المرافق له بالهدايا والمنح الخاصة (١٢٧) ولاشـك أن اعادة التحالف بين ابيريا وبيزنطـة

---

(١٢٥) تم عرض كل الغنائم التى استولى عليها بليزاريوس من حملته ضد الوندال ، فى عرض انتصار Triumph ، حيث سار بليزاريوس على قدميه من منزله الى ميدان سباق الخيل ، حتى وصل الى المنصة التى بها جوستنيان وعرضت الغنائم : عروش من الذهب ، عربات خاصة بالملوك وزوجاتهم ، والعـــديد من المجوهرات المطعمة بالأحجار الكريمة ، والأوانى الذهبية ، وادوات مائدة الطعام الذهبية ، وسبائك الفضة ، والكثير من الكنوز التى كان جزريك قد سلبها ابان اغارته على روما • واشتمل العرض على بعض الأسرى من قادة الوندال ، وعلى رأسهم جليمر نفسه ، الذى قام الحرس الامبراطورى بتجريده من زيه الأرجوانى عندما اقترب من منصة الامبراطور ، وأجبره الحرس على الركوع ، ثم السجود للامبراطور وكذلك ركع وسجد بليزاريوس للامبراطور ، انظر :
Procopius, Wars, 4, pp.. 279-283.

(١٢٦) لم يحدد بروكوبيوس مقدار هذا المبلغ ، انظر :
Procopius, Wars, I, p. 253.

(١٢٧) *Malalas*, Op. Cit., 429; *Theophanes*, Op. Cit., p. 336; Lebeau, Histoire, 8, pp. 282-283.

يناقض شروط معاهدة السلام الدائم التى نصت على أن تكون ابيريا خاضعة للسيادة الفارسية ٠

واذا كانت المصادر الرومانية لم تذكر شيئا عن رد الفعل لدى كسرى بخصوص ملك ابيريا وتحالفه مع الرومان ، فان الباحث يتوقع حدوث شعور بالأسى عند ملك الفرس من جراء ذلك ٠ ولابد ان كسرى شعر بالمرارة عندما علم بتآمر جوستنيان ضده ، عن طريق دفع الأموال الى قبائل الهون للاغارة على الأراضى الفارسية (١٢٨) وأدهى من ذلك وأمر وقوع خطابات فى يد كسرى تدين جوستنيان بمحاولة استمالة أمير الحيرة - والصديق الوفى للفرس - الى الرومان ومعادة الفرس (١٢٩) ٠

وبالرغم من أن معاهدة السلام الدائم قد نصت على أن تكون مدينة دارا منزوعة السلاح وان ينتقل منها دوق اقليم ما بين النهرين الى مدينة القسطنطينية ، فان هذه المعاهدة لم يرد بها شىء عن اقامة التحصينات الدفاعية سواء فى تلك المدينة أو فى غيرها من الأماكن التى درج الفرس على مهاجمتها لقربها من أراضيهم ٠ لذلك أصبح من حق جوستنيان اقامة ما شاء من التحصينات فى دارا نفسها ، وهى المنزوعة السلاح ، أو فى غيرها ٠

وهو الأمر الذى استغله جوستنيان على أكمل وجه (١٣٠) ، والذى على مايبدو للباحث كان أحد أسباب اعتقاد كسرى بأن جوستنيان يخطط لأعمال عدوانية ضد الفرس والا فما هو الدافع الذى جعل الفرس يضعون شرطا فى معاهدة السلام التالية (معاهدة سلام الخمسين عاما - سنة ٥٦٢م) ينص عن الامتناع عن اقامة أو تقوية أسوار المدن حتى لايكون ذلك ذريعة لتجدد اى منازعات قد تطيح بمعاهدة السلام (١٣١) ؟

---

(١٢٨) *Procopius*, Wars, 2, p. 249; *Ibid*, Buildings, p. 163, *Idem*, The Secret History, p. 50.

(١٢٩) *Procopius*, Wars, 2, pp. 281-283; *Stein*, Op. Cit., p. 486.

(١٣٠) اقام جوستنيان تحصينات دفاعية قوية عالية زاد ارتفاعها عن ثلاثين قدما من أحجار صلبية من النوع الذى يستخدم فى الرمى للتصدى لهجمات الفرس بفيلهم الضخمة ، وقواعدهم التى تحملها تلك الفيلة ، الكثيرة العدد ، حول مدينة دارا ، وآمد فضلا عن اثنى عشرة قلعة بين المدينتين السابقتين هذا بالاضافة الى العديد من القلاع الأخرى ، تدمر ، والرصافة ، وأنطاكية ، وقنسطنطينية ، وقرقسياء ، والرها وغيرهم ٠ هذا بالاضافة الى تقوية التحصينات التى بارمينيا الرومانية ، انظر :
Procopius, Buildings, pp. 191-201.

(١٣١) انظر نصوص معاهدة السلام الدائم سنة ٥٣٢م ، ومعاهدة سلام الخمسين عاما ، سنة ٥٦٢م ، بالملحق ٠

والواقع أن تلك الأسباب كافية لاتهام جوستنيان بأنه خرق معاهدة السلام الدائم هذا اذا ما أضفنا اليها النجدات العاجلة التى عبرت عنها شعوب أرمينيا الرومانية ولازيقا وايطاليا : فأرمينيا الرومانية تحولت الى بركان هادر أطاح بروءوس ثلاثة من كبار القادة الرومان على التوالى على يد الثوار من أهالى أرمينيا الرومانية الذين ثاروا ضد تشريعات جوستنيان عامة ، والاعباء المالية الجديدة التى فرضها عليهم خاصـــة ، واستعمال جوستنيان ، أسلوب القمع مع شعب اشتهر بحبـــه للقتال • واثارة الاضطرابات والدهاء والتمرد على السلطة (١٣٢) كما أرسل شعب لازيقا وفدا الى كسرى يعلنون انضمامهم له ويطالبونه بتخليصهم من الاحتكار الاقتصادى الرومانى ، الذى فرضته عليهم السياسة الرومانية ، وبخاصة أنهم كانوا شعبا فقيرا يعيش على الكفاف ، اذ ان أراضيهم لاتنتج قمحـا أو عنبا ، ويقايضون انتاجهم من الجلود المدبوغة وغير المدبوغة والرقيق بالمواد الغذائية • وأوضحوا لكسرى أنه اذا وضع يده على بلادهم ، فانه فى استطاعته ان يسيطر على البحر الأسود ، وأن يقيم علاقات مع قبائل شمال جبال القوقاز ، بل وتصبح القسطنطينية ذاتها تحت رحمته (١٣٣) • وابان مقاومة فيتينجيز Vittingis القائد القوطى بايطاليـــا لجيش بليزاريوس أرسل رسالة الى كسرى يوضح فيها خطورة السكوت على جوستنيان ، ويطالبه بشن حرب وقائية ضد الرومان ، « •• لايمكن أن تترك بلادك وكل شعبك تحت رحمة جوستنيان ، لأنه أصبح معروفا أن جوستنيان شخص متعطش للسيطرة وحب التملك ، وليس على استعداد أن يلتزم بأى نظام • اذ قد أصبح عبدا للرغبة الملحة فى السيطرة على كل العالم وأصبح مولعا بأن يكون ملكا ومسيطرا على كل الدول •• وانه لمن الأفضل أن يسبق المرء خصمه فى احباط محاولاته حتى يعيش فى أمان قبل أن ينتظر الساعة التى يكون فيها تحت رحمة أعدائه (١٣٤) •

على أية حال ، حرض كسرى ملك الفرس المنذر الثالث أمير الحيرة على الدخول فى منازعات بشأن تبعية قطعة الأرض الواقعـــة بين تدمر ودمشق والتى كانت مرعى للماشـــية ، وأدت هذه المنازعات الى قيـــام

---

(١٣٢) *Procopius*, Wars, 2, pp. 279-283; *Lebeau*, Histoire 8, pp. 444-446; *Holmes*, Op. Cit., p. 585; *Charanis*, «Armenians and Greeks in the Byzantine Empire», in Armenian Review, 25 (Boston, 1972), pp. 28-30.

(١٣٣) وانظر الفصل الثالث للوقوف على تشريعات جوستنيان تجاه ارمينيا الرومانية •

(١٣٤) *Procopius*, *Wars*, 2, pp. 265-269.

حرب بين المناذرة والغساسنة بالرغم من محـــاولات جوستنيان لمعالجة الموقف بالطرق الدبلوماسية (١٣٥) ٠

على أن كسرى كان قد عقد العزم على فرض ارادته على جوستنيان ، وضرب قواته فى المدن القريبة من الحدود الفارسية ، واحتلال المنطقة القوقازية ، وطرد الرومان ، ومحـــاولة ايجاد موطىء قدم للفرس على ساحل البحر الأسود ، تمهيدا لمد السيطرة الفارسية هناك ، ومحـــاولة ضرب عاصمة الرومان وهى خطة لو قدر لها النجاح لتغير وجه التاريخ فى ذلك الحين ٠

كانت خطة كسرى فيما يتعلق بالمدن القريبة من الحدود الفارسية تتبلور فى فرض ارادته وذلك بتحصيل فدية كبيرة من كل مدينة تحاصرها القوات الفارسية ٠ على أن يتم تدمير المدينـــة التى تبدى أية مقاومة ٠ ولم يكن هدفه هو مجرد السيطرة على مدينة محددة لاستخدامها كورقة رابحة واداة للضغط وفرض الارادة الفارسية كما فعل والد قباذ مع الامبراطور أنستاسيوس فى مدينة آمد (٥٠٢ ــ ٥٠٥ م) ٠ فبالرغم من محاولات جوستنيان للمحافظة على معاهدة السلام الدائم الا أن كسرى كان قد أعد العدة لتنفيذ خطته ولم يتلطف مع السفير الرومانى بل احتجزه عاما كاملا الى أن تم لكسرى الاستيلاء على كل الأموال التى بمدينة سورا Sura المجاورة لمدينة الرقة ، بعد ان خدع أسقفها الذى كان قد تعهد بدفع الفدية التى حددها كسرى ٠ ولم يكتف كسرى بذلك وانما قتل العديد من أهالى تلك المدينة وأسر حوالى اثنى عشر الفا من سكانها ثم أشعل النيران بها وذلك فى ربيع سنة ٥٤٠ م ٠ وبعد أن حقق كسرى خطتـــه طرد السـفير الرومانى (١٣٦) وأمـره بابلاغ جوسـتنيان بما شاهده (١٣٧) ٠ ولاشك أن كسرى كان يعنى بذلك أن الحرب قد بدأت بالفعل بين القوتين العظميين ٠

---

(١٣٥) *Procopius*, Wars, 2, p. 249, *Ure*, Op. Cit., p. 68; *Lebeau*, *Histoire*, 8, pp. 440-442; *Holmes*, Op. Cit., p. 586; *Bury*, Op. Cit., p. 92.

(١٣٦) كان السفير بين القوتين العظميين فى ذلك الحين يشابه وزير الخارجية فى وقتنا هذا وحتى لا يتكرر ما حدث للمندوب الرومانى نصت معاهدة سلام الخمسين عاما ، (٥٦٢م) على ضرورة معاملة هؤلاء السفراء بكل ما يستحقونه من الاحترام والاهتمـام والعناية ، وأن يودعوا بمثل ما استقبلوا به من تكريم دون ابطاء ــ انظر ملحق معاهدة سلام الخمسين عاما ٠

(١٣٧) *Procopius*, Wars, 2, pp. 295-303; *Douney*, «The Persian Compaign in Syria in A.D. 540», Sepculum, 28, (University of Miching) p. 340.

على أية حال ، استدعى كسرى ملك الفرس الأسقف كانديدوس Candidus أسقف الرصافة Sergiopolis والتى تبعد ستة عشر ميلا عن مدينة سورا ، وأمره بفدية الاثنى عشر ألف أسـير من أهالى سورا خلال عام من تاريخه مع التهديد والوعيد فى حالة عدم الدفع(١٣٨)٠

واذا كان كسرى قد تعامل مع أسقفى سورا والرصافة ، فان هذا يدل على أهمية أسقف المدينـة فى ذلك الحين ، والذى لم يكن مجرد أبا روحيا فحسب ، وانما كان زعيما سياسيا فى نطاق أسقفيته ٠

وللباحث ان يسـأل : أين الجيش الرومانى ؟ الواقع أن موقف الجيش الرومانى فى الأقاليم الشرقية فى ذلك الحين لم يكن يسر صديق أو يرد كيد عدو ، ذلك لأن القادة والضباط ، الذين كانوا على مقربة من كسرى ، لم يكونوا على مستوى الكفاية أو الاقدام كما أن قواتهم لم تكن كافية لمواجهة كسرى وربما يرجع السبب الجوهرى لذلك هو غيـاب بلزاريوس عن الشرق ، اذ كان منذ سنوات يعمل فى ايطاليا ٠ ولذلك تقع المسئولية على بوز Buzes قائـد قوات الشرق ، الذى قبـع فى مدينة منبج Hieropolis دون ان يحرك ساكنا عند احتلال كسرى لمدينة سورا ٠ واذا كان هذا القائد قد احجـم عن ملاقاة كسرى لضعف قواته ، فان هذا لايعفيه من مسئولية التقاعس عن رد العدو واتهامه بأنه أثر السلامة ، عن التصدى للاعداء لحماية البلاد فى وقت الشدة (١٣٩)٠

لم يقم بوز القائد الرومانى للشرق بالتصدى لكسرى عندما حاصر ملك الفرس مدينة منبج وانما سبقه فى الانسحاب منها تاركا بها حامية صغيرة ، كما أن هذا القائد الرومانى لم ينفذ خطته التى سبق أن أعلن عنها ابان وجوده فى منبج من أنه سيقوم بتطويق العدو ، اذا ما حاول مهاجمة منبج ، وكذلك لن يسمح للقوات الفارسـية بالحصـول على الامدادات ٠ على أن كسرى اكتفى بفرض فدية على المدينة ولم تتعرض لأى أذى (١٤٠) ٠

على أن كسرى واصل عملية فرض الفدية على مدينة حلب Beroea دون اصابتها بأذى بفضل جهود أسقفها ميجاس Begas (١٤١) ٠

(١٣٨) *Procopius*, Wars, 2, p. 203; *Ure*, Op. Cit., p. 69.

(١٣٩) *Lebeau*, Histoire, 9, pp. 10-11; *Stein*, Op. Cit., p. 487; *Bury*, Op. Cit., p. 95, *Ure*, Op. Cit., p. 70.

(١٤٠) *Procopius*, Wars 2, pp. 309-311; *Lebeau*, Op. Cit., p. 12; Downey, The Persian Compaign, p. 345. *Ure*, Op. Cit., p. 70.

(١٤١) *Procopius*, Wars, 2, pp. 315-325.

غير أن مدينة انطاكية كانت المدينة الوحيدة التى تعرضت للدمار والخراب الشديد على يد كسرى بشكل لم يسبق له مثيل ، بعد أن استولى على كل ما بها من أموال ٠ وذلك لأن الأهالى بها قاوموا القوات الفارسية ، وهى التى كانت أكبر وأهم المدن الرومانية بالشرق بعـــد القسطنطينية والاسكندرية ونقل من بقى على قيد الحياة من سكانها الى بلاده (١٤٢) ٠ بعد أن رفض أهالى الرها ـ بناء على تعليمات بوز Buzes الذى كان قابعا داخل أسوار الرها ـ دفع الفدية التى طلبها كسرى من الرها مقابل تسليم أسرى مدينة انطاكية (١٤٣) وفرض كسرى الفدية على مدينة قلعة المضيق Apamaa وكذلك قنسرين Chalcis (١٤٤) وفى طريق عودة كسرى الى بلاده حاول كسرى اقتحام أسوار مدينة دارا المنيعة (١٤٥)، غير أنه لم يتمكن من ذلك مما اضطر الى طلب الفدية منها وبعدها عاد الى بلاده فى شتاء سنة ٥٤٠م (١٤٦) ٠

تلك كانت جولة كسرى أنوشروان فى بعض مدن الأقاليم الشرقية بالامبراطورية ٠ ولا شك أنه لم يلق أية مقاومة يعتد بها ٠ وأنه جمع ما شاء من الأموال ، بعد أن خرب مدينة انطاكية ولقن الامبراطورية درسا قاسيا ٠

على أن كسرى أراد تنفيذ الشق الثانى من خطته العسكرية ضـــد الرومان ، وذلك باحتلاله لاقليم لازيقا عن طريق أراضى ايبيريا وبذلك تمكن من أن يسيطر على اقليم هام للغاية بالنسبة للرومان من الناحية الاستراتيجية والتجارية ٠ ذلك لأن سكان هذا الاقليم يقومون بحماية

---

(١٤٢) بنى كسرى لاسرى أنطاكية مدينة بجوار مدينة طيسفون عاصمة الفرس وعرفت باسم « الرومية » (أ) أو « الماخور الجديدة » (ب) ، أو « زبرخسرو » (ج) انظر (أ) **ميراخواند** ، تاريخ ساسانيان ، ص ٢٤١ ، **سعيد بن بطريق** ، **التحقيق** ، ص ٢٠٨ ، **الطبرى** ، تاريخ الرســـــل والملوك ، ج ٢ ، ١٠٣ ٠ انظر (ب) **ابن العبرى** ، تاريخ ابن العبرى ص ١٤٩ ، **اغابيوس** ، العنوان ج ٢ ، ص ٤٣ ٠ انظر : (ج) **الدينورى** ، الأخبار الطوال ، ص ٦٩ ٠

(١٤٣) *Procopius*, Wars, 2, pp. 313-373; *Downey*, The Persian Compaign, pp. 341-343.

(١٤٤) *Procopius*, Wars, 2, pp. 363-373; *Ure*, Op. Cit., p. 72.

(١٤٥) كان جوستنيان قد قام ببناء سور لمدينة دارا خارج سورها القديم الذى كان قد بناه الامبراطور أنستابيوس ٠ وكان سور جوستنيان مبنيا من الأحجار الصلبة وله فتحات ضيقة لرمى السهام ، انظر :

Procopius, Buildings, p. 103.

(١٤٦) *Procopius*, Wars, 2, p. 381; *Lebeau*, Histoire, 9, p. 27; *Stein*, Op. Cit., p. 492.

القسم الغربى من جبال القوقاز ضد قبائل الهون ، ويتبادل التجارة مع الرومان فضلا عن وقوعه على ساحل البحر الأسود • وكان ذلك سنة ٥٤١م وبناء على الدعوة السرية التى تلقاها من شعب لازيقا (١٤٧) •

غير أن حضور بليزاريوس من ايطاليا على عجل كان له أثرا واضحا فى احداث توازن للقوى فى الجبهة الشرقية ، بناء على استدعاء جوستنيان له ، والذى كان قد قدم على اثر سقوط أنطاكية • على أية حال انتهز بلزاريوس ، فرصة وجود كسرى بجيشه فى لازيقا ، وحشد قوات من أهالى تراقيا والليريا ، وأسرى القوط ، والوندال ، والمور هذا بالاضافة الى قوات الحارث بن جبلة أمير الغساسنة وعمل على رفع معنويات المقاتلين (١٤٨) بالتوجه مباشرة الى قلعة دارا القريبة من الحدود الفارسية • واتخذ خطة هجومية بقيادة الحارث بن جبلة بعد أن أمده باثنى عشر ألف مقاتل ، وبالفعل نجح الحارث فى مهمته فى غزو الأراضى الفارسية واحداث الخسائر بها فى الأرواح والممتلكات وعاد بعد أن جمع الغنائم (١٤٩) وامتدح بروكوبيوس العرب فى القتال قائلا : « ان العرب هم أمهر الرجال فى مهاجمة الأعداء وجها لوجه » (١٥٠) على أن النصر الوحيد الذى استطاع بليزاريوس أن يحققه بعد أن اجتاز الأراضى الفارسية لأول مرة ولآخر مرة كان فى اقتحامه لقلعة فارسية صغيرة ، وأسر من كان بها بعد أن كان قد فشل فى مهاجمة مدينة نصيبين (١٥١) .

غير أنه ما أن علم الحارث بن جبلة وبليزاريوس بأن كسرى فى طريق العودة الى بلاده مسرعا من لازيقا ، بعد أن ترك بها حامية فارسية ، حتى انسحبت جميع القوات الرومانية بعيدا عن جبهة القتال وذهب الحارث الى موطنه • كما تم استدعاء بليزاريوس الى القسطنطينية ٥٤١/٥٤٢م (١٥٢) •

وبالرغم من حشد جوستنيان جيشا بلغ تعداده ثلاثين ألفا لمهاجمة

---

(١٤٧) Procopius, Wars, 2, pp. 391-397.

(١٤٨) كان الجنود الرومان يصابون بالذعر لمجرد سماع كلمة « الفرس » انظر : Procopuis, Wars, 2, p. 399.

(١٤٩) Procopous, Wars, 2, pp. 385-421.

(١٥٠) Procopius, Wars, 2, p. 421.

(١٥١) **Procopius, Wars, 2, p. 421; Stein, Op. Cit., p. 495.**

(١٥٢) Procopius, Wars, 2, pp. 423-425; *Ure*, Op. cit., p. 75.

القوات الفارسية التى لم تزد على أربعة آلاف مقاتل فى اقليم أرمينيا الفارسية ، الا أن الفرس انتصروا عليهم وهزموهم هزيمة منكرة سنة ٥٤٣م (١٥٣) ٠

واذا كان كسرى قد فشل فى الاستيلاء على مدينة الرها سنة ٥٤٠م نظرا لقوة استحكاماتها ، (١٥٤) الا أنه أصر سنة ٥٤٤م على ضرورة الاستيلاء عليها ، ونقل سكانها الى بلاد الفرس بعد تدميرها ٠ غير أن كل محاولاته العسكرية باءت بالفشل لقوة استحكامات سور المدينة وللمقاومة الصلبة التى أبداها الأهالى بالمدينة الذين تعانوا مع القوات التى كانت بداخلها ٠ على أية حال اضطر كسرى لفك الحصار عن المدينة بعد أن فرض عليها مبلغا من المال دفعته المدينة عن رهبة وذلك سنة ٥٤٤م (١٥٥). وازاء هذا الموقف المتدهور بالنسبة للرومان سواء فى لازيقا ، حيث أصبح للفرس موطىء قدم على مقربة من شاطىء البحر الأسود ، أو فى الأقاليم الغربية من الحدود الفارسية ، حيث نجح كسرى فى جمع ما شاء من أموال الفدية التى حددها على المدن المهمة والتى هدد بتدميرها ، كما حدث لأنطاكية التى قاومته ، أصبح واضحا أنه ليس للرومان المقدرة على دحر العدوان الفارسى ، وبخاصة أن الامبراطورية كانت تقاتل فى الغرب سواء فى شمال أفريقيا ضد المور ، أو فى ايطاليا ضد القوط ٠ لذلك كان من الأمور الحيوية أن يطلب الرومان من الفرس شراء السلام مقابل دفع ما يحدده الفرس الذين كانوا فى موقف المنتصر ، ولهم اليد العليا ٠

على أية حال ، فرض الفرس ارادتهم بالزام جوستنيان بدفع ألفى رطل من الذهب مقابل هدنة لمدة خمس سنوات اعتبارا من سنة ٥٤٥م ، والواقع أنها كانت هدنة مبتورة لأنها كانت قاصرة على الحدود الشرقية على الحدود بين القوتين العظميين وعلى الحدود بين أرمينيا الرومانية وأرمينيا الفارسية ، بيد أن الفرس اشترطوا ألا تشمل الهدنة لازيقا ٠ وهى المنطقة التى ظلت منطقة صراع بين الدولتين (١٥٦) ٠

---

(١٥٣) ***Procopius***, Wars, 2, pp. 473-489; *Holmes*, Op. Cit., p. 598.

(١٥٤) كان جوستنيان قد اعاد بناء سور مدينة الرها ضمن خطة بناء التحصينات الدفاعية على الحدود الفارسية وغيرها ، انظر :
Procopius, Buildings, p. 147.

(١٥٥) *Procopius*, Wars, 2, pp. 126-131; *Bury*, Op. Cit., Op. Cit., pp. 110-111; *Holmes*, Op. Cit., pp. 598-599; *Stein*, Op. Cit., pp. 501-502; *Ure*, Op. Cit., pp. 76-77; *Lebeau*, Histoire, 9, pp. 126-131.

(١٥٦) *Procopius*, Wars, 2, p. 517; *Lebeau*, Histoire,, 9, p. 133; *Ure*, Op. Cit., p. 77.

وبالرغم من حالة العداء القائمة بين القوتين ابان الهدنة الأولى فان جوستنيان وافق على طلب كسرى بارسال أحد الأطباء المهرة لعلاجه (١٥٧) وهذا يدل على حرص الدبلوماسية الرومانية على اقامة علاقات طيبة مع الفرس ٠

وبالرغم من قيام القوتين العظميين بارسال التعزيزات العسكرية لقواتهما فى لازيقا فانه لم يحدث أن أحرز أحدهما نصرا حاسما وربما يرجع ذلك لأن الرومان أدركوا مدى خطورة سقوط لازيقا ، فى أيدى الفرس ٠ لذلك نشطت الدبلوماسية الرومانية واستمالت جوباز Gubazes ملك لازيقا ، الذى كان قد استدعى سكان لازيقا ، بل انهم أحرقوا الأخشاب التى كان قد أحضرها لبناء اسطول ليخوض به غمار البحر الأسود (١٥٨) ٠

على أن الهدنة الأولى تم تجديدها ، بعد مفاوضات استغرقت اثنى عشر شهرا ، حيث أصر الجانب الفارسى على ألا تشمل الهدنة الجديدة لازيقا كما حدث فى الهدنة الأولى ٠ وأن يدفع الرومان ألفى وستمائة رطل من الذهب عن خمس سنوات (١٥٩) وبذلك يكون الرومان قد دفعوا للفرس أربعة آلاف وستمائة خلال أحد عشر عاما ونصف ما بين ٥٤٥ ــ ٥٥٦م ٠

غير أنه بانتهاء الهدنة الثانية (سنة ٥٥٦م) طلب الجانب الفارسى ، على غير العادة ، تجديد هذه الهدنة ، دون مطالبة الرومان بأية شروط مادية أو تحديد فترة زمنية لها ، وذلك لأنهم كانوا قد وصلوا إلى حد الإنهاك هذا من ناحية ، كما أنهم كانوا يرغبون فى التصدى لقبائل الهون البيض من ناحية ثانية ٠ ولما كان جوستنيان راغبا فى انهاء حالة الحرب مع الفرس الذين أشعلوها منذ البداية فان القوتين العظميين وافقتا على هدنة شملت فى هذه المرة لازيقا ٠ والتزم الطرفان بعدم التحرك من المواقع التى احتلها فى ذلك الاقليم وتم توقيع هدنة سنة ٥٥٧م (١٦٠) ٠

---

(١٥٧) *Zachariah*, Op. Cit., p. 320; *Bury*, Op. Cit., p. 112; *Lebeau*, Op. Cit., p. 134.

(١٥٨) *Procopius*, Wars 2, pp. 519-523; *Holmes*, Op. Cit., p. 601.

(١٥٩) *Procopius*, De Bello Gotthico. IV, pp. 536-537; *Bury*, Op. Cit., p. 117.

(١٦٠) *Malalas*, Op. Cit., p. 488; *Agathias*, Op. Cit., pp. 273-276; *Bury*, Op. Cit., p. 130.

وهكذا يمكن القول ان السـلام الحقيقى بين الفرس والرومان فى عصر جوستنيان بدأ سنة ٥٥٧م (١٦١) ٠

والواقع أنه ازاء فشل الفرس فى السيطرة على الجزء الساحلى من لازيقا ، وعدم تمكنهم من الوصول الى مياه البحر الأسود بعد صراع مرير مع الرومان فى لازيقا ، وازاء عدم مقدرة الرومان على التصدى للعدوان الفارسى على الأقاليم القريبة من الأراضى الفارسية ، ناهيك عن استحالة نقل الرومان للمعركة مع الفرس الى داخل الأراضى الفارسية ، ناهيك عن استحالة نقل الرومان للمعركة الى داخل الأراضى الفارسـية نظرا للتفوق العسكرى للفرس ، ولوجود معظم الجيوش الرومانيـة بالغرب لاتمام الحركة الاستردادية ، لكل ما تقدم مال الطرفان الى عقد اتفاقيـة سلام طويلة الأمد ، وقبل الفرس التخلى عن لازيقا للرومان ، بعد اقتناعهم باستحالة الرومان فى الدفاع عنها ٠

على أية حال ، دارت الجهـود الدبلوماسية على الحدود بين القوتين العظميين قرب مدينة دارا ٠ واستمرت المفاوضات فترة من الوقت حيث استغرقت عشرين جلسة بين الوفود الدبلوماسية للدولتين ، الى أن تم تبادل وثائق معاهدة السلام سنة ٥٦٢ م ، مدتها خمسون عاما ، تعهـد فيها الرومان بدفع أقساط السنوات السبع الأول دفعـة واحدة لمبلغ قدره ثلاثين ألف رطل من الذهب ٠ وفى بداية السنة الثامنة تعهدوا بدفع أقساط الثلاث سنوات التالية دفعة واحدة ، مقابل التعهد بتسليم لازيقا للرومان ، وتحمل الفرس مسئولية حماية ممرات القوقاز ضـد قبائل الهون والألن وغيرهم من القبائل المجاورة ، وعدم السماح لتلك القبائل باختراق الأراضى الرومانية ٠ وألزمت هذه المعاهدة الجانب الرومانى بأن تظل مدينة دارا منزوعة السلاح « وهو الشرط الذى كان موجـودا فى معاهدة سنة ٥٣٢م وألزمت المعاهدة كلا من الفرس ، والرومان بضرورة أن يشمل السلام العرب الموالين للفرس (عرب الحيرة) والعرب الموالين للرومان (الغساسنة) وهو الشرط الذى لم يكن موجودا فى معاهدة سلام جوستنيان مع كسرى (٥٣٢م) وتضمنت المعـاهدة الجديدة عدة شروط تتعلق بالنظام الجمركى بين القـوتين العظميين ، ورعاية أعضاء الوفـود الدبلوماسية وضمانات لأمن الحدود (١٦٢) ٠

---

(١٦١) *Agathias*, Op. Cit., pp. 273-276; *Bury* Op. Cit., II, p. 130.

(١٦٢) *Menander*, Excepta de Legationibus Romanorum, pp. 359-363; *Lebeau*, Histoire du-Bas. Empire, 9, pp. 430-433; *Bury*, Op. Cit., pp. 121-122; *Ure*, Op. Cit., pp. 97-99.

ثم انظر نصوص معاهدة ٥٦٢م فى الملاحق ٠

وهكذا كانت سياسة جوستنيان تجاه شعوب الحدود الشرقية قائمة على المحافظة على مصالح الامبراطورية فى شتى المجالات والسير وفقا لخطة دبلوماسية تقليدية لها أسسها الثابتة مع تميزها بالنشاط وسرعة الحركة من عصر جوستنيان ، الأمر الذى ضمن لها المحافظة على المصالح الرومانية فى البحر الأسود الذى تحول الى بحيرة رومانية آمنة تجوبه السفن التجارية الرومانية ، بفضل نجاح هذه الدبلوماسية فى استمالة كافة شعوب سواحل هذا البحر الى جانب الرومان بالرغم من محاولات النفوذ الفارسى التسلل الى مياه هذا البحر • كما نجحت هذه الدبلوماسية الرومانية فى توسيع دائرة التحالف مع شعوب البحر الأحمر لسد الطريق على التدخل الفارسى هناك • وبذلك ظل البحر الأحمر ، بأهميته التجارية والاستراتيجية بحيرة رومانية •

ولا يخفى على الباحث أن الصراع التقليدى بين الفرس والرومان كلف جوستنيان الكثير من الأموال ، وان كان جوستنيان لم يدخر وسعا فى التصدى لهم فى مناطق النفوذ ، والدخول فى معارك دفاعية فرضها عليه الفرس ، نتيجة لتعارض المصالح بين القوتين العظميين والصراع على مناطق النفوذ • وبرغم المعارك الحربية التى دارت بينهما فان جوستنيان تمكن من المحافظة على أراضى الامبراطورية الرومانية دون أن يفقد شبرا واحدا من أراضيها • ويعود ذلك الى مهارة الدبلوماسية الرومانية التى تمكنت من عقد معاهدة سلام سنة ٥٣٢م أتاحت للامبراطورية فرصة التحرك بحرية كبيرة ، شرقا وغربا ، وبخاصة اذا ما عرفنا أن العشر سنوات التى تلت توقيع هذه المعاهدة كانت من أكثر السنين نشاطا ونجاحا فى عصر جوستنيان •

ويبدو للباحث أن جوستنيان حالفه التوفيق فى سياسته تجاه شعوب الحدود الشرقية بفضل وجود خزانة عامرة قادرة على الوفاء بكل الالتزامات المتعددة سواء فى المجالات العسكرية أو الدبلوماسية أو المجالات الأخرى فى الميادين الداخلية •

وأخيرا فليس أدل على نجاح جوستنيان فى سياسته تجاه شعوب الحدود الشرقية من أنه استطاع مواصلة اتمام حركته الاستردادية الى أن تمكن من اعادة البحر المتوسط الى بحيرة رومانية •

الخاتمة

وعلى ضوء هذه الدراسة تبين للباحث أن الامبراطور جوستنيان انتهج سياسة تمخضت عن قيام امبراطورية يدين شعبها بالولاء له ، بعد أن فرض على شعبه معاملته لا على أنه امبراطور فحسب ، وانما على أنه « السيد » ولم تكن مظاهر هذه السيادة قاصرة على نواحى الحياة العامة فحسب ، وانما امتدت لتشمل الكنيسة أيضا ، اذ صارت القسطنطينية فى عصره « كعبة » للبابوية بعد أن ذهب اليها أكثر من بابا ، وهو الأمر الذى لم يحدث من قبل منذ اعتراف أباطرة الرومان بالمسيحية • وبذلك كان جوستنيان رئيسا أعلى للدولة والكنيسة ، ولا سيما بعد أن مرغ أنف البابا فيجيليوس فى التراب •

وبفضل تشريعاته فى شتى المجالات ، والتى جددت شباب الامبراطورية فانه يمكن القول ان الأمن والأمان تحققا الى حد كبير فى الداخل ، اذا ما قارنا عصره بعهدى زينون وأنستاسيوس •

كما أن اعادته بناء البنية الاجتماعية ، وفقا لتعاليم المسيحية صادفتها عوامل التوفيق الى حد كبير نظرا للمتابعة النشطة لهذا الامبراطور ، الذى قيل عنه أنه لا ينام • ولأهمية تشريعات جوستنيان فانها ظلت المنهل الذى اغترف منه من خلفه من أباطرة بيزنطة ، بل وفى العصور الوسطى العالية والمتأخرة الى حد بعيد • كما أن المبادىء التنظيمية للأديرة التى صدرت فى عصره ، صارت الأساس الذى اعتمدت عليه الحياة الديرية من بعده •

على أن الشىء الذى لا يصح اغفال ذكره هو أن جوستنيان لم يبدأ

باعادة بناء الدولة فى الداخل ثم النظر الى الشئون السياسية الخارجية ، وانما أعطى كل اهتماماته الرامية الى اقامة الامبراطورية العالمية كمحور دارت حوله الدبلوماسية الرومانية فى عصره بمجرد اعتلاء خاله كرسى العرش ٠

وتبين للباحث أن هذه الدبلوماسية الرومانية النشـــطة ، حققت للامبراطور سلامتها وقوتهـــا أمام العدو التقليـــدى القوى ، وأعنى بهم الفرس ، كما خففت من حدة خطورة الشعوب الشرقية التى درجت على فرض ارادتهـــا على أباطرة الرومان من قبله والتى كانت قد نجحت فى انقطاع الأجزاء الغربية من الامبراطورية والسيطرة عليها ٠

على أن نجاح جوستنيان الدبلوماسى شرقا ، ساعده الى حد كبير فى استرداد معظم أراضى الامبراطورية بالقسم الغربى منها ، من أيدى الشعوب المغيرة التى عجز من سبقه من الأباطرة عن ردعهم ٠ وهـكذا يمكن القول أن نجاح الدبلوماسية الرومانية تجاه شعوب الحدود الشرقية كان العامل الأول والأساسى فى اعادة البحر المتوسط الى بحيرة رومانية ، بعد أن صارت معظم الأراضى المحيطة به شمالا وجنوبا وغربا خاضـــعة للامبراطور ٠

وغنى عن القول أن المبادىء الأساسية لهذه الدبلوماسية الرومانية ، صارت الأصول العامة للعمل الدبلوماسى فى العالم الغربى بصفة خاصة حتى أيامنا هذه ٠

واذا كانت الشخصيات المهمة فى التاريخ ، لابد لها من انجازات رائعة تحقق لها البقاء فى صفحات التاريخ ، فان الامبراطور جوستنيان أدى انجازات متعددة : والنسبة للمسيحية باعتبارها الديانة الرســـمية للدولة ، فانه عمل على نشرها بقوة القانون ، لذلك اعتنقها الكثيرون عن رهبة لا عن رغبـــة وفقا لعقيـــدة « الثـــالوث الأقدس » على المذهب الخلقيدونى ٠ ولم يكتف بذلك ، وانما تعقب الوثنية بهدف ابادتها ، بل أنه مارس عمليات سحق لكل الطوائف المسيحية التى لا تدين بمذهب الدولة ٠ وعلى ذلك تبين للباحث أن جوستنيان فاق الامبراطور قنسطنطين نفسه الذى اعترف بالمسيحية كاحدى الديانات الرســـمية فى الدولة ٠ يلى ذلك محافظته على التراث الرومانى القانونى الذى مازال كنزا نفيسا لأكثر من مجال فى دراسات الحضارة الرومانية ٠

لذلك يبدو للباحث عدم المبالغة اذا ما قال انه لا يوجـــد مثقف واحد فى العالم أجمع لا يعرف من هو الامبراطور جوستنيان ٠

على أية حال ، تبين للباحث أن جوستنيان كان آخر أباطرة الرومان الذين حققوا انجازات رائعة . وعلى ما يبدو أنه أكثر الأباطرة أهميـــة منذ أن صارت القسطنطينية عاصمة للامبراطورية الرومانية التى درج المؤرخون المحدثون على تسميتها بالامبراطورية البيزنطية .

واتضح للباحث أن جوستنيان نجح الى حد كبير فى تحقيق هدفه الأسمى ، فى اقامة امبراطورية قوية موحدة ، يحكمها قانون واحد ، وبها كنيسة واحدة تحت رياسته .

الملاحق

(١)

« نص منشور الامبراطور باسيليسكوس (٩ أبريل ٤٧٥م) » (١)

من الامبراطور القيصر باسيلسكوس ، التقى ، الظافر ، المنتصر السامى ، المبجل على الدوام ، المعظم ، ومن ماركوس القيصر ، العظيم الشهرة ، الى تيموثيوس رئيس أساقفة مدينة السكندريين العظيمة ، والموقر وحبيب الله ٠

انه لمن دواعى سرورنا أن تظل على الدوام القوانين الخاصة بالايمان الحقيقى والرسولى الصادر عن آباء الكنيسة الأتقياء الذين حافظوا على الطقوس الدينية المقدسة للثالوث الأقدس الأبدى ، وواهب الحياة ، نافذة على الدوام ٠

بل اننا نأمر أن هذه القرارات لها قوة القوانين التى نصدرها ٠ ونعلن طاعتنا وتحمسنا فى عبادة الاهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، الذى خلقنا وجعلنا ننعم بالتمجيد ، أمام كل الأمور الدنيوية ، وأننا مقتنعين أيضا بأن الاتحاد بين رعية المسيح هو الحافظ لنا ولشعبنا ، وأنه الأساس والدرع الواقى لامبراطوريتنا ٠ وعلى ضوء هذه الاعتبارات فاننا نعمل بحماس الهى مقدمين الى الهنا ومخلصنا يسوع المسيح اتحاد الكنيسة المقدسة كاحدى الثمار الأولى لعهدنا ٠ ونأمر أن أساس واستقرار سعادة البشر ، ونعنى بذلك الايمان المقدس للآباء المقدسين الثلاثمائة والثمانية عشر الذين اجتمعوا بحلول الروح القدس فى نيقية ، والذين على

(١) *Evagrius*, History of the Church, pp. 341-342.

تعاليمهم تم تعميدنا ، وتعميد كل المؤمنين الذين سبقونا هو فقط الذى يجب أن يحظى بالقبول والتنفيذ بين الشعب الأرثوذكسى فى كل كنائس الله المقدسة ، على أنها القوانين الوحيدة للايمـــان الصحيح ، وكافيـــة للقضاء التام على كل (هرطقة) ، واقامة الاتحاد الكامل بين كنائس الله المقدسة ٠

وبدون تعصب فاننا نؤيد قرارات آباء الكنيســة المقدسين المـائة والخمسين الذين اجتمعوا فى هذه المدينة الملكية ، والذين صـــدقوا على قرارات نيقية ، وأدانوا أولئك الذين جدفوا على الروح القدس ٠

ونؤيد أيضا كل القرارات التى صدرت فى مدينة افسوس ضــد نسطور الكافر ، وأولئك الذين ساروا على تعاليمه ٠

بيد أن الاجراءات التى أعاقت اتحاد نظام كنائس الله المقدســة ، وسلام العالم كله ، ونعنى بذلك ما يطلق عليه كتاب ليو ، وكل ما قيل وتم فى مدينة خلقيدونية من (بدع) تتعارض مع قوانين آباء الكنيسة الثلاثمائة والثمانية عشر المقدسين ، سواء عن طريق التفسير أو التعليم أو الحديث ، فاننا نأمر أن هؤلاء سيتم حرمانهم من شركة المؤمنين ، هنا ، وفى كل مكان ، على يد الأساقفة وسيكون مصيرهم الموت حرقا أينمـا وجدوا ، مثلما فعل سلفانا التقيان والمباركان قنسطنطين وثيودوسيوس الأصغر ضد كل المعتقدات (الهرطوقية) ٠

وسيطرد كلية من الكنيســـة الواحدة الارثوذكسية الرســـولية والكاثوليكية كل من نسخ القوانين الأبدية للآباء الثـــلاثمائة والثمانية عشر ، وقوانين الآباء المقدســـين الذين اجتمعوا بقـوة الروح القدس ، وأصدروا قوانينهم فى افسوس ٠

وباختصار ، لن يسمح لأحد سواء كان من رجال الدين أو العلمانيين أن ينحرف عن القانون المقدس ، ونحرم (البـــدع) التى صدرت فى خلقيدونية ، ونحرم (الهراطقة) الذين لا يعترفون أن ابن الله الوحيد اتحد ناسوته بلاهوته بالحقيقة وصار بشرا من الروح القدس ومن العذراء الأبدية مريم المقدسة والدة الله ٠

(٣)

« نص منشور باسيليسكوس المضاد »

نحن الامبراطورين والقيصرين باسيليسكوس وماركوس ، نأمر أن الايمان الرسولى والارثوذكسى القائم بالكنائس الكاثوليكية منذ البداية ، وحتى عهدنا يجب أن يظل قائما ، فهو الذى بناء عليه تم تعميدنا ، والذى

نؤمن به ، ويجب أن يعمل به دائما فى كل كنائس الأرثوذكس الكاثوليكية والرسولية فى كل مكان ، وأنه ليس هناك مجال لفتح باب الجدل (٢) ·

وعلى هذا الأساس نأمر أيضا بالغاء كل المراسيم التى صـــدرت فى عهدنا سواء خطابات الاعلان أو غيرها ، أو أى قرار يتعلق بالايمـان أو القانون الكنسى ·

وفى نفس الوقت نحرم نسطور وأوتيخا ، وكل (الهرطقات) وكل هؤلاء الذين يتمسكون بآراء مشابهة ، ومحظور عقد أى مجمع أو مناقشة فى هذا الموضوع ، وأن الصيغة الحالية يجب أن تظل دون مساس ·

ونأمر أن كل الأقاليم التابعة لكرسى المدينة الامبراطورية العظيمة ، يجب أن تعود للتبعية تحت رياسة أكاكيوس البطريرك المقدس ورئيس الأساقفة · ونأمر أن يسترد الأساقفة المحبين لله ، كراسيهم الأسقفية وأن حق تعيينهم يرجع الى الكرسى البطريركى للمدينـــة الامبراطورية العظيمة ·

وأن أمرنا هذا المقدس له قوة أى قانون مقدس لا ريب فيه ·

(٣)

بيان تفصيلى من النصائح وجهها أجابيتوس ، شماس كنيسة الله الكبرى المقدسة (كنيسة الحكمة) الى الامبراطور الأقدس والأتقى حوالى سنة ٥٣٠ (٣) ·

An Exposition of Heads of Advice and Counsel.

Addressed of Agapetus «deacon of the great and most holy church of God (St. Sophia) to our most sacred and pius emperor Justinian,» (Circa 530).

« نصائح اجابيتوس للامبراطور جوستنيان »

مولاى الامبراطور ، ان منزلتك السامية التى تفوق كل مظـاهر الاجلال والاحترام ، انما مردها الى الله ، الذى منحك هذه المنزلة ، فقد منحك السلطة الملكية على الأرض على مثال مملكة السماء ، بهدف أن تعلم الرعية الالتزام بكل حزم بأهداب الفضيلة ، وأن تسكت صيحات أولئك

(٢) *Evagrius*, History of the Church, p. 347.

(٣) *Ernest Barker*, Social and Political Thought in Byzantium, translated with an introduction and notes by Ernest Barker, (Oxford, 1957), pp. 54-61.

الذين يثورون غضبا ضـــد الدولة ، لأنك يا مولاى ، ملتزم بقـــانون العدالة ، ومن الناحية القانونية ملك على أولئك الذين تحكمهم ٠

وكمثل الانسان المسك بقبضة دفة السفينة ، فان بصيرة الملك النافذة ، والقديرة على توخي عواقب الأمور ، لهى الحريصة على الدوام على التشبث بدقة تنفيذ القانون ، والقضاء على كل التيارات المخالفة للقانون ، بهدف ألا تصطدم سفينة دولة العالم بأمواج الظلم ٠

ان الدرس الأول الذى نتعلمه ، أيها البشر ، هل منكم من يريد أن يعرف نفسه ، لأن الذى يعرف نفســـه يعرف الله : ومن يعرف الله سيكون الله معه ٠ ومن يكن الله معه يرضى عنه ٠ ومن يرضى عنه الله ، ولا يفعل الا ما يرضى الله ، فانه يتحدث كما يشاء الله ، ويفعل كما يريد ٠

لا تسمح لأى انسان يفاخر لانتمائه الى طبقة الأشراف بالميلاد ٠ فكل البشر أصلهم من طين ــ بما فيهم الذين يفاخرون بالزى الأرجوانى والملابس الكتانية الرقيقة ، وهؤلاء الذين أضناهم الفقر والمرض ، وكذلك الذين يضعون التاج على رءوسهم وأيضا رجال الحاشية بالقصر ٠ ولذلك لا تسمح لنا بالتفاخر لأننا خلقنا من طين ، ودعنا نفاخر بالتقـــوى فى أعمالنا ٠

ان الله جعلك مقدسا للتقوى وكلما رآك الله جديرا بنعمه العظيمة كلما أفاض عليك منها ٠ ولذلك فعليك بتقديم العرفان الى الله المنعم ، والذى يجازى بزيادة النعم ٠ لأن الله دائما مانح النعم ، وينعم على من يقرضه قرضا حسنا ٠ ان الله يريد منا أن نشكره بالأعمال الصالحة وليس بمجرد الكلمات والدعوات ٠

لا شىء يجعل الانسان يتمتع بسمعة طيبة مثلما كان قادرا أن يفعل ما يريد ، وأن يكون ما يريد ، ويفعله هو الأعمال الطيبة (محبة الانسان Philanthropa وعلى ذلك طالما أن الله بمشيئته منحك السلطة وأنك بشعورك الودى تعمل من أجلنا ، فنطلب منك أن تكون راغبا فى القيام بالأعمال التى‌تر ضى الله الذى أعطاك هذه السلطة ٠

ان فكر الملك ، مشغول بالعديد من الأمور ، لذلك يجب أن يكون فكرك صافيا كالمرآة ، حتى تتالق دائما بالالهام الالهى المقدس ، وبذلك تتمكن من معرفة كل الأمور ، لأنه لا شىء أقوى من صفاء ونقاء الفـكر كى يرى الانسان الحق حقا ٠

وكما يحدث في الرحلة البحرية ، فان خطأ بحار يسبب القليل من الضرر على ركاب السفينة بيد أنه عندما يفعل حاكم الدولة خطأ ، فانه يلحق الأذى بكل الدولة . وبناء عليه فانه يكون قد أهمل فى أداء واجب مقدس ، لذلك يجب على حاكم الدولة أن يتكلم ويتصرف دائما بأقصى درجات الدقة والحرص الشديد .

ان تاج التقوى الذى يزين الملك فوق كل مظاهر الزينة الخاصة بالملكية . ان المال الى زوال ، والشهرة الى نهاية ، بيد أن مجد الحكومة التى على شاكلة الحكومة الالهية يبقى أبد الدهر كما يظل ملوكها بعيدين كل البعد عن النسيان .

ويبدو الى أنه أمر غريب جدا أن يعانى كل من الأغنياء والفقراء من أمور مختلفة : فلقد شكا الأغنياء من الاصابة بمرض التخمة ، بينما أضنى الجوع الفقراء ، والأغنياء يمتلكون الأراضى التى يصعب حصرها . فى الوقت الذى لا يمتلك الفقراء مساحة باطن أقدامهم من الأرض لزراعتها . ولكى يسترد كل من الفريقين لصحتهم ، فان العلاج هو تطبيق عملية أخذ واعطاء حتى تحل المساواة محل الظلم الاجتماعى نتيجة لهذا التفاوت .

لقد ظهر فى عصرنا أن عهد السعادة العظمى قد تحقق وهو الذى كتب عنه أحد كتاب النبوءات القديمة عندما يكون الفلاسفة ملوكا أو الملوك من دارسى الفلسفة فبعد أن درست يا مولاى الفلسفة أصبحت جديرا بالملكية وبعد شغلك منصب الملك فانك لم تهجر دراسة الفلسفة والآن اذا ما كانت محبة الحكمة هى الفلسفة واذا كانت بداية الحكمة هى مخافة الله ـ الذى تراه دائما حينئذ ما أقوله هو الصواب بعينه .

فى الحقيقة انى أعدك ملكا لأنك تتمتع بقوة الملك بالسيطرة على عواطفك ولأنك تضع على رأسك تاج الاعتدال ، وترتدى زى العدالة الأرجوانى ، فهناك نوعيات من السلطة جلبت لأصحابها النسيان ، بيد أن ملكيتك ستبقى فى مأمن من العقوبة الأبدية .

واذا ما رغبت فى جنى ثمار تمجيد كل الرعية لك ، عليك أن تكون المحسن للجميع ، لأنه لا شىء يجعل الرعية تشعر بالمحبة نحو حاكمها أكثر من نعمه التى يسبغها على المحتاجين ولأن الطاعة الناجمة عن الخوف ما هى الا تزلف كاذب وهى التى تخدع هؤلاء الذين يهتمون بالتمجيد الكاذب .

ان الملكية ممثلة فيكم هى بحق تحظى بالتبجيل ، لأنهـا كشفت عن قوتها للعدو ، وجعلت الرحمة من نصيب الرعية ، فلقد قهرت الأعداء بقوة السلاح ، بينما غلبك حبك لرعيتك .

بالنسبة للجسد فالملك شأنه شأن كل البشر ، بيد أنه من ناحية سلطانه المتعلق بمنزلته السامية فهو مثل الله الذى يحكم الجميع ، لأنه لا يوجد انسان على الأرض أسمى منزلة من الملك . ولذلك كشبيه بالله فيجب عليه ألا يغضب اطلاقا ، ومع ذلك كبشر عرضسه للموت فعليه ألا يترفع فى غرور لأنه اذا كان يحظى بالتمجيد على أنه رمز مقـدس ، فانه أيضا ضمن البشر ومماثل لهم وعليه أن يعلم أنه مساو لهم .

افرض على نفسك الالتزام بمراعاة القوانين ، طالما أنه لا يوجـد الانسان الذى فى مقدرته أن يلزمك باتباعه . وهكذا تضرب المثل على سلطان القوانين باحترامك لها عن أى شىء آخر وبهذا فانه سيكون واضحا أمام شعبك أن أى مخالفة للقوانين لن تمر دون عقاب .

وبما أن الله عهد اليك بمنصب الملـكية على الأرض ، فلا تستخدم الآثمين فى ادارة الأمور لأن الذى يعطى الآثمين السلطة سيحاسب أمام الله عن أفعالهم الخاطئة . لذلك يجب أن يخضـع التعيين فى الوظائف الى فحص دقيق .

خذ الذين يؤدون عملهم باتزان ضمن أصدقائك المخلصين ، وليس هؤلاء الذين يمتدحون كل ما تقول ، وتمسك بأولئك الذين يبتهجون معك بخصوص ما هو حسن ، ويقطبون الجبين لما هو عكس ذلك لأنهم هم الذين يقدمون الدليل بحق على صدق صداقتهم .

لا تجعل القرارات السامية تتأثر بعظمة سلطتك الدنيوية ، لأنها سلطة الى زوال ، ولا تغير رأيك عند معالجة الأمور القـابلة للتغيير . ولا تكن معجبا بنفسك فى الأوقات التى تتطلب الهدوء والسكينة ، أو تبدو حزينا فى أوقات المحن .

وكما يتغير شكل الذهب ، على يد الصانع الماهر ، حينا بطرقه وحينا بطريقة أخرى ، ويحوله الى أنواع مختلفة من الحلى ، ومع ذلك يظل الذهب كما هو ، ولم يحدث له أى تغيير وكذلك أنت أيها الامبراطور المقدس عندما تمارس سلطتك على هذا النحو أو على غيره متوقعا المجد فى السموات ، فانك تظل كما أنت . وبرغم أنك تعالج أمورا مختلفة ، فعليك أن تظل ثابتا دون تغير بالنسبة لما تراه صوابا .

اعتبر نفسك ملكا بكل ثقة وصدق لأنك تحكم شعبك بموافقتـه

الاجتماعية ، لأن الشعب الذى لا يوافق بالاجماع يثور عندما تتاح له الفرصة ، بيد أن الشعب المرتبط بمليكه بروابط المحبة يظل صادق الولاء ومخلصا فى طاعته اليه ·

ولكى تظل محتفظا بالملكية ذات السمعة الطيبة ، أن تؤمن بالحقيقة القائلة بأن شعبك سوف يشعر بالنقمة عليك اذا ما فعلت خطأ لأن هذا الخطأ سيغضبهم لأنه ليس لدى أى انسان سلطة فى أن يأمر شخصا ، مثلما تتمتع أنت بسلطتك ·

ان الذى وصل الى السلطة العظمى ، يجب عليه أن يتشبه بقدر ما يستطيع بالله الذى منحه تلك السلطة · واذا ما تمكن من أن يحمل صورة الله ــ الذى فوق الجميع ، واذا بفضل الله حكم الملك كل البشر ، فان هذا الملك سيكون صورة لله بشكل أفضل اذا ما اعتقد أنه لا شىء يفوق الرحمة ·

ان الملكية هى أسمى مظاهر التكريم ، وبصفة خاصة عندما لا ينزع الانسان الذى يتقلد سلطتها الى العناد والتشبث بالرأى ويظل متمسكا بتحقيق العدالة ومبتعدا عن الأعمال اللاانسانية بصفتها من الأمور الهمجية ، ومقدما على الدوام الدليل بأن الشفقة والحنان هما من سمات المتشبه بالاله ·

وكما أن العين أحد أعضاء جسد الانسان ، فكذلك الملك عضو فى العالم ، وكلفه الله لتحقيق الخير والعدالة · ولذلك فمن واجب الملك أن يراعى كل البشرية كما لو كانوا أعضاء فى جسده ، بهدف أن يتقدموا فى الأعمال الصالحة لا الأعمال الطالحة ·

ان وظيفة الشمس هى اضاءة الكون بأشعتها · وميزة الملك فى كونه رحيما بالمحتاجين · وبذلك تزداد شهرة الملك التقى · واذا كانت الشمس تفسح المجال لمجىء الليل ، فان الملك لا يستسلم لهجوم الأعمال الطالحة ، بل على العكس يدحض ما خفى منها بنور الحقيقة ·

لقد زان منصب الملك ملوك سابقون ، لكنك يا مولاى جعلت هذا المنصب أكثر شهرة ، بعد أن عملت على زيادة عظمة السلطة برقتك ولطفك ، وأزلت الخوف من قلوب أولئك الذين اتصلوا بك لطيبتك وصلاحك وبذلك القى كل الذين احتاجوا الى الرحمة مراسيهم فى مرفأ

سنكونك ، وآمنوا بفضلك من مغبة أمواج البؤس وقدموا تراتيل شكرهم اليك .

وبعد أن تفوقت على كل الآخرين فى السلطة ، فجاهد الآن من أجل تفوقك عليهم فى المآثر ، لأنه بالنسبة الى أهمية سلطتك فلابد أن تتوقع مطالبتك بانجـــاز كل خير . وذلك حتى يظهرك الله بتاج الملكية الذى لا يقهر وعليك أن تتحلى باكليل العمل الصالح الى الفقراء .

وقبل أن تأمر بما تريد ، تأكد بأنك تأمر بتدبير ما هو صحيح ، فاللسان عضو زلق ويجلب الخطر الشديد للمهمل ، بيد أنه اذا ما سيطرت على اللسان بالأفكار التقية ، فانه عندئذ يعزف كالموسيقى أعذب ألحان الفضيلة .

قد مملكتك هنا على النحـــو الصالح ، حتى يكون لك سلم للمجد فى السماء لأن أولئك الذين يحكمون بالعدل المملكة الدنيوية ، جديرين أيضا بالنعيم فى المملكة السماوية ، والحكام الصالحون فى المملكة الدنيوية هم الذين يعبرون عن حبهم الأبوى بشعوبهم ويحظون بالاجـلال اللائق بالحكام الذين يمنعونهم من الوقوع فى الزلل ، لا الذين يجلبون لهم المحن بتوقيع العقوبات عليهم .

وبعد أن تسلمت السلطة الملكية من الله ، فكر فى كيفية الحصول على رضاء الله الذى منحك السلطة ، والذى كرمك على كل البشر ، وسارع بتمجيد أكثر من الجميع . وما يراه أعلى تمجيد تقدمه اليه — هو أن يرعى الذين خلقهم على مثاله ، وأنجز أعمالك الصالحة كما لو كنت تسدد ديونا .

ان كل انسان يرغب فى تحقيق الخلاص ، عليه أن يتلمس العون من السماء ، بيد أنه على الملك أن يفعل ذلك قبل كل الآخرين لأنه اذا كان برعاية الله له ، فان سيتغلب على أعدائه ويحقق السلام لرعيته .

أقول ان سوء الخلق عند الشخص العادى يدفعه للقيام بما هو وضيع ، ويستحق العقاب ، بيد أن ســـوء تصرف الملك لعـــدم ممارسته ما هو خير ويساعده على الخلاص . ان الحاكم ليس معصوما من الوقوع فى الخطأ ، لذلك فواجبه الالتزام بطوق الأعمال الخيرة التى تكون تاجا له ، لذلك عليه بتجنب ما هو سىء والتمسك بالعدالة .

ان الملك هو سيد الجميع ، بيد أنه أيضا مثـل الآخرين ، فهـــو خادم لله ، وسوف ينطبق عليه إسم الملك اذا ما كان سيدا على نفســـه

وليس عبدا للملذات غير اللائقة وعندما تحالفه التقوى ، فانه ينتصر على أشد الاغواءات قوة بفضل درع الاستقامة ٠

جاهد الى الأبد أيها الملك المنتصر ، ومثل الذين يصعدون سلما ، لا تتردد في حركة صعودك حتى تصل الى الدرجات العليا وواظب فى صعودك على أداء ما هو خير ، حتى تنعم بمملكة السماء ٠ فليحفظ المسيح مملكتك ومعك الامبراطورة زوجتك ، انه ملك الملوك وملك رعايا الملوك الى أبد الآبدين آمين ٠

(٤)

« نص قسم حكام الأقاليم قبل شغل المنصب » (٤)

أقسم بالله العلى القدير ، وبابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح وبالروح القدس ، وبالطوباوية مريم البتول ، دائما وعلى الدوام ، وبالأناجيل الأربعة التى بين يدى ، وبالقديسين ميخائيل وجبريل رئيسى الملائكة ، أن أظل مخلصا لسيدى جوستنيان الجليل ، ولسيدتى ثيودورا عقيلته الفاضلة ، وأن أباشر ادارة الجزء الذى عهدا الى بادارته بكل أمانة ونزاهة ٠

وأقسم أن أظل على الايمان الكاثوليكى الرسولى ، وأن أعمل على نشره فى كل الأوقات بأقصى ما عندى من جهد ، وألا أقبل غيره على الاطلاق ٠

وأقسم أننى لم ولن أدفع شيئا لأحد ، سواء من أجل الحصول على هذه الوظيفة التى كلفت بشغلها ، أو من أجل الحماية ، وأقسم أننى لم أحصل على وعد بالتعيين بالاقليم ، وأنى لم أدفع شيئا سواء باسم الامبراطور أو باسم الموارد المالية أو باسم الموظف المسئول عن الادارة ، أو الموظفين التابعين له ، أو الى أى انسان آخر ٠

وحيث أنى أتسلم وظيفتى دون أن أدفع شيئا ، فانى أقسم أن أظل عفيفا وطاهر الذيل مع رعية جلالة الامبراطور والامبراطورة ، وأن أكون قانعا بمرتباتى السنوية التى حددتها خزانة الدولة ٠

---

(٤) Les Novelles de L'Empereur Justinien, Traduites en francais par M. Bereinger fils, de Valence Drôme, Tome Premier, (Paris, 1811), Novel, viii, Titre, III, pp. 102-103.

وأقسم أن أبذل قصارى جهدى فى متابعة تحصيل الضرائب ، وأن أطالب المتراخين فى السداد بكل شدة ، وأن أكون صارما معهم ، مع اللجوء الى القسوة اذا ما تطلب الأمر ٠

وأعد ألا أطلب شيئا من أى كان ، أو أعطى شيئا الى أى كان بدافع الكراهية أو المحاباة وانما أظل متحليا بالحكمة والاقتـــدار ، وأن أعامل رعية جلالة الامبراطور والامبراطورة بكل حنان أبوى ، وأن أبذل قصارى جهدى فى المحافظة على حقوق رعيتهما ٠

وأقسم أن أظل نزيها ومحايدا فى القضايا الخاصة ، كما فى القضايا التى تتعلق بمجموع الشعب ٠ وأن ألزم كل سكان الاقليم المسئول عنه باتباع ما يحقق العدل ، وأن أطارد الجرائم بكل صـــورها ، وأن أراعى العدالة ، عند قمع تلك الجرائم وفقا لما يمليه على ضميرى ٠ وأن أحافظ على سلامة المواطنين ، الصالحين ، كما أبذل كل جهدى فى ردع المذنبين وفقا للقانون ٠

وأقسم كما قلت سابقا ، ألا أنتهج أى نظام سوى العدل الذى تضمنته القوانين العامة والخاصة ٠ وأن أتصدى بكل قواى لمن يعوقون تحصيل موارد الدولة المالية ٠ وأن أتابع الموظفين الذين سأعينهم حتى يباشروا مهام وظائفهم بنفس الأمانة التى أبغيها فى أمورى الخاصة ٠ وفى حالة اقتراف أحدهم أى عمل يتسم بالظلم ، فانى أعد بازالة هذا الجور ، مع طرد الموظف المذنب ٠

واذا ما أضحيت حانثا لليمين ، فانى أقبل أن أعاقب ليس فقط فى هذه الحياة ، ولكن أيضا عبر الأجيال القادمة ، فى محكمة مخلصنا يسوع المسيح المرعبة ، وفى مشاركة يهوذا الاسخريوطى فى العذاب ٠ ومن ناحية أخرى أتعرض للعقوبات التى يفرضها على قانون جلالة الامبراطور ٠

(٥)

« نص مرسوم خطة العمل لاصدار الديجست »(٥)

من الامبراطور القيصر فلافيوس جوستنيان التقى الموفق المجـــد هازم الأعداء المبتهج بالانتصـــار الأقدس على الدوام الى قســـطورم تريبونيان ٠

اننا نحكم امبراطوريتنا بتفويض من الله ، الذى منحها لنا من فضله

(٥) Constitutio Deo Auctore in The Digest of Justinian, translated by C.H. Monro, Vol. I. (Cambridge, 1904), pp. xiii-xvii.

في علاه ، اننا نواصل الحروب بنجاح ، وننعم بالسلام ، ونبذل أقصى جهدنا لاعادة بناء الدولة ، ونتوجه بقلوبنا الى السماء متوقعين مساعدة الاله الموجود في كل الوجود • ولذلك فاننا لا نضع ثقتنا في جيشنا ، ولا في جنودنا ، ولا في قادتنا في الحرب ، ولا في براعتنا ، بيد أننـــا نعلق كل أمالنا على العناية الالهية للثالوث الأقدس ، فحسب ، خالق عناصر الحياة في كل أنحاء العالم التي منها تكونت الحياة على الأرض •

١ ـ انه لا يوجد شيء أجدر بالاحترام مثل سلطة القوانين ، لأنها تنظم الأمور التي تعود بالخير في كل ما يتعلق بالشئون المقدسة وكذلك الدنيوية ، انها تقضي على كل أنواع المظلم ، ومع ذلك فاننا نجد أن كل قوانيننا ، التي ورثناها منذ تأسيس مدينة روما ، ومنذ أيام رومولوس Romulus ، قد وصلت الى حد الارباك لأنها صارت في كثرتها غير محدودة ، وتفوق كل الطاقة البشرية عند محاولة استيعابها ، لذلك كانت رغبتنا الأولى أن نبدأ بالقوانين التي صدرت منذ عهد الأباطرة المقدسين ، والعمل على تنقيحها ، وترتيبها ، حتى يمكن جمعها في مجلد واحد ، ونحذف كل ما هو مكرر وغير ضروري ، وكذلك التي لم تعد صــالحة للاستعمال •

٢ ـ وبعد أن تم انجاز هذا العمل وتجميعه في مجلد واحد في عهدنا الرائع ، ونحن نعمل على وجه السرعة مترفعين عن كل تقصير وكل ما هو غير هام ، وانما نهدف بذلك الوصول بالكامل الى تنقيح التشريع الروماني وأن نقدم في واحد المؤلفات المبعثرة للكثيرين من رجال القانون وهو الأمر الذي لم يحاول أحد من قبل القيام به أو مجرد الرغبـــة في تنفيذه • ولقد بدا ذلك الأمر على أنه غاية في الصعوبة ، بل في الحقيقة كما لو كان أمرا مستحيلا • غير أننا نرفع أيدينا للسماء ، ونصلي من أجل المساعدة الأبدية ، لذلك أخذنا على عاتقنا تنفيذ هذا المشروع واثقين أن الله سيمدنا بعونه ورعايته لاكمال هذه الانجازات التي تبدو أمامنا وكأنها من الأمور المستحيل تنفيذها •

٣ ـ وعلى ذلك فاننا نأمل في خدمتكم الممتازة وشخصيتكم المخلصة وعهدنا اليكم دون الآخرين بهذا العمل الاضافي ، بعد أن ثبت لدينـــا بالأدلة على مقدرتكم عند تجميعكم « مجموعتنا القانونية » ، ونأمركم أن تختاروا المعاونين لكم من ترونه قادرا للعمل من بين الأساتذة الضليعين ، وكذلك علماء المحاكم الذين نالوا شهرة في عملهم • وكذلك الشخصيات التي رضينا عنها وحضرت الى قصرنا وحازت قبولنا بناء على شـــهادتكم •

ولقد وافقنا على أن يعهد اليهم بانجاز كل الخطة • ومع ذلك يجب أن يكون معلوما أن يتم العمل كله تحت إشراف عقليتكم الراجحة •

٤ ـ وعليكم جميعا بناء على أمرنا أن تطالعوا وتبحثوا في الكتب التي تتعلق بالقانون الروماني التي كتبها فقهاء القانون القدامى الذين حصلوا على موافقة الأباطرة المقدسين عند كتابتهـــا وتفسير القواعد القانونية ، حتى تكون كل المواد القانونية صادرة عنهم ، وعليكم التخلص من كل تكرار وكل تناقض بقدر الامكان ، وعلى هذا تقدمون لنا عملا واحدا وكافيا بدلا من المواد القانونية المبعثرة التي عفا عليها الزمن • وحيث أن ، من ناحية أخرى كتب بعض المؤلفين عن موضوعات تتعلق بالقانون ، بيد أن كتاباتهم لم تقبلها أو تستعملها أي سلطات فيما بعد ، فاننـــا لسنا مهتمين بأن تسمح لمؤلفاتهم أن تؤثر على قرارنا •

٥ ـ ومحتوى المجلد المطلوب ، والذى سيتم تصنيفه بمشيئة الله ، من الواجب اخراجه على أحسن صورة ، وبذلك يكون جديرا بتخصيصه كمحراب مقدس للعدالة ، وأن توزع كل القوانين بين خمسين كتابا لهـا عناوين مميزة ، على غرار المجلد الذى تضمن التشريعات الامبراطورية في مجموعتنا القانونية • وكذلك المراسيم الدائمة Prepetual Edict بقدر ما ترون ما تحقق الفائدة الكبرى ، حتى لا يترك شيء خارج هذا المؤلف ، بيد أن كل القانون القديم ، والذى صار مربكا لمرور حوالى أربعة عشر قرنا عليه • ونقوم الآن بتوضيحه ، ونريد أن نضعه في اطار ، ولا نترك شيئا خارج هذا الاطار •

٦ ـ ومع ذلك ، يجب عليكم ، عند الموازنة بين عدد من المؤلفين الا تحكموا على أن أعمال أحدهم هي الأفضل والأكثر دقة ، لأنه من الممكن بالنسبة لوجهة نظر أحد الكتاب والأقل شـــأنا ، ان يقدم ما يستحق التفضيل في بعض النواحي ، بل ربما يكون ما قدمه أفضـــل من غيره يستحق التفضيل في بعض النواحي ، بل ربما يكون ما قدمه أفضل من غيره من المؤلفين ، ولهذا السبب فان الآراء المكتـــوبة على الحواشي ، ومنسوبة الى أميليوس بابينيانوس A emilius Papinianus ، والمأخوذة عن كل من يولبيانوس Ulpiasus وبولس Polus ولم تتحدث عن ماركيانوس Marcianus والتي لم يؤخذ بها في وقت من الأوقات نتيجة للشرف الذى ناله بابينيانوس الشهير ، لا يصح على الاطلاق رفضها ، بيد أنه اذا ما رأيت أن أى معلومات عنهم ضرورية لتصـــنيف مؤلفات بابينيانوس العبقرى أو تفسير كتاباته ، فيجب ألا تتردد في اعتبـــارها

صالحة كالقانون ، حيث يتضمن هذا المجلد كل مؤلفات هؤلاء العلماء التى سيكون لها قوة القوانين التى تصدر عن فمنا المقدس ٠

٧ ـ وهناك شيء آخر نطلب منك أن ترعاه وبعناية ، اذا ما وجدت شيئا في الكتب القديمة ليس مرتبا جيدا ، أو زائدا ، أو غير ضرورى ، أو بحاجة الى تكملة ، فان عليك أن تتخلص من الاطناب الذى ليست هناك حاجة اليه ، وأن تكمل أى نقص ، وان تقدم المصنف كله فى صيغة ملائمة وعلى شكل جذاب ٠ ويجب فى نفس الوقت أن تلاحظ ما يلى : اذا كانت هناك فى القوانين والتشريعات التى ذكرها الكتاب القدامى فى كتبهم تعبيرات غير صحيحة فعليك بتصحيحها فى كتبهم واعادة صياغتها ، حتى يكون كل ما تختاره وتكتبه ، أصيلا وحقيقيا ، وأفضل النسخ المعدلة للنص الأصلى ، وحتى لا تكون نسختك عرضة للانتقاص من قدرها اذا ما حاول أى شخص مقارنتها بالنص الأصلى ٠ واضعا فى الاعتبار بأن التشريعات القديمة والمسماة Lex Regia وكل ما يتعلق بالسلطات التشريعية للشعب الرومانى أصبحت جميعها ارثا للحكومة الامبراطورية ، واننا لن ننسب لأنفسنا التبعية لها ، بيد أننا نرغب فى أن تكون هى تابعة لنا ، اذ كيف تتعارض قوانين العصور القديمة مع تشريعاتنا ؟ وفى الحقيقة اننا نرغب فى استمرار القوانين التى ظلت سارية المفعول ، بيد أنه اذا ما ظهر شيء يتعارض مع عملنا ، فانه يجب اعادة صياغته وفقا لرغبتنا ومشيئتنا ٠

٨ ـ وبهذه الوسيلة ، ففي كل أجزاء مجموعتنا القانونية السابقة لن يكون هناك مجال لأى تناقض ـ وهو التعبير المستعمل منذ القدم ، والمأخوذ من اللغة اليونانية ـ بيد أنه يجب أن يكون اتفـاق كامل ، وتناسق تام ، ولا مجال لأى شخص لاثارة أى موضع للجدل ٠

٩ ـ وكما قلنا من قبل ، فيجب ألا يكون هناك تكرار عند تصنيف الديجست ، لأننا لا نسمح بمجرد وجود فقرة واحدة من قوانيننا المقدسة المدونة فى مجموعتنا القانونية أن تذكر فى الديجست على أنها جزء من القوانين القديمة ، لأننا نرى أن أى صيغة لقوانيننا المقدسة كافية تماما لاضفاء الشرعية عليها ، الا اذا كان ذلك بهدف ايضاح الفرق أو بهدف التكملة أو بهدف تصحيح النص ، وحتى هذا فيجب أن يكون فى أضيق الحدود ٠

١٠ ـ ومرة ثانية ، واذا ما كان هناك قواعد قانونيـة فى الكتب القديمة لم تعد تستعمل فى وقتنا هذا فاننا نسمح لكم بتدوينها ، لأننا

نرغب فى المحافظة عليها على أنها كانت سارية المفعول فى النظام القضائى ، وأنها أقرتها مدينة روما المبجلة ، بحكم سريانها لفترة طويلة ، طبقـا لمصنف سالفيوس جوليانوس Salvius Julianus الذى لفت الأنظار الى ضرورة أن تتبع كل المدن مدينة روما ، زعيمة العالم ، لا أن تتبع روما المدن الأخرى . ويجب أن تضع فى اعتبارك أن روما ليست المدينة القديمة فحسب ، بيـد أنها مدينتنا الملكية أيضا ، التى بمشيئة الله أقيمت على أروع مظاهر البشر والخيرات .

١١ ـ وبناء على ذلك ، فاننا نأمر أنه يجب أن يسير العمل فى اطار المجلدين التاليين ، أولهما التشريعات الامبراطورية ، والآخر كتاب القوانين Just enculeatum الذى لا لبس فيه ، ومنهما يخرج المصنف الجديد ، مع تصنيف كتيب كمدخل للدراسات القانونية Institutiones وذلك لتزويد طلاب الدراسات القانونية المبتدعين بالقواعد التى تمهـد للتعمق فى الدراسات الأعلى .

١٢ ـ وعملنا الكامل ، الذى ستقومون بانجازه بمعونة الله ، نأمل أن يحمل اسم الديجست Digest أو البندكت Pandects ، ولن نسمح فى المستقبل لأى انسان عالم بالقانون القيام باضافة أى تفسير خاص به حتى لا يفسد خطته ، كما حدث فى الماضى عندما ظهرت الآراء المتناقضة للمفسرين ، وتحول القانون كله الى حالة من الاضطراب ، بيد أنه مسموح باجراء القليل من التصحيحات ، وذلك عن طريق اللجوء الى الحواشى ، واستخدام العناوين البارعة ، وبذلك نتجنب أى مجال للشكوى التى يمكن أن تظهر من التعود على تقديم التفسيرات .

١٣ ـ ومخافة أن تكون طريقة الكتابة نفسها باعثا على الغمـوض فيما بعد ، فاننا نأمر بألا يكتب متن الديجست باستخدام طريقة الشفرات والاختصارات مما يسبب الحيرة والتناقض فى القوانين ، كما أننا لا نسمح باستخدام طريقة الأرقام العددية عند كتابته . وعلى ذلك فمن الواجب الكتابة باستخدام الحروف الأبجدية المألوفة .

١٤ ـ وبعون الله ، فان عليك وعلى أعوانك انجاز كل هذه الأعمال وعرضها علينا على أحسن صورة ، وفى أقصر وقت ممكن ، حتى يكون الكتاب الكامل ، والمكون من خمسين جزءا له ذكرى قوية وخالدة ، تتناسب مع عظمة عهدنا وكذلك جهودكم .

صدر فى الثامن عشر غرة يناير (١٥ ديسـمبر ٥٣٠م) فى القسطنطينية فى عهد قنصلية لامباديوس Lampadius وأوريستيز Orestes

(٦)

« كلمة جوستنيان الى طلبة الدراسات القانونية » (٦)

باسم ربنا يسوع المسيح

من الامبراطور القيصر فلافيوس جوستنيان ، قاهر الألمان ، والقوط ، والفرنجة ، والجرمان ، والأنطيين ، الآلانيين ؛ والوندال ؛ والأفارقة ، التقى ، المبتهج ، الشهير ، المنصور ، المظفر ، الأقدس على الدوام ، الى الشباب الراغب فى دراسة القانون ٠

ان السلطة الامبراطورية لا يمكن لها أن ترقى للمجد بالأسلحة فحسب ، ولكن أيضا بتدعيم القوانين ، وبذلك تسير دفة الأمور فى الدولة على ما يرام فى وقتى السلم والحرب ٠ وعلى هذا لا يكون الامبراطور منتصرا فى ميدان الحرب فحسب ، ولكن أيضا يكون قادرا ، بفضل كل الوسائل القانونية على التصدى لجرائم الخارجين على القانون ، وتحقيق العدالة والنصر على الأعداء ٠

١ ـ وبنعمة الله تحقق لنا هذا الهدف المزدوج ، نتيجة لجهودنا المضنية والمتواصلة وحرصنا الشديد ٠ فالأمم المتبربرة التى قهرناها ، أقرت ببسالتنا فى ساحة الوغى ، وتشهد أفريقيا والعديد من الأقاليم الأخرى بذلك ، تلك الأقاليم التى عادت الى السيادة الرومانية والى امبراطوريتنا ، بفضل الانتصارات التى منحها الله لنا ٠ وبالاضافة الى ذلك أصبحت هذه الشعوب خاضعة للقوانين التى أصدرناها ٠

٢ ـ اننا بعد أن أعدنا تنسيق هذه الأعداد الهائلة من القوانين الامبراطورية التى أضحت مدعاة للارتباك ، وجهنا اهتمامنا نحو هذا الخضم العجاج المتلاطم بمجلدات القوانين القديمة التى لا تحصى ولا تحصر ، وبمشيئة الله ، أنجزنا عملا كان يبدو بعيد المنال ٠

٣ ـ وبعد انجاز هذا العمل بمشيئة الله ، استدعينا ذلكم الرجل القدير ، وصاحب المقام الرفيع ، ومستشار قصرنا المقدس والقسطور السابق ، تريبونيان وكذلك الاستاذين ثيوفيلوس Theophilus ودوروثيوس Dorotheus ، بعد أن برهن ثلاثتهم فى كثير من المناسبات على تبحرهم فى القانون ، واخلاصهم فى تنفيذ أوامرنا وكلفناهم بصفة خاصة بتصنيف « مجلد لتعلم القانون » Institutes تحت رعايتنا ،

---

(٦) The Proem of the Institute of Justinian, translated into English by T.C. Sandards, Ninth Edition, (London, 1878); pp. 1-3.

حتى لا تتعلموا مبادىء القانون الأولية من مصادر قديمة وغير دقيقة ٠ وانما تتعلمونها من حكمة الامبراطور الملهم ٠ ولن تسمعوا شيئا خطأ أو عفا عليه الزمن ، ولكن كل ما يعرض عليكم هو المفيد فى الحياة اليومية ٠ واذا كان أمهر الطلبة فيما مضى لم يكن فى مقدرته ، بعد مضى ثلاث سنوات فى الدراسة ، أن يقرأ القوانين الا بشق الأنفس ، فانكم ستشعرون بالجدارة والسعادة عندما تتلقون القوانين من أولها الى آخرها من فم الامبراطور ٠

٤ ــ وبعد أن تم تصنيف الديجست أو البندكت Digesta seu Pandectes المحتوى على خمسين كتاب ــ بجهد تريبونيان القدير ومعاونيه المشهورين ــ والذى تضمن كل القانون القديم ، فاننا أمرنا بتقسيم الانستيتوشن Institutiones الى كتب أربعة لتكون المبادىء الأولى لكل علم القانون ٠

٥ ــ وفى هذه الكتب الأربعة تجدون ملخصا للقوانين القديمة ، وأيضا التى أغفلت بتقادم العهد عليها ، بيد أنها عادت الى العمل بها بفضل اصلاحاتنا القانونية ٠

٦ ــ وهذه الكتب الأربعة ، صنفناها على شاكلة غيرها من الكتب التعليمية القديمة ، وبصفة أساسية من مؤلفات عالمنا جايوس Gaius وكتابه « ماجريات الحياة اليومية » ، وأيضا من العديد من المؤلفات الأخرى ، التى عرضها علينا رجال القانون الثلاثة القديرين المشار اليهم بعاليه ٠ وبعد أن فحصناها بدقة وامعان أمرنا بأن تكون لها قوة قانونية شأنها شأن مراسيمنا ٠

٧ ــ فعليكم بقبول قوانيننا بكل شغف وادرسوها بكل عناية ، وجدوا وكدوا ، حتى يتحقق لكل الأمل النبيل فى المشاركة فى حكم جزء من امبراطوريتنا بعد انتهاء دراستكم القانونية بنجاح ٠

صدر فى القسطنطينية فى الحادى عشر قبل غرة ديسمبر فى عهد القنصلية الثالثة للامبراطور جوستنيان الأقدس على الدوام ٠

(٢١ نوفمبر ٥٣٣م) ٠

(٧)

نص رسالة الأساقفة أصحاب الطبيعة الواحدة الذين أعادهم جوستنيان من المنفى وذهبوا الى القسطنطينية (٥٢٩م) (٧)

أيها الملك المنتصر المتوج بالتمجيد ، ان العديد من الرجال يمجدونك لايمانك ، هؤلاء الرجال الذين ينتهزون الفرصة للكتابة عن فضائلك نحوهم • واننا لنتقدم بوافر الشكر والثناء ، ونعلن أنك جدير بالتمجيد •

وابان وجودنا فى الصحراء ، التى فى نهاية العالم ، كنا نعيش فى سكينة وندعو لك بالخير ، ونسأل الله الرحيم merciful God أن يغفر خطايانا • ان تواضعك جعلنا نميل الى التواضع ، وخطاباتك المؤمنة هى التى جعلتنا نأتى اليك •

والشىء الذى يثير الدهشة لنا أنكم لم تقابلوا طلبنا بالاحتقار ، بيد أن ردكم جاء وفقا للكرم الفطرى الذى جبلت عليه ، وتعاطفكم معنا ، لكى ترفعوا عنا كاهل الألم والأسى •

ولما كان من واجبنا طاعة أوامر جلالتكم ، لذلك شددنا الرحال وغادرنا الصحراء فى الحال ، وأتينا أمام قدميك •

وندعو الله الكريم الوهاب

لجلالتكم بالهناء وللملكة بوافر النعم ، وأن ينزل عليكما السكينة والسلام ، وأن يجعل كل عاص لكما ، مدحورا تحت قدميكما •

اننا أتينا لنقدم توسلنا لجلالتكم معلنين ايماننا الحقيقى ، غير راغبين فى اقامة أى جدل مع أى انسان فى أى موضوع غير مفيد ، حتى لا نثير مضايقات لجلالتكم ، لأنه من الصعب على أى انسان أن يقنع أشخاصا يميلون للمشاكسة مع أنه فى مقدرته اظهار الحقيقة •

ونرفض أن ندخل فى جدل مع المشاكسين ، الذين لم تتح لهم فرصة التعليم على يد المتفقهين فى الدين •

اننا أيها الملك المنتصر نؤكد اعلان حرية عقيدتنا مع أننا ابان وجودنا فى الصحراء ، وعندما تسلمنا أمركم عن طريق الدوق ثيودوتوس Theodotus كتبنا ، وأعلنا ما نعتقده ، وتشفعتم بدعوتنا للحضور الى القسطنطينية •

---

(٧) Zachariah of Mitylene, Chronicle, pp. 247-249.

وحيث اننا نحظى بنعم الله ، لذلك فاننا نتوســـل ابلاغ جلالتكم بمعتقدنا القويم الذى بنعمة الله تلمسناه من آبائنا منذ طفولتنا وشببنا عليه ٠

ونعتقد بما قاله آباء الكنيسة الأول ، وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر الذين صاغوا (قانون) الايمان ، drew up the faith (فى مجمــع نيقية ٣٢٥م) ، وكذلك الآباء المائة والخمسون الذين صدقوا عليه هنا (فى القسطنطينية فى المجمع المسكونى الثـــانى ٣٨١م) ، والأساقفة الأتقياء الذين اجتمعوا فى افســـوس (٤٣١م) ٠ ونعـارض نسطور الكافر ٠

وعلى هذا الايمان ، وهو ايمان آبائنا الأوائل ، تم تعميدنا ، وعليه نقوم بالتعميد ، وهذا الايمان المنقذ الراسخ فى قلوبنا ، وهو الايمان الوحيد الذى نعترف به ، ونرفض غيره ، لأن ايماننا كامل من كل الوجوه ولن يصيبه الهرم أو يحتاج الى تجديد ٠

ونعترف بعبادة الثالوث الأقدس فى طبيعة واحدة ، الاله المعروف فى ثلاثة أقانيم ، لأننا نعبد الآب ، وابنه الوحيد ، كلمة الله ، الذى ولد منه ولادة أبدية قبل كل الدهور ، ومعه دائما دون تغير والروح القدس الذى انبثق من الآب ومن جوهر الآب والابن ٠

ونؤمن أن أحد الأقانيم لهذا الثالوث الأقدس تجســـد من الروح القدس والعذراء المقدسة مريم أم الاله ، فى آخر الزمان ، من أجل خلاص البشر ، فى جسد ، وبروح عاقلة مفكرة ، تفوق جوهرنا ، وصار بشرا ولم يتغير جوهره ٠

ولذلك فهو اله كامل ابن الله الذى لم يتغير ٠ ، صار بشرا كاملا ، وضحى من أجل خلاصنا ٠ وليس كما يقول أبوليناز Apollinaris الأحمق ، الذى يقول أن الناحية الانسانية فى كلمة الله ، لم تكن كاملة ، وطبقا لرأيه ، فانه يحرمنا من نواحى لها أهميتها الرئيسية فى خلاصنا ، لأن عقلنا ليس متحد معه ، وفقا لقوله على نحو مناف للعقل ، وحينئـذ ليس لنا خلاص ٠

والحقيقة أن الاله الكامل صار بشرا كاملا دون تغيير ، من أجلنا وأن كلمة الله لم يترك أى شىء تحتاجه الناحية الانسانية ، وليس مجرد صورة مثالية لله ، كما تصور مانى الكافر أو اوتيخا Eutyches الآثم ٠

ونؤمن أن المسيح لا يعرف الكذب أو الخداع لأنه اله بالحقيقة ، وأن كلمة الله أصبح ذا طبيعة وشكل جسدى بالحقيقة وليس فى الشكل . ونؤمن أن له انفعالات طبيعية وصادقة ، لأنه برغبته ، ومن أجلنا تجسد وذاق الموت ، ووهبنا الحياة ، ببعث يناسب اله ، ونؤمن بأن جسده غير قابل للفساد وأبدى بالنسبة لطبيعته الانسانية ٠

(٨)

« نوفلا ٤٢ لسنة ٥٣٦م ضد قطبى أتباع الطبيعة الواحدة » انثيموس وساويرس (٨)

المقـــدمة :

عندما نصدر هذا القانون ، فاننا نقوم بعمل من صـــميم سلطتنا الامبراطورية ، ففى كل مرة يترك فيها الأمر لرجال الكنيسة نجـد أن جهودهم قد وضعت على الكرسى الأسقفى رجالا غير جديرين بهذا المنصب المقدس (مثل نسطور **Nestorius** وأوتيخوس **Eutychus** وأريوس Arius ومقدونيوس Macedonius وأونوميوس **Eunomius** وآخرين لا يقلون عنهم ضلالا) ، هذا فى الوقت الذى ظلت فيه السلطة الامبراطورية تؤيد وتدعم منصب الكهانة ، مستهدفين أنه وفقا لتقديراتنا الصحيحة ، فانه بالامكان اقامة تناسق واحد يشمل السلطة الدينيـــة والسلطة العلمانية ٠

ومن بين هؤلاء ما حدث من أنثيموس Anthimus الذى أجـبره قداسة أجابيتوس **Anthimus** طيب الذكرى ، أسقف أقدس الكنائس فى روما القديمة ، على النزول من فوق العرش الاسقفى لهذه العاصمة [القسطنطينية] ٠ وذلك لأن انثيموس ، دنس كل القوانين المقدسة ، واغتصب العرش الأسقفى بلا أدنى حق ، ولأن أنثيموس ابتعد عن التعاليم الصحيحة وطرح جانبا المعتقدات التى تظاهر بالايمان بها ، ومقدما العديد من الدعاوى ، على أنه يسير وفقا للمجامع الآربعة المقدسة [للأساقفـة الثلاثمائة والثمانية عشر فى نيقيـــة ٣٢٥م ، والمائة والخمســـون فى القسطنطينية ٣٨١م ، والمائتين فى افسوس ٤٣١م ، والستمائة والخمسون فى خلقيدونية ٤٥١م] ، مع أنه فى الحقيقة لم يقبل قوانين هذه المجامع أو ينتهز فرصة كرمنا وتصرفاتنا الحكيمة التى أبديناها من أجل تأييد خلاصنا جميعا ٠

---

(٨) Novelle Constitution, XLII, pp. 300-303.

الفصل الأول :

ولهذه الأسباب جميعها ، وواضعين فى الاعتبار ، قرار عزل أنثيموس الذى أصدره السنودس المقدس ، وفقا للقوانين المقدسة ، ولأنه استولى على المقاعد المقدسة فى هذه المدينة الامبراطورية ، ولابتعاده على الايمان الصحيح ، لذلك كله فان سلطتنا الامبراطورية تعلن أنه منشق ونصدر ضده القانون التالى :

اننا نمنعه من الاقامة فى هذه المدينة السعيدة [القسطنطينية] ، أو فى دائرة اختصاصه ، أو أى مدينة كبيرة أيا كانت • ونأمره بالتزام الهدوء والصمت فى حياته ، وأن يعيش بين أولئك الذين سيطرت الضلالات على نفوسهم على ألا يتصل بأحد من رعايانا ، أو أن يحاول تعليمهم معتقداته الدينية الملعونة •

١ ـ ونصدق أيضا على الحكم على كل الكراسى البطريركية أو الحبرية (ورؤساء الرهبان) ، الذين يعترضون على لعن ساويرس الذى بمخالفته للقوانين المقدسة للكرسى الأسقفى فى أنطاكية ، وهو المسئول الى حد كبير عن افساد كل الأمور والذى أتاح الفرصة الى قيام الاضطرابات الشديدة التى أحدثت فتنة كبرى وشنيعة بين الكنائس المقدسة • وشهدت العهود السابقة ، التى تفوقنا عليها ، صدور حكم اللعنة ضد الشخص السالف الذكر (ساويرس) بسبب البلبلة التى أثارها ، وهجومه على مبادىء الايمان الصحيح ، كما صدرت أيضا اللعنة ضد أولئك الذين يؤمنون بالآراء الضالة ، والمبادىء الخارجة على الكنيسة الرسمية ، وهم اتباع نسطور وأوتيخا • وهذه المعتقدات بالرغم من تعارضها مع بعضها البعض ، الا أنها مشتركة فى نفس الأهداف الضالة • وتشير على نفس النهج ، ملتزمة بآراء أريوس وأبوليناز **Appollinaire** وكلاهما يسيران فى نفس الطريق المؤدى الى هلاك الروح ، وأن الذى يعتنق مبادىء أحدهما يقع فى الضلال ، ويصبح آثما سواء اعتنق مبادىء نسطور أو أوتيخا •

١ ـ ونتيجة لذلك ، فان ساويرس سيظل موصوما باللعنة ، التى أصدرها ضده المجلس البطريركى العالمى والحبرى والديرى ، وسيظل مطرودا من كنيسة أنطاكية ، ومرفوضا من كرسيه الاسقفى ، الذى جلس عليه دون حق شرعى ، والذى احتله فى نفس الوقت الذى كان فيه سلفه موجودا أيضا بالكنائس المقدسة ، وأنه قام بطرد سلفه واحتل مكانه الأسقفى •

وحيث أن ساويرس لم يتوقف عن الاستمرار فيما حاولنا ارجاعه

عنه ، وبالرغم من وقوعه تحت طائلة اللعنة العامة من الكنيسة الأرثوذكسية الكاثوليكية الا أنه ملأ دولتنا بعدد لا حصر له من المؤلفات التى احتوت على تهجم بغيض على الايمان المسيحى . ولذلك فاننا نمنع كل رعايانا من اقتناء مؤلفاته . وفى نفس الوقت ليس من المسموح اقتناء الكتب المخطوطة الخاصة بنسطور (ولقد توسع أسلافنا من الأباطرة فى هذا الأمر ، وشملوا أيضا حظر أحاديث ومقالات بورفير Porphyre ضد المسيحيين) ، وفى نفس الوقت أى مسيحى لا يجوز له اقتناء كتابات ساويرس ، التى سوف ينظر اليها على أنها كتب مدنسة وتتعارض مع الكنيسة الكاثوليكية . وسوف يتم احراق كل من يحتفظ بكتابات ساويرس مالم يسرع فى التخلص منها .

واننا نحظر نسخ وكتابة مؤلفات ساويرس على يد أى من النساخ والعقوبة التى حددناها ، لذلك هى قطع اليد اليمنى ، واننا نرغب فى عدم اذاعة هذا الخروج الشنيع على الايمان المسيحى فى المستقبل .

٣ ـ وأخيرا فاننا نأمر بمنع ساويرس من دخول هذه المدينة الملكية (القسطنطينية) ونمنعه من دخول دائرة اختصاصه الاسقفى ، وكذلك كل المدن الكبرى ونلزمه أن يعيش فى عزلة فى أى مكان ، وأن يلتزم الصمت وألا يحاول افساد المؤمنين ، وألا يجرهم الى المقولات التى تتعارض مع الايمان المسيحى ، وألا يبتكر مرة ثانية آراء مخالفة لآراء غالبية المسيحيين ، مستهدفا اشاعة الفوضى والبلبلة بين كنائسنا المقدسة .

(٩)

« نوفلا ١٤٦ لسنة ٥٥٣م ، عن السماح لكل اليهود » باستعمال الترجمة اللاتينية أو اليونانية لكتبهم المقدسة (٩)

المقدمة :

على أولئك الذين يؤمنون بالكتب المقدسة العبرية ألا يتمسكوا بالمعنى الحرفى فحسب ، بيد أنه يجب عليهم أيضا أن يتفكروا مليا فى النبوءات التى تضمنتها هذه الكتب ، والتى بشرت بيسوع المسيح مخلص البشرية . ان اقرار اليهود للترجمات الغير دقيقة الى وقتنا هذا ، أدى الى أن ضلوا سبيل المبادىء الصحيحة للعقيدة ، كما ظلوا فى نزاع فى هذا الصدد . وأننا لا نريد أن يستمر هذا الأمر زمنا طويلا ، وبخاصة أنهم عرضوا علينا أنهم لا يعرفون اللغة العبرية ، مع رغبتهم فى تلاوة كتبهم

(٩) Novelle Constitution CXLVI, pp. 313-316.

المقدسة ، وأصبحوا فى حيرة من أمرهم لذلك فاننا نعتقد أن من واجبنا السماح لهم بتلاوة هذه الكتب ليس فقط باللغة اليونانية ، ولكن أيضا بكل اللغات الأخرى التى يعرفها المستمعون لها ٠

الفصل الأول :

اننا نسمح لليهود ، فى كل مكان ، بتلاوة كتبهم المقدســـة مع الأشخاص المجتمعين معهم فى معابدهم باللغة اليونانية ، أو اللاتينية أو أى لغة أخرى ، شريطة ألا يوجد خلاف بين ما يقرأ فى مكان عن مكان آخر ، لكى تكون تلاوة كتبهم المقدسة مفهومة للجميع ٠

غير أننا لا نسمح للمترجمين من اللغة العبرية الى اللغات الأخرى بتحريف النص ، واخفاء تزويرهم تحت ذريعة عدم معرفتهم لكثير من الشخصيات ٠

وعلى أولئك الذين يتلون الكتب المقدســـة باللغـــة اليونانية ، استعمال الترجمة السبعينية Septuaginta ، التى يمكن اعتبارها الأكثر صـــوابا والأفضل ، حيث أن من قاموا بترجمتها ، برغم عـدم ارتباط بعضهم ببعض لأنهم عاشوا فى أماكن متفرقة الا أننا نتفق معهم فى الترجمة التى وضعناها ٠

والواقع أن ترجمتنا لن تكون مثار دهشة لهؤلاء القوم ، وان كانت تفوق فى الاشارة الى التنبؤ بقدوم مخلصنا يسوع المسيح ، وهذه الاشارة قدمت البشارات المذكورة فى الكتب المقدسة ، كما هى موضحة ، وكأنها تمت بنعمة الكشف عن المستقبل ٠

ودون أن نستبعد الترجمات الاخرى ، فاننا نأذن لليهود باستعمال ترجمة أكوليوس Aquilius بالرغم من غموضها ، وأنها لا تتشابه مع الترجمة السبعينية فى بعض المواضع ٠

بيد أننا نمنع منعا باتا استعمال الترجمة التى يطلق عليها اليهود النسخة الثانية لأنها ليست فى عداد الكتب المقدسة ، فهى ليست على ما جاء به الأنبياء والرسل ، وهى من صنع بنات أفكار هؤلاء القوم الذين لا يتحدثون الا عن الأمور الدنيوية ٠

وعلى اليهود تلاوة الكلام المقدس ، وعدم قبول الترجمـــات التى لا نوافق عليها ، وعدم الاحتفاظ بكل ما هو غير صادق وحقيقى ، من المأثورات الشفوية وغير المكتوبة وألا يبتكروا ما فيه الهـــلاك الأبدى للضعفاء والسذج ٠

على أنه لكى لا يكون أولئك الذين يترجمون الى اللغة اليونانية أو اللغات الأخرى ، فى حالة قلق بسبب الحق الذى منحنـــاه لهم ، وحتى لا يتمكن كائن من كان من منعهم من الانتفاع بما منحناه ، لذلك فاننـــا نمنع ما يسميه اليهود ، (كبار الأحبار أو السادة) ، من صب اللعنات على الذين يترجمون كتبهم المقدســـة الا اذا لم يعبــــأون بالتعرض الى العقوبات البدنية ومصادرة أموالهم ذلك لأننا نأمر بما هو خير وبما يرضى عنه الله .

الفصل الثانى :

واذا ما تجرأ ، بعض الأشـــــخاص ، وكان فى حوزتهم مخطوطات وثنية ، أو أنكروا البعث ، أو يوم الحساب ، أو وجود الله ، أو أنكروا أن الملائكة من مخلوقاته ، فاننـــــا نأمر بطردهم من كل مكان ، ومنعهم من ترديد هذه الأقوال ، ونأمر بتنفيذ عقوبة الاعدام ، لاستئصال مثل هذه الآثام من بين اليهود الذين لا يعترفون بالاله الحق .

الفصل الثالث :

اننا سمحنا لليهود باستخدام كل اللغات عند تلاوة كتبهم المقدسة على النحو الذى يعلمهم التعاليم التى احتوتها هذه الكتب وأن يحرزوا تقدما سريعا نحو الخير والفضيلة ، بعد أن يكونوا قد نظروا الى المعنى المقدس فى النص ، دون الالتزام بالمعنى الحرفى ، حتى لا يقعـــــوا فى الخطأ ، ويرتكبوا الآثام فى الأمور الغاية فى الأهمية ، ونعنى بها ، الأمل فى الله .

(١٠)

« نوفلا ١٣٢ لسنة ٥٥٤م بشأن حظر الطوائف الدينية » المخالفة لمذهب الدولة من عقد الاجتماعات (١٠)

اننا نعتقد أن الايمان بالدين المسيحى هو أول وأعظم النعم لكل الجنس البشرى ، اذ أنه حق ولا ريب فيه ، ونعتقد أنه اذا ما تعـــاون الكهنة المقدسون فى كل أنحاء العـــالم ، وبشروا بالايمان المســــــيحى الأرثوذكسى ، فان كل دعاوى (الهراطقة) تصبح باطلة وغير ذى معنى .

ان هذه هى سياستنا التى أفصحنا عنهــــا فى كثير من القرارات والقوانين التى أصدرناها .

(١٠) Novelle Constitution, Cxxxii, p. 250.

ولما كان (الهراطقة) ، ليس لديهم أى احســـاس بمخافة الله ، أو التفكير فى العقوبات الصارمة التى أصـدرناها ضـــدهم ، ومازالوا يصرون على اطاعة الشـــيطان والتغرير ببعض البسطاء من النـــاس ، والاستمرار فى عقد الاجتماعات السرية التى تتعارض مع كنيســـة الله الكاثوليكية المقدسة والرسولية ، وممارسة التعميد المحظور فاننا نعتبر أنه من واجبنا المقدس ، أن نحذر هؤلاء الآثمين ، لعلهم يكفون عن جنونهم وألا يؤدى مكرهم الى هـلاك الأرواح ، فى الوقت الـــذى يتعين عليهم الانضواء تحت كنيسة الله المقدسة ، حيث التعاليم الصادقة ٠

ونعلن أن كل (الهرطقات) ، بـكل مؤيديها موقع عليهم الحرمان الكنسى [اللعنة] ٠

ويجب أن يكون معروفا للجميع أنه من الآن فصاعدا ، اذا ما وجد أى شخص يدعو الى عقد هذه الاجتمـاعات المحظـــورة ، أو حضر هذه الاجتماعات التى يدعوا اليها هؤلاء (الهراطقة) فاننا لن نسمح بحدوث مثل هذا الأمر بأية حال على الاطلاق ، مع توقيع العقوبات المنصوص عليها فى قوانيننا السابقة على هؤلاء جميعا بكل الطرق الممكنة ٠

صـــدر فى القســـطنطينية فى الرابع عشر من أبريل ، فى عصر الامبراطور جوستنيان العلى الشأن على الدوام ، أثناء قنصلية باسيليوس ٠

(١١)

« نوفلا ١٢٩ لسنة ٥٤٢م عن السامريين » (١١)

المقـــدمة :

من بين الجرائم التى يقترفها رعايانا ، لا يوجد أخطر من تلك التى لا نستطيع قمعها ٠ وان بغضنا لأولئك الذين استسلموا للآثام حملنـــا على الانتقام ، وفى هذه الأثناء لم نقم بمعالجة الموقف بأسلوب التحذيرات لمرتكبى الجرائم ، وانما حولنا غضبنا الحق ، الى عفو ورحمة ، وكرسنا أنفسنا للعمل الطيب ، وذلك باصدار هذه الرسالة القانونية ٠

لقد ابتلينا فيما مضى بالعديد من النكبات على أيدى السامريين ، الذين كانوا فى ذلك الحين ألد أعداء المســـيحيين والذين كانوا فى غاية الكبرياء والتعالى ، ولذلك فاننا حرمناهم من حق عمل الوصايا ، التى تنتقل الى ورثتهم الا اذا كانوا ورثة شرعيين ، ويعتنقون الايمان المسيحى

---

(١١) Novelle Constitution, Cxxix, pp. 233-236.

الحق . ومنعناهم من الوصايا بالهبات أو التبرعات أو نقل الملكية مهما كانت ثروتهم طالما لم يعلن المستفيد من الارث عن اعتنـــاقه للايمان الكاثوليكى . وبالرغم من أننا أوضحنا هذه العقوبات فى قانون شامل ، الا أننا لم نلجأ الى نفس العنف عند تطبيقه لأننا لم نكن نعانى على الاطلاق من حاجتنا الى الأموال ، وأن هذا ذكر صراحة فى قانون .

الفصل الأول :

والآن فان تصرفنا باعتدال تجاه السامريين ، نعتقد أنه كان فى غير موضعه ، عندما تركنا تنفيذ نفس العقوبات ضد هؤلاء القوم الذين لم يعودوا ضمن رعايانا بعد سبب ضلالاتهم .

ونؤيد التماسات وشكاوى القديس الطاهر سيرجيوس . Sergius أسقف مدينة قيصرية (بفلسطين) ونقر ما جاء بها ، بدليل أننا نشهد لصالحها وفضلها فى عودة الهدوء من أجل المستقبل .

اننا أصدرنا هذا القانون المقدس من أجل أن نسمح للسامريين ، فى العمل منذ اليوم ، فى تنفيذ الوصـايا ، وفى التصرف فى ثرواتهم ، ملتزمين بالقوانين الأخرى ، والقانون الحالى . وعنـــد وفاة أحدهم دون وصية ، فاننا نسمح لهم اقتداء بالرجال الآخرين الذين لهم ورثة شرعيون مع الالتزام بالاستثناءات المذكورة فى قانوننا الحالى .

واننا نمنح السامريين الحق فى اعطـــاء التبرعات وفى منح وتقبل الهبات بالوصية وممارسة الأعمال الأخرى المشابهة بكامل الحرية لأنه طالما أننا سمحنا لهم بكتابة الوصية والتصرف فى ثرواتهم بالكامل ، فكيف نرفض لهم الحق فى التصرف الجزئى ؟ .

على أننا لا نضع ورثة المسيحيين وورثة السامريين فى نفس المرتبة ، وانما نمنح ميزة لأولئك الذين يعلنـــون عن ايمانهم الأفضل [يقصـد المسيحية] . وفى حالة وفاة سامرى دون كتابة وصية ، وترك أبنـــاء يؤمنون بالاله الحق ، فان هؤلاء لهم الحق فى الميراث ، أما أولئك الذين ظلوا على ضلالاتهم فليس لهم الحق فى الميراث مما ترك المتوفى .

ونطبق هذا الحكم القانونى ليس فقط على الأبناء ، ولكن أيضا على الأقارب الآخرين ، والذين يمتون بصلة للمتوفى ، بحيث نفضـــل هؤلاء الذين يؤمنون بالايمان المسيحى على أولئك الذين لا يؤمنون .

الفصل الثالث

انا لا نحرم الورثة من ممارسة سر التوبة لأنه اذا كان هؤلاء محرومين من الارث بسبب ضلالاتهم ، وأرادوا اعتناق المسيحية ، فانه يحق لهم الحصول على الميراث ، بنفس القدر الذى يحق لأولئك الذين كانوا يعيشون دائما وفقا للدين الحق [المسيحية] ، الا اذا كانوا محرومين من حقهم فى الميراث ، وحدث ذلك منذ تاريخ وفاة المتوفى ٠

واذا كتب أحد السامريين وصية ، فاننا نأمر أن يكون لها الصلاحية القانونية ٠ غير أنه اذا كان الابن أو أحد من الأعقاب (أو من نفس الأسلاف) الذين ذكرتهم الوصية ، من بين أولئك الذين يعتنقون الضلال مثل الوالد ، فاننا لا نسمح لهم بالحصول على شىء من الثروة التى يحصل عليها الذين يدينون دين الحق ٠ ونتيجة لذلك فاننا نسمح فى كل الأحوال بحصول الذين يعلنون عن ايمانهم بالدين الحق [المسيحية] بنصيبهم فى الوصية دون منازع من الأسلاف أو الأخلاف ٠

الفصل الرابع :

اننا نسمح للسامريين بعمل وثائق الهبات والتصرف فى العبيد وابرام العقود المتبادلة على ألا ينسخ هذا القانون أيا من الأحكام القانونية التى أصدرناها بخصوص خزانة دولتنا ، وكذلك ما يتعلق بالضرائب العامة على التركات ، والأموال التى فى حوزة السامريين مهما كانت قيمتها ٠ وأصدرنا هذه الأحكام القانونية ، ليس فقط من أجل المستقبل ولكن أيضا بأثر رجعى ، وذلك لصالح خزانة دولتنا ، ولحصر ثروة السامريين ٠

وأصدرنا هذا السماح للسامريين ابتغاء تقديم الشكر لله ، وتحقيقا لمطلب قداسة سيرجيوس ٠

(١٢)

« نوفلا » ١٤٤ لسنة ٥٥٦ م عن السامريين » (١٢)

المقدمة :

اننا نكرس وقتنا باستمرار من أجل العمل على انتشال السامريين من ضلالهم ، ومن أجل علاج أنفسهم التى أفسدتها هذه الآثام ، تشبها بالملك التقى والدنا [يقصد خاله جوستين] ٠

(١٢) Novelle Constitution, Cxliv, pp. 308-310.

غير أننا لم نحقق بعد الغاية التى حددناها لأنفسنا ، لأن كثيرا من الناس قد استسلموا للضلال ، بعد أن كانوا قد نعموا بالمعمودية المقدسة ، وبذلك عادوا الى غيهم ، الذى كانوا قد نجوا منه ، بل وأنهم استمالوا اليهم الآخرين الذين لم يخشوا عواقب مشاركتهم فى ضلالهم بنفس القدر من التهور والاندفاع ٠

الفصل الأول :

ولهذا فاننا نحرمهم من حق الوراثة بالوصية أو بالطريق الشرعى ، ونحرمهم من الحصول على الهبات وألا يحصلوا على شىء اطلاقا تحت اسم وثيقة هبة ٠ ويسرى هذا الحظر على السامريين ، وعلى كل (الهراطقة) بصفة عامة ، وعلى أولئك الذين يتظاهرون باعتناق عقيدة المسيحيين الحقة ، على سبيل النفاق والخداع ، دون الالتزام بالمبادىء الأساسية للمسيحية ٠ ولن يحق لهم جميعا كتابة الوصايا ، أو الهبات ، أو منح العطايا ، الا اذا كان مستحقيها قد صح ايمانهم ٠

واذا لم يكن ورثة السامريين يدينون بالمسيحية فاننا نأمر من الآن فصاعدا ، بأنه عند وفاة أحدهم تصبح كل ثرواته حقا للخزانة المقدسة ٠ وينجم عن هذه التنظيمات القانونية أن الصيغة المقدسة التى قد أصدرها والدنا [يقصد خاله جوستين] بهدف التسامح مع السامريين ، والتى لها قوة القانون ، حيث أعطاهم الحق فى قبول وانتقال الارث ، كما يتم فى الهبات وبالوصية والمسموح بها للآخرين ، فانها تصبح لا غنية وغير ذات موضوع من الآن فصاعدا ٠

وهؤلاء الذين استسلموا للضلال من السامريين ، لم يحاولوا العودة للاستفادة من قانوننا ، لذلك فانهم سيحرمون أنفسهم من رحمة الهنا وربنا يسوع المسيح ، وسنحرمهم من الخيرات التى كنا فى الماضى نمنحها لهم ، لكى يعضوا بالنواجز على العقيدة القويمة ٠

الفصل الثانى :

ونستثنى من هذا القانون الحالى ، الأقنان الذين اعتنقوا ضلالات السامريين ، ليس لمجرد اسداء الجميل لهم ، وانما لأنهم يفلحون أراضى التركات التى تحمل منها الايرادات والضرائب الى خزانة الدولة ، ولأن سذاجتهم تساعد على اضلالهم ٠

ونسمح لهؤلاء الأقنان ـ برغم اقامتهم شعائر السامريين ـ بتعيين الورثة أو الموصى لهم بكل الثروة أو المال ، الى درجة الأسلاف أو الأخلاف ، أو الأقارب ، شريطة أن يستمروا فى فلاحة الأرض ، على غرار ما كان يفعل سادتها ، وذلك بانتاج أفضل المحاصيل وسداد كل الضرائب لخزانة الدولة ٠

ولنفس السبب نسمح للأقنان بأن يصيروا ورثة بلا وصية ، ونود أيضا أنه فى حالة وفاة أحد الأقنـــان دون أقارب فانه على المشرف على التركة جنى المحصول وتسليمه الى الدولة بمعرفته ٠

اننا نمنع تكليف السامريين بأى أمر يسمح لهم بالوصـــول الى الادارات المدنية ، أو المثول أمام القضاء أو القاء الأحاديث الدينية أو تعليم الصغار ٠

ان السامريين الذين نعموا بالمعمـــودية ، ثم ارتدوا الى ضـــلالهم السابق ، وتم ضبطهم يراقبون ظهور القمر ليـــلا فى محفل السبـــت Sabbatha أو يقيمـــون بعض الشعائر الأخرى ، والذين ثبت أن تعميدهم لم يكن الا من قبل الخداع والنفاق ، فاننا نأمر بابعادهم ونفيهم مدى الحياة ٠

كما نطبق نفس العقوبات على المتسترين عليهم ٠ غير أنه يبدو لنا ، أن أولئك الذين يطلبون التعميد المقدس لا يصح أن يتم قبولهم جزافا ، وانما نريد أن تجرى لهم اختبارات وأن يتم تلقينهم أصول العقيدة فى فترة المسارة ratio-initiation [وهى احتفالات كانت تقام لايقـــاف عضو جديد على بعض أسرار الديانات القديمة] ٠

وكذلك نأمر أن أولئك الذين استطاعوا أن يتفهموا العقيدة الصالحة [يقصد المسيحية] يجب عليهم أن يتعلموا مبادىء الايمان لمدة عامين ، وأن يدرسوا الكتب المقدسة أولا ثم بعدئذ يتقدمون للتعميد المقدس من أجل الخلاص ، وبذلك ثمرة السر ، بعد هذه الفترة الطويلة من التوبة والندم ٠ على أن هذا الشرط لا ينطبق على الأبناء الصـــغار لأن سنهم لا يسمح لهم بتفهم الايمان المقـــدس ، ومن ثم يتم تعميدهم دون قيـــد أو شرط ٠

ونأمر بأنه لا يجوز لأى سامرى أن يقتنى عبـــدا مسيحيا ، واذا ما اشترى عبدا مسيحيا ، فان هذا العبد يعتق فور ا، واذا ما اعتنق عبد مملوك لأحد السامريين الايمان المسيحى ، فان هذا العبد يجب أن يحصل على الحرية الرومانية ٠

(١٣)

« نوفلا ٥ لسنة ٥٣٥م عن الرهبان » (١٣)

المقـــدمة :

ان الحياة الرهبانية حياة مثالية لأنها تتيح للانســان الذى يعتنق الرهبنة ، أرغد الحياة مع الله ، وتطهر الراهب من كل الخطايا الانسانية ، وتجعله طاهرا ، ولين العريكة ، وواســـع المعرفة ، ومترفعا عن الكبائر والآثام ٠

واذا ما أراد أى شخص الانخراط فى سلك الرهبنة عليه بالاستماع الى العلوم اللاهوتية ، والتحلى بالاســـتقامة ، وبدخوله الدير يصــبح أهلا لهما معا ٠

ونعتقد أنه من الواجب علينا الاهتمام بالرهبان ، وأن نضع لهم خطة العمل المقدس لأن هدفنا من القانون الحالى ألا نألوا جهدا فى تدبير كل ما يعنيهم ، بعد أن قمنا بتنظيم كل ما يتعلق بالأساقفة المقدسين والكهنة الموقرين ٠

الفصل الأول :

اننا نأمر بأنه لا يجوز لأى شخص ، فى أى زمان وفى أى مكان ، بناء دير قبل ابلاغ أسقف الأبرشية الذى يقوم بتكريسه ، ووضع رمز الخلاص (الصليب) ورافعا يديه الى السماء ، ومحددا رئيسا لهذا الدير ثم يبدأ العمل فى اقامة المبنى وفقا لأصلح قواعد البناء ٠

الفصل الثانى :

وبالنسبة لحالات الالتحاق ، فانه يحق للعبد كما يحق للحر الانضمام الى الدير ، حيث لا يصح أن يكون هناك فرق بين الرجل والمرأة بسبب العبادة ، ولا بين الحر والعبد ، فالكل سواء فى المسيح ٠ وعلى ذلك فان الذين يبلغون عن رغبتهم فى التعبد وفقا لقــوانين الرهبنـــة المقدسة لا يسمح لهم رؤساء الأديرة بارتداء الثوب الديرى على الفور ، وانما عليهم الانتظار ثلاث سنوات متتالية ســواء أكانوا أحرارا أم عبيدا ، ليتعلموا خلالها علم اللاهوت ، ثم يقام لهم أكليل الرأس [دائرة محلوقة فى قمة رأس رجل الاكليروس] ، وأن يعرف منهم رؤساء الأديرة ان كانوا أحرارا أم عبيدا وعن الدافع الذى حدا بهم الى الانخراط فى السلك الديرى ٠

---

(١٣) Novelle Constitution V, pp. 36-43.

وبعد التأكد من عدم وجود دافع جنائي حملهم على الانخراط فى سلك الرهبنة ، يسمح لهم بالانتقال من عداد المبتدئين فى الرهبنة الى الحياة الجديدة للرهبان حيث الصبر والاستقامة ، والمعاناة الكثيرة ·

١ ــ وبعد ثلاث سنوات من المثابرة من قبل المبتدئين فى الرهبنة ، فانهم سيظهرون أفضل بكثير من الرهبان القـــدامى ، وأكثر قدرة على التحمل · وحينئذ يكونون مؤهلين لارتداء ثوب الرهبنة ، واكليل الرأس · واذا كانوا أحرارا فعلى رئيس الدير قبولهم دون تعقيدات وأما اذا كانوا عبيدا فانهم يقبلون وفقا للسيادة العامة لكل البشر وتســـقط عنهم العبودية ، اذ ان المشيئة الالهية شاءت ان يتحرر هؤلاء العبيد بقـــوة القانون وحده ·

غير أنه اذا ما حدث خلال فترة سنوات التجربة الثلاث ، أن طالب شخص ما باعادة عبده اليه ، والذى يتعلم أصول وقواعد الرهبنة · ففى هذه الحالة اقترح علينا المحب لله زوزيموس Zosimus من ليـــكيا Lycia وهو رجل مبجل فى الرهبانية ، وناهز العشرين بعد المائة ، ومازال يتمتع بكل قواه الروحية والجسدية ، والذى على يديه أغدق الله علينا من نعمه ·

انه اذا ما تقدم شخص ما ابان فترة الترهبن [حالة الراهب قبل التثبيت] ، من أجل اعادة أحد أولئك الذين أصروا على التشبث بالانخراط فى الحياة الرهبانية الى حياة العبودية مرة ثانية على رغم أنه لجأ الى الدير هروبا من جرائم ارتكبها فاننا لا نريد أن يتم القاء القبض عليه على الفور ، بل يجب أن يثبت ســـيده أولا أن المترهبن عبد تابع له ، وأنه مذنب بجريمة السرقة أو الحياة الفاسدة ، أو ملطخ بالرذيلة ، وأن هذه الجرائم هى التى حملته على اللجوء الى الدير ·

واذا كان الاتهام صحيحا ، وظهر أن العبد تظاهر بالرغبة فى الحياة الرهبانية واتضح مؤخرا بالدليل القاطع أنه تهرب من حياته الاجرامية ، وأنه لم يكن فى الحقيقة راغبا فى ارتداء ثوب الرهبنة المقدس ، حينئذ يجب اعادته الى سيده ، واعادة كل الأشياء التى سرقهـــا ، اذا كانت موجودة فى الدير · وأن يقسم السيد عند استلام هذا العبد على حسن معاملته له دون أن يصيبه بأى أذى ·

٢ ــ غير أنه اذا لم يقدم الشخص الذى أكد أنه سيد للعبد الدليل الحقيقى ، واذا ما اتضح أن العبد كان مستقيما وعلى خلق مع زملائه من الرهبان الجدد ، واستطاع أن يثبت بالأدلة أنه ابان وجوده عند سيده ،

أنه كان مطيعا وصالحا ، ففي هذه الحالة ، وبرغم عدم اكماله لفترة الثلاث سنوات الخاصة بالترهبن ، فانه سيبقى فى الدير ، وينجو من المطاردات التى تستهدف اخراجه منه ·

على أنه اذا أكمل العبد ثلاث سنوات الترهبن ، وثبت أنه جدير بالانضواء تحت شرف الرهبنة فلن يستطيع أحد اخراجه منه لأنه على افتراض أنه مارس الرذائل فى مستهل حياته (اذ أن النفس البشرية جبلت على الشر) ، فان السنوات الثلاث من المعاناة والمشقات ستكون كافية للتكفير عن ذنوبه ، وتأصل الطهارة فى نفسه ·

غير أنه يتعين اعادة كل الأشياء المسروقة بمعرفة الراهب العبد (اذا كانت موجودة فى الدير) ، الى سيده القديم ·

٣ ـ واذا ما سولت نفس العبد المترهبن الهروب من الدير واختيار نمط آخر للحياة بعد هروبه من سيده ، فاننا نسمح لسيده باسترداده ، بعد التحقق من حالته · لأن عند عودته الى حالته الأولى ، سيلقى لعنة أقل خطورة عن تلك التى سيتعرض لها عند الله اذا ما هرب من عبادته · وهذه هى أوامرنا تجاه كل من يرغب فى الانخراط فى السلك الديرى ·

الفصل الثالث :

اننا لا نريد أن يقام دير فى أى جزء من الامبراطورية ومتكونا من قليل أو كثير من الرهبان الذين يكونون شيعا منفصلة عن بعضها البعض ، مستخدمين مبانى خاصة بهم ، وانما نريد أن يتبادلوا طعامهم معا ، وأن يناموا معا فى نفس المبنى ، وأن يضم الرهبان دير واحد ·

وفى حالة ما اذا كان المبنى كافيا لاستيعاب عدد كبير من الرهبان ، فعندئذ سيتم توزيعهم على ديرين أو أكثر على ألا يفصل الرهبان ويعيش كل بمفرده ، وانما يجب أن يعيشوا دائما عيشة جماعية ، لكى يكونوا شهداء على عفتهم وطهارة نفوسهم بالتبادل · وطهارتهم وعفتهم فى منامهم ، وأنهم لا يفكرون فى المنفعة المادية لئلا يستنكر أحد ما تصرفاتهم .

ويستثنى من ذلك الراهب الذى يلجأ الى مضيفة دينية hospitus لكى يعيش فى حالة من التأمل والاستغراق الدينى ، ويعزل نفسه عن الناس (مثل أولئك الذين يطلق عليهم الزاهدون أو النساك ، أو المتعبدون ، ونعنى بهم ، الممارسون لحياة العزلة والانفراد ، أو الذين يعيشون فى سلام متجنبين التعامل مع الناس حتى يكونوا أكثر صلاحا) .

ونريد أن يجتمع كل الرهبان في جماعة واحدة ، وأن يعيشوا في المكان الذى يطلق عليه « دير » وهو التعبير الذى يطلق على المكان حيث يعش المرء في جماعة ٠

وبهذه الطريقة فان حميتهم تجاه الفضيلة ستزداد ولا سيما عند صغار الرهبان ، الذين يكونون يدا واحدة مع الرهبان الكبار في السن ، لأنه في مجتمع كهذا سينصلح حال الرهبان الصغار بدرجة كبيرة ٠

وبذلك يكون الرهبان متآلفين في الدير ، ومطيعين لرئيســـــهم ، وسيراعون النظام الذى يضعه لهم بكل دقة ٠

الفصل الرابع :

اذا نذر شخص ما نفسه للحياة الديرية ، وارتدى ثوب الرهبان ثم أراد أن يعتزل الدير ويمارس الحياة الخاصة ، وهو الذى يعلم أن الحياة الديرية ستهىء السبيل لرضى الله ، وتحقق كل ما يتمناه ، عند انضمامه الى الدير يظل معروفا لدى كل رهبان الدير حتى لا يحاول تكرار عودته مرة ثانية للدير ٠

الفصل الخامس :

اننا نأمر الذين يريدون أن ينذروا أنفسهم لله ، أن يتصرفوا أولا في ثرواتهم بالطريقة التى تحلو لهم ٠ ذلك لأن ممتلكات كل من ينخرط في السلك الديرى تصبح ملكا للدير ويفقد صاحبها حق تملكها ، بالرغم من أنه لم يعلن صراحة عن ذلك في هذا الصدد ٠

وفي حالة اذا ما كان الشخص الذى أصبح راهبا وله أطفال ، وحدث أنه كان قد ترك لهم جزءا من ثروته على شكل هبات ante nuptas أو على شكل بائنة ، وأن ما تركه لأطفاله يمثـــــل ربع الميراث الشرعى abintestat فلا يحق لأطفاله المطالبة فيما بعد بباقى ثروته ٠

غير أنه لم يعط الوالد لأبنائه شيئا أو ترك لهم أقل من ربع ثروته ، قبل أن يزهد في الدنيا ، عليه أن يقر بين الرهبان ، ان هذا الربع سيظل دائما من حق الأطفال أو الجزء الذى يكمل ربع الثروة ، اذا ما كانوا قد خصص لهم أقل من الربع ٠

وأخيرا اذا ما كان لشخص ما زوجة وتركها ودخل الدير ، فان هذه الزوجة يحق لها مهرها وكل المزايا التى ورد ذكرها في عقد الزواج

التى تستفيد منها فى حالة وفاة زوجها (كما ذكرنا من قبل فى قوانين سابقة) ٠

كما أن كل النصوص المذكورة بعاليه ، والمتعلقة بالرهبان ، يجب مراعاتها بالنسبة للنسوة الراغبات فى دخول الأديرة ٠

الفصل السادس :

اذا ما لجأ أحد الرهبان الى مغادرة ديره بغية التطوع فى الجيش ، أو اختيار نمط حياة آخر ، فان كل ثروته تصير حقا مكتسبا للدير (كما ذكرنا من قبل) ، من وضعه تحت مراقبة موظفى حاكم الاقليم لمتابعة تصرفاته ، ومحاكمته اذا ما صدر منه ما يسىء الى الحياة الكهنوتية المقدسة ٠

الفصل السابع :

اذا ما ترك راهب الدير الذى كان يعيش فيه مع جماعة من الرهبان الى دير آخر ، فان ثروته تظل حقا مكتسبا للدير الأول الذى نقل اليه تلك الثروة عندما زهد فى الدنيا ٠

ولا يجوز لرؤساء الأديرة الآخرين قبوله ، لأن الحياة الرهبانية لا يسمح فيها ، بالتساهل أو أن تكون علامة الانحلال الدائم ، أو اشارة الى الروح القلقة التى تبحث عن موضع لم تجده على الاطلاق ٠

وعلى الأساقفة المقدسين ، ورؤساء الأديرة رفض قبوله وعليهم المحافظة على النظم الديرية المقدسة من أجل صيانة المجتمع الديرى ٠

الفصل الثامن :

اذا ما أراد أى راهب أن يرسم كرجل من رجال الدين ، فان عليه مراعاة نظام الطائفة الدينية التى ينتمى اليها بكل طهارة وعفة ، وان من يصبح كاهنا ، واستغل الثقة التى وضعت فيه وتزوج (يوجد درجات كهنوتية بين رجال الدين لا يحرم أولئك الذين يتزوجون مثل المنشدين والقراء ، بمقتضى القوانين المقدسة فان القانون يحرم على كل رجال الدين الآخرين الزواج أو اتخاذ المحظيات ، أو ممارسة حياة الفجور والدعارة) فانه يتم استبعاده كلية من عداد رجال الدين ، لأنه جلب الخزى لحياته الأولى القائمة على العزلة والتدين مع باقى الرهبان ، ويصبح على الفور

انسانا عاديا (بلا منصب دينى) ، ولن يستطيع مباشرة أى عمل مهما كان ، دون تعرضه للعقوبات التى أصدرناها منذ عهد بعيد ٠

وأخيرا فان الراهب الذى يتزوج انما يحط من قدر نفسه فحسب ، هذا الوقت الذى يتحتم عليه أن يحظى برضاء الله عليه وفقا لسلوكه ٠

الفصل التاسع :

اننا لا نريد أن تتم رسامة رؤساء الأديرة (حيث أن أحد الأديرة ضل الطريق القويم) وفق نظام الأقدمية المطلقة للرهبان المحترمين ، وانما على قداسة الأسقف اختبار الرهبان الواحد بعد الآخر (مع عدم اللجوء الى نظام الأقدمية المطلقة أو النظام الذى يضعه الدير لنفسه) ، وانما على قداسة الأسقف أن يختار الأكثر احتراما وروعا من بين رهبان الدير ليكون رئيسا على الدير ٠

والسبب فى ذلك يرجع الى أن الطبيعة البشرية تعترض على أن يكون رؤساء الأديرة قاصرا على الرهبان الذين ناهزوا أرزل العمر أو من بين الرهبان الذين فى مرحلة الصبى ٠

وأن يكون اختيار الأسقف لرئيس الدير من بين المتقدمين لشغل هذا المنصب مع مراعاة المفاضلة على أساس درجة الكفاية ، والمقدرة ، والتحلى بالفضيلة ، والأكبر سنا ، لأنه لابد أن يكون معروفا عند الرهبان بمكانته العالية ٠

(١٤)

« نوفلا ١٣٣ لسنة ٥٣٩م عن حياة الرهبان » (١٤)

المقـــدمة :

ان الحياة الرهبانية حياة مقدسة ، فهى تجعل الأرواح متصلة بالله ، ولها فائدة عظمى ليس فقط لأولئك الذين ينخرطون فى سلكها ، ولكن أيضا لكل الرجال الآخرين ، بفضل طهارة الرهبان وبفضل صلواتهم لله العلى القدير ٠ ان أحوال الرهبنة تقوى باهتمام أسلافنا ، وقمنا بأنفسنا باصدار العديد من التشريعات الرامية الى تكريم وتبجيل الرهبان ٠ ونحن فى ذلك نقتفى أثر قوانين الرهبنة المقدسة ، والمبادىء التى وضعها الآباء الاول ، والتى وفقا لها لا يصح أن يكون هناك شىء يشغل الامبراطور عنها ، لأنه تسلم مهمة رعاية الرعية من الله ٠

---

(١٤) Novelle Constitution, Cxxxiii, pp. 251-259.

كما قمنا باصدار مرسوم امبراطورى ، حرم على الرهبان التجمع بأعداد كبيرة ، كما حرمنا عليهم اللجوء الى المساكن الخاصة أو الحصـــول على الأموال بصفة فردية أو المعيشـــة كل على انفراد ٠ وأمرنا أنه من الواجب عليهم أن يأكلوا معا ، وينامو معا ، وأن يعيشوا حياة فاضلة ، وأن يكونوا شهداء على بعضهم البعض فيما يتعلق بطهارة النفس ٠ وأن يحترم صغار الرهبان كبارهم الذين من واجبهم متابعة تصرفاتهم ٠ وفى نفس الوقت على صغار الرهبان السهر على مراقبة كبارهم خشـــية أن يرتكب أحدهم أى اثم ،أو أى عمل شائن أثناء نومهم ، وعلى كل راهب أن يصون طهارته وعفته عند النوم ٠

الفصل الأول :

على أن المفاسد الأكيدة التى وصــــلت الى مسامعنا والتى تطلبت معالجتها بالقوانين ، وقدمنا وسائل العلاج باصدار القوانين ، من أجل الاصلاح ، ومن أجل تكملة المرسوم الامبراطورى السابق ٠

لقد أصدرنا القانون الحالى والذى فيه منعنا بشــــدة الرهبان من المبيت فى منازل أو اتخاذ صوامع خصوصية ، الا اذا لم يوجد سواهم ٠

اننا نأمر أن يكون لكل دير رئيســـين ٠ وأن يعيش الرهبان فى تعفف وهدوء وسكينة ٠ واذا ما تجمع الرهبان فى أعداد كبيرة ؛ فيجب أن يعيشوا حياة مشتركة سواء أكانوا مقتنعين أو سواء كانوا راضيين لاشباع حاجاتهم الطبيعية ، لكى لا يرتكبوا أى اثم ٠ وأن يكونوا بعيدين عن كل الاتهامات ٠ وأن يأكلوا ويناموا معا ٠

واننا نأمر ألا تكون هناك ملكية خاصة للراهب ، وأن يكونوا معا باستمرار بحيث يكون فى الامكان المراقبة أثناء الليـــل والنهار ، لأنهم ينامون جميعا فى وقت واحد ، وحتى لا يرقى الشك الى أحد عندما يغلب النعاس البعض فلابد من وجود فريق يظل ساهرا لمراقبة سلوك من غلب عليهم النعاس ٠ وعلى الرهبان مراقبة تصرفات بعضهم البعض بالتبادل ٠

ومن الثابت أنه اذا ما التزم الرهبان بالتشريعات فانهم سكونون بعيدين عن كل أنواع الآثام بيد أنه اذا ما صدر من أحد هؤلاء الرهبان أى سفاهة بالاقدام على مخالفة تشريعاتنا ، فانه سيعاقب بمعرفة رئيس الدير ٠ لأننا نريد أن يكون النظام الديرى أكثر قوة فى المستقبل ٠

واننا نمنع الزيارات العديدة للدير ٠ ونريد ألا يدخله ســـوى شخص أو اثنان على الأكثر من الكبار فى السن ، وممن لهم سمعة حسنة

للوقوف على باب الدير ، لمنع الرهبان مع الخروج دون موافقة رئيس الدير لأنه يجب عليهم أن يحافظوا على كل ما يحرك حماسهم نحو الله ، وأن يتجنبوا كل ما يحول دون ذلك) • وعلى الرهبان أيضا منع دخول الدير بالنهار والليل ، أولئك الذين لا يلتزمون بنظام الرهبان الأجلاء وفقا لنظامهم ، وسيحاط كل دير بأسوار قوية ، حتى لا يستطيع أى شخص من الخارج الدخول سوى من الأبواب •

الفصل الثانى :

واذا لم يكن هناك كنيسة فى الدير ، فانه لا يليق أن يكون ذلك ذريعة الرهبان للخروج للنزهة تحت ستار مباح ، ومن أجل الثرثرة مع أشخاص معينين •

ونأمر أن يخرج الرهبان الى الكنيسة فى أوقات الطقوس المقدسة ، فى صحبة رئيس الدير ،ورؤسائهم ، وكبارهم فى السن وبعد تأدية الطقوس ، عليهم أن يعودوا جميعا الى ديرهم • ليعبدوا الله العلى القدير • وينكبوا على دراسة الكتب المقدسة •

وبناء ذلك سيكون هناك فى الأديرة عدد كبير من هذه الكتب ، لكى يستطيع كل راهب أن يطهر قلبه وأن يروى ظمأه من كتابات القديسين ، لأنه عند قراءة كتابات القديسين باستمرار ، فانهم لن يتعرضوا فى المستقبل للشعور بخيبة الأمل ، وسكونون بعيدين عن كل الاهتمامات البشرية •

وسيتم الحاق أربعة أو خمسة من الرهبان الأكبر سنا بكنيسة الدير • الذين يتسمون بالعفة • الجدارة الواجب توافرها فى رجال الاكليروس ، والشمامسة وباقى رجال الدين • وسيكون هؤلاء الرهبان مسئولين عن تعليم وارشاد باقى الرهبان كل ما يتعلق بالكتب المقدسة ، كما يتولون رعاية كنيسة الدير • على أن يحافظوا على الفضيلة بكل قوة وحزم ، وأن يكونوا على أهبة الاستعداد دائما للتصدى لمن يتجاوز حدود الاعتدال •

الفصل الثالث :

ولن يسمح للنساء بدخول دير الرجال ، ولا للرجال بدخول دير النساء بحجة الوفاة ، أو مأتم أحدهم أو تحت أى عذر آخر ، حتى ولو ادعت المرأة أن لها أخا فى دير الرجال ، أو ادعى الرجل أن له أختا فى دير

النساء ، أو أحد أفراد الأسرة لأنه لا توجد قرابة فى حياة الرهبان ، الذين يتفكرون فى الحياة السماوية : ومن جهة أخرى ماذا سيكون هدف أولئك الذين يودون دخول أماكن مقدسة كتلك ، اذا لم يكن من أجل اقتراف ما هو محرم ؟ ٠٠ مادام من المسموح للرجال بمباشرة كل التصرفات بأنفسهم فيما يتعلق بأديرتهم وأن نفس الحق ممنوح للنساء وفى أديرتهن ٠

ولن يسمح لأى فرد من كلا الجنسين [الرهبان والراهبات] بادخال أحد ، حتى ولو قدم الدليل القاطع على أنه شقيق ، أو شقيقة ، أو قريب ، أو قريبة للراهب ، أو الراهبة ٠

واذا ما قضينا كذلك على كل أسباب ارتكاب الانحرافات الخلقية ، واذا ما منعنا ، بالمتابعة ، الأشخاص الذين لم يسموا بأنفسهم عن الاغراء الذى أصبح شيئا عاديا فى طبيعتهم ، فان الرهبان سيتمكنون من المعيشة بطريقة أكثر استقامة ، وسيقاومون الشهوات بسهولة أكثر ٠ وسيلاحظون بناء على أنه يكون ثمة قبور للرجال فى أديرة النساء ولن تدفن النساء موتاهن فى أديرة الرجال ٠ ولنفس السبب فان أعمال النساء لا تتفق مع أعمال النساء ٠

لا نريد أن يكون هناك اختلاط معيب للجنسين ، تحت ذريعة جنازات الموتى ، أو ينتج عن ذلك حدوث عمل سيء وبذلك يفتح باب الفساد ، اذ لا يجوز دخول أى فرد عند الرهبان دون احتشام ، لأن ذلك يؤدى الى الاستخفاف بالأمور المقدسة ، والقيل والقال تحت ستار الورع ، أو بدافع القرابة من الذين لا يفكرون فى الانضمام الى حياة العزلة ٠

وبناء على ذلك سوف يظل الأفراد القائمين على المقابر ، ممنوعين من دخول الدير ، ولا سيما القراء ، والمناط اليهم حفر الالحاد : غير أن هذا النص يخص أديرة الرجال ولا ينطبق على أديرة النساء ٠

١ ــ كذلك نأمر أنه فى حالة دفن راهبة بدير النساء (ونظرا لأننا لن نسمح على الاطلاق بوجود رجل عند اللحد) ، فعلى الراهبات الموقرات أن يقرن فى صومعتهن ، وأن تساعد حاجبة الدير رئيسته ، اذا طلبت الأخيرة منها ذلك عند الدفن ٠ وعلى من يقمن بمهام الجنازة تأديتها بقداسة ٠ وأن يحفرن القبر ، ثم يوارين الجثة التراب ٠ وأن يعدن على الفور دون زيارة الراهبات المحترمات ودون أن يسمحن لاحداهن بالزيارة ٠

ومحظور دخول الرجال أديرة النساء أو العكس ، تحت ذريعة تأدية الصلوات المعتادة عند الجنازة ، ولن يكون هناك عزاء بمناسبة مرور اليوم الثالث أو التاسع أو الأربعون أو العام الأول على الوفاة ٠ واذا ما التزم الراهبات والرهبان بأوامرنا فلن تحدث الوقاحات والسفاهات التى عانينا منها بالأديرة ٠

الفصل الرابع :

على أنه ، طالما أن نصوص القوانين لا تراعى بكل دقة ، وأن الاهتمام بالمحافظة على التنفيذ لم يعهد به الى أحد ٠ فاننا نأمر كل رئيس دير ، بمتابعة تنفيذ قانون الرهبنة ونظام ديره بصفة مستمرة ، وعليه معالجة الانحرافات البسيطة على الفور وبحزم ، وألا يســمح بتفشى الرذيلة ، وألا تتعرض الأرواح الى الابتعاد عن السلامة ، وتسقط فى الهلاك ٠

وتقضى الضرورة فى هذه المدينة السعيدة [يقصد القسطنطينية] أن يكون هناك رئيس عام للأديرة ، مهمته ، متابعة النظام الديرى بكل عناية ٠ وأن يرسل مندوبين عنه للأديرة بالعاصمة والمنــاطق المجاورة لها ، وعليه بردع أى تصرف اجرامى داخل الدير بكل الاجراءات الملائمة والعادلة ٠

ونأمر أن يشرف أسقف كل مدينة ، والبطريرك أو رئيس الأساقفة بارسال المدافعين المحترمين الى الأديرة لدرء المفاسد والمحافظة على قانون الرهبنة والتصدى للأمور المخلة بالآداب وردع القلاقل والاضطرابات ٠

وسوف تخضع الأديرة لتفتيش قداسة بطريرك العاصمة السعيدة ٠ على أن يقوم بتعيين المدافعين المسئولين عن كنيسة الحكمة الالهية (أياصوفيا) للاشراف على الأديرة والفصل فى المنــازعات بمنتهى الأمانة والاستقامة وكذلك التصدى لكل الجرائم بالعقوبات الصارمة ومراعاة تنفيذ القانون الديرى على أكمل وجه ٠

الفصل الخامس :

على أنه يجب أن يخضع كل دير لرئيســه وأن يكون لكل دير مندوبين للتفتيش ، (كما سبق أن قلنا) من بين الذين يكونون طاعنين فى السن ، وأن يحافظوا على تطبيق النظام الديرى ، غير مبالين بالاهانات التى قد يتعرضون لها على أيدى الرهبان ، وأن يعتنوا بشئون ومصــالح الدير ٠

وفي أديرة النساء ، سيكون عندهن مندوبون للتفتيش أيضا فى حدود اثنين أو ثلاثة ، بقدر المستطاع ، على أن يكونوا من الخصيان أو الطاعنين فى السن • ومن بين الذين لهم سمعة حسنة فى العفة وطهارة النفس • وسيقوم هؤلاء المندوبون بمتابعة سير العمل فى الدير ، واعطاء القدوة المثالية فى تناول القربان المقدس ، عندما يحين ميعاده ابان وجودهم فى دير النساء •

واذا أراد مندوبو أحد أديرة النساء التشاور فى أحد الأمور التى تخص مصلحة دير النساء ، أو عن احدى الراهبات المحترمات ، فانهم سوف يتحدثون الى رئيسة الدير فحسب ، وبحضور الراهبات الحارسات لباب الدير ، لأنه يجب على النساء المعينات لحراسة الأبواب الاشراف على الدخول والخروج من الدير ، وأن عليهن منع أى رجل من الرجال باستثناء المندوبين •

وبناء عليه سيتوجه المندوبون الى حارسات الدير اللاتى سيقمن بالابلاغ عن قدومهم • وعند احاطة رئيسات الدير علما فانهن سوف يتوجهن اليهم • على أن يكون حديث رئيسات الأديرة مع المندوبين عن النواجى الإدارية فى الأديرة اذ أنه الموضوع الذى من أجله تم اللقاء وبهذه الكيفية سوف تدار شئون الأديرة بكل طهارة وعفة •

واذا ما ارتكب أحد الرهبان ذنبا طفيفا ، ولأن البشر من الممكن اصلاحه ، كما أنه لا يوجد الشخص القادر على مقاومة الطبيعة البشرية والذى لم يقترف اثما ، (اذ أن الكمال لله وحده) فعلى المندوبين انذاره ، ومنعه عن أعمال درجته الكهنوتية ويأمروه بتكريس وقته فى الندم والتوبة لكى يسلك سلوكا أفضل وأن يعود الى نفسه وألا يضيع ثمرة أعماله •

غير أنه اذا ما اقترف الراهب ذنبا أو اثما عظيما فعلى المندوبين معاقبته العقاب المناسب لبشاعة جريمته ويفرضون عليه توبة أكثر شدة • واذا استطاع المندوبون انتشال الراهب المنحرف من مواطن الزلل وممارسة الرذيلة ، واذا ما نجحوا فى اعادته الى طريق العفة والفضيلة (وهذا الأمر الذى نأمر به يخص الرهبان ، كما يخص الراهبات) ، فأن هؤلاء المندوبين سيقدمون الشكر لله العلى القدير وستفرح الملائكة فى السماء عندما يتخلص أحد البشر من خطاياه •

بيد أنه اذا اقترف راهب اثما خطيرا بدرجة كبيرة ، وبدا من المستحيل تقويمه فانه يجب أن يطرد من الدير لتخليه عن الفضيلة وانزلاقه الى تيار الرذيلة ليعيش وحده فى فسقه وفساده ، حتى لا يصير

مفسدا للرهبان الآخرين مثل الحيوانات المصـــابة بمرض الطـــاعون أو بالوباء ٠

ولا نقبل أن يحدث تهـاون عند متابعة الرهبـان ، وحيث أنه من الضرورى معاقبة الراهب المذنب فمن الضرورى أيضا مراعاة تنفيذ القانون لأن مثل هذا الراهب لن يخف سخطه على رئيس الدير أو على أسقف المنطقة أو على المدافعين عن الكنيسة ٠

والواقع أنه اذا ما ابتهلت هذه الشخصيات المقدسة ، الى الله من أجل رفاهية الامبراطورية بأيديهم الطـــاهرة وأرواحهم الصـــافية ، فمما لا شك فيه أن جيوشنا ستنتصر ، وسنحكم مدننا بطريقة أفضل ٠ ولن نتعرض لغضب الله علينا ، وانما ننعم برعايته ولم لا ننعم بالســلام العام ، وبخلاص شعوبنا بالكامل ، وستقدم لنا الأرض خيراتها ، وسيمدنا البحر بكل ما يزخر من نعم الله ، وستجلب صلواتهم رضى الله على كل الامبراطورية ٠ ومن ناحية أخرى فســـيكون الرهبان أكثر توقيرا ، وستكون حياتهم أكثر طهارة ، ويتألقون عفة وطهارة ، ولن يكون هناك لديهم رغبات ذاتية ، اذ أن كلهم جميعا سيعملون سويا لهدف واحـــد نبيل ، ولن تجد الآثام سبيلا لها عندهم ، لأنها ستخلى السبيل لممارسة الواجبات الدينية المقدسة ، والسلوك المهذب ٠ وهذا هو الهـــدف من اصدارنا القانون الحالى الذى نعتبره مفيدا للغاية ٠

الفصل السادس :

ونأمر بأنه اذا ما ضبط أحد الرهبان يتردد على أماكن اللهو وتعاطى الخمور والرذيلة فيجب تسليمه الى المدافعين المسئولين عن الرهبان على الفور أو الى رؤساء حكام الأقاليم وفقا للمدينة التى حدثت بها الجريمة بعد اقتناعهم بارتكاب الراهب الجريمة وأن ينقل هذا الراهب دون أذى الى رئيس ديره ، وابلاغه بما فعله الراهب ثم يطرده رئيس ديره كعقاب له لتخليه عن الحياة الملائكية وانزلاقه الى الحياة الفاسدة ٠

وعلى الرهبان ممارسة العمل المزدوج والخاص بدراسة الكتب المقدسة وتقوية أبدانهم (من خلال الأعمال اليدوية) وعن طريق التفكر والتأمل والعمل لأن العقل الذى لا يعمل لا تقدم شيئا مفيدا ٠

اننا أصدرنا هذا القانون لصالح الرهبان ويجب على الجميع مراعاة أحكامه فى العاصمة وفى كل أقاليم الامبراطورية وسنبعث به الى كل البطارقة للتأكد من تنفيذ أحكامه وعليهم بدورهم ارســـاله الى رؤساء

الأساقفة التابعين لهم وعلى رؤساء الأساقفة اطلاع الأساقفة عليه ، وعلى الأساقفة ابلاغه الى كل الرهبان وكذلك الى رؤساء الأديرة ٠

واننا نفوض رؤساء الأديرة والأساقفة وقداسة البطارقة وقداستكم (يقصد منياس Menas بطريرك العاصمة ٥٣٦ ـ ٥٥٢م) فى وضع أحكام هذا القانون موضع التنفيذ ٠

وفى حالة وجود مخالفة تستحق العقوبة الشديدة ، فانها تترك لحكم هذه الشخصيات المقدسة واننا نعهد الى حكام الأقاليم بمراعاة تنفيذ هذا القانون فى أقاليمهم وابلاغ القضـــاة عن طريق الأساقفة المحبين لله عن حدوث خرق لهذا القانون ٠

(١٥)

« قرارات مجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣م » (١٥)

النص الأول :

من لم يعترف أن الآب ، والابن والروح القدس ليسوا ســـوى طبيعة واحدة ، أو جوهر واحد وخاصية واحدة ، ومشيئة واحدة ، وأنهم ثالوث متحد فى الجوهر ، اله واحد معبود فى ثلاثة أقانيم أو كائنـــات فليكن محروما ٠ لأنه ليس هناك سوى اله وآب واحد ، فاطر السموات والأرض ، ورب واحد يسوع المسيح الذى به كانت كل المخلوقات ، وروح قدس واحدة موجودة فى كل الوجود ٠

النص الثانى :

من لم يعترف أن لكلمة الله ميلادين : الميلاد الأول قبل كل الدهور ، من الآب ، ولادة أبدية ، وغير مادية ، والثانية ، فى آخر الزمان ، وأن كلمة الله هو الذى نزل من السموات وتجسد ، وولد من مريم القديسة والدة الله والعذراء على الدوام ، فليكن محروما ٠

النص الثالث :

من قال ان آخر غير كلمة الله هو الذى قام بالمعجزات ، وأن آخر غير المسيح هو الذى تألم فى الجسد أو أن كلمة الله اتحدت بالمسيح المولود من امرأة ، أو أن كلمة الله تشبه أى كائن آخر ، وأنه ليس الا ربنـــا

---

(١٥) Chronicon Paschale, pp. 659-674; Hefele, Histoire de conciles, Tome III, Premiére Partie, (Paris 1909), pp. 107-130.

يسوع المسيح نفسه ، كلمة الله ، الذى تجسد وصار بشرا ، واليـــه تنســـب المعجزات والآلام التى عاناها فى الجسد باختيـــاره ، فليكن محروما ٠

النص الرابع :

من قال أن بنعمة الله أو بفضله ، أو بسلطان مميز ، أو بقدرته ، أو بصلة ، أو برابطة ، أو بمقدرة ، هى التى صنعت اتحاد كلمة الله مع الانسان ، بمعنى أن كلمة الله أظهرت أعمالها الخيرة من أجل الانسان كما أصر على ذلك ثيودور ، أو أن بالمجانسة وفقا لما قاله النساطرة مطلقين على كلمة الله اسم يسوع والمسيح ، وبذلك فصلوا الانسان الى المسيح والابن ، مصرين صراحة على وجود شخصين فى المسيح ، ومؤكدين على عدم الحديث عن شخص واحد ، وعن مسيح واحد ، بناء على تسميتهم ، وتمجيدهم وتكريمهم وعبادتهم : بدلا من الاعتراف بأن اتحاد كلمة الله مع الانسان الحى بروح عاقلة ومفكرة مكونة أقنوما واحدا كما علم بذلك الآباء القديسون ، وبناء على ذلك من لم يعترف بأقنوم واحد فى ربنـــا يسوع المسيح أحد الثالوث الأقدس ، فيكن محروما ٠ لأن هذا الاتحاد مفهوم بأساليب كثيرة ، الا أن البعض وهم شيعة أبولنيار Appolinaire الكافر ، وأتباع أوتيخا Eutychés يزعمون اخفاء عناصر هذا الاتحاد ، وأنهم يعلنون الاتحاد بهدف احداث الغموض والحيرة ، ويؤيد تلاميـــذ ثيودور Theodore ونسطور Nestorius الفصل فى المسيح الا أنهم يقدمون اتحادا نسبيا ، وغير مطلق ، بينما ترفض كنيسة الله المقدسة لأن الاتحاد فى الجوهر هو اتحاد أقنـــومى ، وهو فى الواقع من أسرار المسيح ٠

النص الخامس :

من أقر بأن الأقنوم الواحد فى ربنا يسوع المسيح ، قابل للتفسير والفهم بأنه عدة أقانيم وحاول تقديم أقنومين للمسيح ، أو شخصين ، ولم يقل انه واحد من ناحية الكرامة ، والمجد ، والعبادة ، كما جاء فى الكتابات الضـــالة لثيـــودور ونســـطور ٠ ومن افترى على مجمـــع خلقيدونية المقدس ، ومن لم يعترف أن اتحاد كلمة الله مع الانسان الحى هو اتحاد أقنومى ، وبالتالى فان أقنومه أو شخصه واحد ، وأن فى هذا المعنى فان مجمع خلقيدونية قد أعلن بوحدانية الأقنوم فى ربنـــا يسوع المسيح ، فيكن محروما ٠ لأنه بتجسد أحد أقانيم الثالوث الأقدس ، كلمة الله ، فان هذا الثالوث الأقدس لم يتحد مع أى شخص أو أقنوم ٠

النص السادس :

من قال عن القديسة المجدة والعذراء على الدوام شيئا يحيد عن الصواب ، ويبعد عن المعنى الحقيقى ، فى أنها تسمى والدة الله ، أو بدل الاسم بمعنى أنها ولدت انسانا عاديا ، وأنه ليس كلمة الله التى تجسدت منها ، وأن ميلاد هذا الانسان هى الصفة التى لازمته ، ثم حلت عليه كلمة الله ، واتحدت بهـذا الانســـان المولود : ومن افترى على مجمع خلقيدونية المقدس بالقول بأنه بهذا القبول لتضور الكفر الذى أحدثه ثيودور عندما أعلن أن مريم والدة الله ، والتى أطلق عليهـــا مريم والدة الانسان أو مريم والدة المسيح ، بمعنى أن المسيح ليس هو الله ، بدلا من أن يقول مريم والدة الله بالمعنى الحقيقى بكل حق وصدق لأن الله الكلمة ولد قبل كل الدهور ، وصار جسدا فى آخر الزمان ، ومن لم يعترف بكل احترام واجلال بمجمع خلقيدونية الذى أقر بأن مريم والدة الله ، فليكن محروما ٠٠

النص السابع :

من استعمل تعبير « من طبيعتين » ولم يعترف أن ربنا الوحيـــد يسوع المسيح معترف له بالألوهيـــة والبشرية ، لكى يبين الفرق فى الطبيعتين المتحدتين فى المسيح دون اختلاط باتحاد تفوق الوصف ، ودون أن تذوب كلمة الله فى الطبيعة ، ولا الطبيعة البشرية تسامت الى قدر طبيعة الكلمة (لأن كل طبيعة ظلت محتفظة بخصائصها بعد أن تحقق اتحادهما كالأقنوم الواحد ٠ غير أنه اتخذ صورة مشابهة لنا وتخص أسرار المسيح ، بمعنى جزء فى كل (ازدواج) الطبيعة ، وهو نفسه ربنـــا الوحيد يسوع المسيح ، كلمة الله ، تجسد ، وأنه لم يأخذ نظرية الفارق بين الطبيعتين ، وهو فارق لم يلغيه اتحادهما ، وهو يتكون من جوهرين (لأن واحد من اثنين فالكل واحد) ، بيد أنه من يقـــل بوجود طبيعتين منفصلتين لكل منهما أقنومها الخاص بها ، فيكن محروما ٠

النص الثامن :

من اعترف أن الاتحاد تكون « فى طبيعتين » وهما الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية ، أو من تحدث عن « طبيعة واحدة » لله الكلمة المتجسد ، ولم يتأمل هذه التعبيرات وفقا لعقيدة الآباء المقدسين ، بمعنى أن الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية حدث لهما اتحاد أقنومى ذات مرة ، وأن المسيح واحد : بيد أنه حاول استخدام هذه التعبيرات كوسيلة للقول بطبيعة

واحدة ، أو جوهر واحد لألوهية أو بشرية المسيح ، فيكن محروما • لأنه فى التأكيد على الكلمة الوحيدة المتحدة كالأقنوم ، فاننا لا نقوم بوجود اختلاط أيا كان للطبيعتين فى المسيح : اننا ندرك بالأحرى أن الكلمة اتحدت بالناحية البشرية وكلا الطبيعتين ظلت كما هى • ولهـذا فان المسيح الواحد ، اله وبشر فهو فى نفس الوقت من جوهر الآب من الناحية اللاهوتية ومن جوهرنا من الناحية البشرية : لأن الكنيسة ترفض وتحرم أيضا أولئك الذين يفصلون أو يقسمون الناحية اللاهوتية عن الناحيـة الانسانية ، وكذلك أولئك الذين يتحدثون عن الاختلاط فى الطبيعتين •

النص التاسع :

من أعلن أنه يجب عبادة المسيح فى طبيعتين ، بناء على القول الزاعم بتقديم عبادتين احداهما تقدم للكلمة والأخرى للمسيح الانسان ، ومن يهدف الغاء الناحية الانسانية فى المسيح ، أو بسـبب خلط أو مزج الناحيتين اللاهوتية والبشرية فى المسيح أو من تصوروا أن يعبدوا المسيح على أنه طبيعة واحدة أو جوهر واحد من عدة عناصر وهو أمر جد غير مقبول ، ولم يعبدوا عبادة واحدة لله الكلمة المتجسد مع الطبيعة البشرية الخالصة ، وفقا لتقاليد الكنيسة الأولى ، فليكن محروما •

النص العاشر :

من لم يعترف أن الذى صلب فى الجسد ، هو ربنا يسوع المسيح وأنه اله حقا وصدقا وربنا له المجد ، وأنه أحد الثالوث الأقدس ، فليـكن محروما •

النص الحادى عشر :

من لم يلعن « أو يحرم » أريوس Arius وأونوميوس Eunomius ومقدونيوس Macedonius وأبوليناير Apollinaire ونسـطور Nestorius وأوتيخا Eutychés وأوريجين Origene وكتاباتهم البعيدة كل البعد عن الايمان المسيحى وكل (الهراطقة) الآخرين الذين أدانتهم ولعنتهم (حرمتهم) الكنيسة الكاثوليكية والرسولية ، والمجامع المسكونية الأربعة ، وكل الذين تعاطفوا أو يتعاطفون مع (الهراطقة) السالف ذكرهم ، فليكن محروما •

النص الثاني عشر :

من سمح لنفسه بالدفاع عن ثيودور المصيصى الخارج على تعاليم الايمان المسيحى ، حيث ادعى التفريق بين كلمة الله ، وبين المسيح وأن المسيح شعر بشدة الآلام فى الروح والجسد ، وأنه رويدا رويدا تخلص من الألم ، وأنه صار أفضل بفضل حياته الفاضلة والخالية من الدنس ، وأنه كان بشرا كسائر البشر وتم تعميده باسم الآب والابن والروح القدس ، وبفضل هذا التعميد نال نعمة الروح القدس ، ونال التمجيد باختياره السلوك الربانى . وأن المسيح صورة مثالية لله ، ولذلك كان يعبد فى شخص كلمة الله ، وأنه بعد قيامته ، صار غير قابل للتغيير فى آرائه وأفكاره ، ومنزها عن الخطأ أو العيب . وزاد ثيودور ، الخارج على الايمان المسيحى بأنه يؤكد على أن اتحاد كلمة الله وامتزاجها بالمسيح حدث كما يحدث التزاوج بين الرجل والمرأة « وأن الاثنان صارا طبيعة انسانية واحدة » . ومن بين أفكاره الخارجة على الايمان المسيحى ، بشكل مقزز ، أنه سمحت نفسه بالقول أنه « بعد القيامة » وعندما ظهر المسيح للحواريين ، فان نفحة الهية قالت « اقبلوا الروح القدس » . ولم تهب لهم هذه النفحة الروح القدس ، غير أن هذه النفحة الالهية جعلتهم على صورة منهزمة عن النقائص ، وأيضا ، فيما يخص اعتراف توماس Thomas عندما لمس يدى وجانب ربنا المسيح ، بعد القيامة كتب يقصد به المسيح ، وانما هى عبارة للدلالة على حالة الاندهاش لمعجزة قيامة المسيح من بين الموتى ، وخاطب بها الله معبرا عن الشكر .

والأسوأ من ذلك ففى تفسيره الذى كتبه عن أعمال الرسل ، « ربى والهى » فان ثيودور يؤكد أن هذا القول الصادر عن توماس وأن ثيودور وضع المسيح على قدم المساواة مع أفلاطون ومانى ، وأبيقور ، ومارقيون وقال كما أن لكل هؤلاء المذكورين نظرية خاصة به ونقلها الى طائفته على التوالى : طائفة أفلاطون ، طائفة مانى ، طائفة أبيقور ، طائفة مارقيون ، فان للمسيح نفسه نظرية تركها لمن اعتنق المسيحية .

ولهذا فان من يقتنع بالمحظورات الصادرة عن ثيودور السالف الذكر والخارج على الايمان المسيحى ، من كتابات ضالة ، والتى افترى فيها على الله ، وعلى مخلصنا يسوع المسيح بالقذف المذكور بعاليه ، والعديد الآخر الذى لا يحصى أو يعد ، بدلا من أن يلعنه ويلعن كتاباته المضللة ، وكل من يتبعه أو يؤيده أو يزعم بصحة نظرياته ، أو يتعاطف أو يكن قد أظهر تعاطفا مع هذه النظريات ، ومازال عند رأيه الذى وصل الى مستوى آراء (الهراطقة) ، فليكن محروما .

واحدة ، أو جوهر واحد لألوهية أو بشرية المسيح ، فيكن محروما • لأنه فى التأكيد على الكلمة الوحيدة المتحدة كالأقنوم ، فاننا لا نقوم بوجود اختلاط أيا كان للطبيعتين فى المسيح : اننا ندرك بالأحرى أن الكلمة اتحدت بالناحية البشرية وكلا الطبيعتين ظلت كما هى • ولهـــذا فان المسيح الواحد ، اله وبشر فهو فى نفس الوقت من جوهر الآب من الناحية اللاهوتية ومن جوهرنا من الناحية البشرية : لأن الكنيسة ترفض وتحرم أيضا أولئك الذين يفصلون أو يقسمون الناحية اللاهوتية عن الناحيـــة الانسانية ، وكذلك أولئك الذين يتحدثون عن الاختلاط فى الطبيعتين •

النص التاسع :

من أعلن أنه يجب عبادة المسيح فى طبيعتين ، بناء على القول الزاعم بتقديم عبادتين احداهما تقدم للكلمة والأخرى للمسيح الانسان ، ومن يهدف الغاء الناحية الانسانية فى المسيح ، أو بســـــبب خلط أو مزج الناحيتين اللاهوتية والبشرية فى المسيح أو من تصوروا أن يعبدوا المسيح على أنه طبيعة واحدة أو جوهر واحد من عدة عناصر وهو أمر جد غير مقبول ، ولم يعبدوا عبادة واحدة لله الكلمة المتجسد مع الطبيعة البشرية الخالصة ، وفقا لتقاليد الكنيسة الأولى ، فليكن محروما •

النص العاشر :

من لم يعترف أن الذى صلب فى الجسد ، هو ربنا يسوع المسيح وأنه اله حقا وصدقا وربنا له المجد ، وأنه أحد الثالوث الأقدس ، فليـــكن محروما •

النص الحادى عشر :

من لم يلعن « أو يحرم » أريوس Arius وأونوميوس Eunomius ومقدونيوس Macedonius وأبولينيار Apollinaire ونســـطور Nestorius وأوتيخا Eutychés وأوريجين Origene وكتاباتهم البعيدة كل البعد عن الايمان المسيحى وكل (الهراطقة) الآخرين الذين أدانتهم ولعنتهم (حرمتهم) الكنيسة الكاثوليكية والرسولية ، والمجامع المسكونية الأربعة ، وكل الذين تعاطفوا أو يتعاطفون مع (الهراطقة) السالف ذكرهم ، فليكن محروما •

النص الثانى عشر :

من سمح لنفسه بالدفاع عن ثيودور المصيصى الخارج على تعـــاليم الايمان المسيحى ، حيث ادعى التفريق بين كلمة الله ، وبين المسيح وأن المسيح شعر بشدة الآلام فى الروح والجسد ، وأنه رويدا رويدا تخلص من الألم ، وأنه صار أفضل بفضل حياته الفاضلة والخالية من الدنس ، وأنه كان بشرا كسائر البشر وتم تعميـــده باسم الآب والابن والروح القدس ، وبفضل هذا التعميد نال نعمة الروح القدس ، ونال التمجيد باختياره السلوك الربانى • وأن المسيح صورة مثالية لله ، ولذلك كان يعبد فى شخص كلمة الله ، وأنه بعد قيامته ، صار غير قابل للتغيير فى آرائه وأفكاره ، ومنزها عن الخطأ أو العيب • وزاد ثيودور ، الخارج على الايمان المسيحى بأنه يؤكد على أن اتحاد كلمة الله وامتزاجها بالمســيح حدث كما يحدث التزاوج بين الرجل والمرأة « وأن الاثنان صارا طبيعة انسانية واحدة » • ومن بين أفكاره الخارجة على الايمان المسيحى ، بشكل مقزز ، أنه سمحت نفسه بالقول أنه « بعد القيامة » وعندما ظهر المسيح للحواريين ، فان نفحة الهية قالت « اقبلوا الروح القدس » • ولم تهب لهم هذه النفحة الروح القدس ، غير أن هذه النفحة الالهية جعلتهم على صورة منهزمة عن النقائص ، وأيضا ، فيمـــا يخص اعتراف توماس Thomas عندما لمس يدى وجانب ربنا المسيح ، بعد القيـــامة كتب يقصد به المسيح ، وانما هى عبارة للدلالة على حالة الاندهاش لمعجزة قيامة المسيح من بين الموتى ، وخاطب بها الله معبرا عن الشكر •

والأسوأ من ذلك ففى تفسيره الذى كتبه عن أعمال الرســل ، « ربى والهى » فان ثيودور يؤكد أن هذا القول الصادر عن توماس وأن ثيودور وضـــع المسيح على قدم المساواة مع أفلاطون ومانى ، وأبيقــور ، ومارقيون وقال كما أن لكل هؤلاء المذكورين نظرية خاصة به ونقلها الى طائفته على التوالى : طائفة أفلاطون ، طائفة مانى ، طائفة أبيقور ، طائفة مارقيون ، فان للمسيح نفسه نظرية تركها لمن اعتنق المسيحية •

ولهذا فان من يقتنع بالمحظورات الصادرة عن ثيودور السالف الذكر والخارج على الايمان المسيحى ، من كتابات ضالة ، والتى افترى فيهـــا على الله ، وعلى مخلصنا يسوع المسيح بالقذف المذكور بعاليه ، والعديد الآخر الذى لا يحصى أو يعد ، بدلا من أن يلعنه ويلعن كتاباته المضللة ، وكل من يتبعه أو يؤيده أو يزعم بصحة نظرياته ، أو يتعاطف أو يكن قد أظهر تعاطفا مع هذه النظريات ، ومازال عند رأيه الذى وصل الى مستوى آراء (الهراطقة) ، فليكن محروما •

النص الثالث عشر :

من يسمح لنفسه بالدفاع عن كتابات ثيودوريت Theodoret الضال ، ضد الايمان الحقيقى ، وضد مجمع افسوس الأول ، وضد القديس كيرلس وحرمه الاثنى عشر ، ومن يسمح لنفسه بالدفاع عن كل كتابات ثيودور ونسطور ، هؤلاء الضالين ولصالح الموالين لمذاهب ثيودور ونسطور ، ويقبلها ، ومن أجل ذلك يتعامل بضلال ضد ما يخص آباء الكنيسة الأول الذين تمسكوا باتحاد كلمة الله ومن لم يحرم (كتابات هؤلاء الضالين السابق ذكرهم ومن يتعاطف معهم أو يتعاطف) مع مذاهبهم ، وكل من يكتب ضد الايمان الحقيقى ، وضد كيرلس وحرمه الاثنى عشر ، ومن ماتوا على ضلالهم ، فليكونوا محرومين .

النص الرابع عشر :

من يسمح لنفسه بالدفاع عن الخطاب الذى كتبه ابياس Ibas الى ماريس Mairs الفارسى ، وهو الخطاب الذى ينكر كلمة الله التى تجسدت من القديسة مريم والدة الله والعذراء على الدوام ، وأنه صار بشرا ، بينما يقول ابياس على عكس ذلك أنها لم تلد الا بشرا كسائر البشر ، وسماها هيكلا (لله) ، حيث ان هناك فرق بين كلمة الله ، والطبيعة البشرية فى المسيح ، وأنه افترى على القديس كيرلس ، وأن تصرفه هذا عدوان على الايمان المسيحى الحق ، وأنه متهم بكونه خارج على الكنيسة ، وقام بتعليم كتاب الضلال الذى كتبه أبولينيار الضال ، وأنه هاجم مجمع افسوس الأول المقدس لأنه عزل نسطور ، دون محاكمة ودون تحقيق (لأن المجمع أعلن أن خطاب ابياس ضال ، وأن ما ورد به من ضلال يتعارض مع الايمان الحقيقى وفقا للفصول الاثنى عشر للقديس كيرلس ، وأن هذا المجمع أقر بضلال ثيودور وبضلال كتاباتهما) .

ولهذا فمن يسمح لنفسه بالدفاع عن أفكار ابياس ، ولا يحرمها (يلعنها) ومن يدافع عنها قائلا أنها صحيحة على علاتها ، أو فى بعض أجزائها ، وكل من يكتب أو يكتبوا لصالح هذه الأفكار الضالة التى تضمنتها ، وكل من لديه الجسارة على تقديم الدليل على صحتها ، وصحة الضلالات التى تضمنتها على أنها تعبر عن الآباء المقدسين أو عن مجمع خلقيدونية المقدس ، ومن يظل على رأيه بعد ذلك ، فيكن محروما .

(١٦)

« نصوص معاهدة السلام الدائم ، ٥٣٢م » (١٦)

- أن تكون مدينة دارا منزوعة السلاح ، وينقل منها دوق اقليم ما بين النهرين الى مدينة قسطنطينية Constantia .
- أن تعود قلعتى بولون Bolon وفارانجيون Pharangion الى السيادة الفارسية ، وكذلك المناجم التى على حدود أرمينيا الفارسية .
- أن تقع مسئولية حماية الممرات القوقازية على عاتق الدولة الفارسية .
- أن يدفع الرومان أحد عشر ألف رطلا من الذهب سنويا الى الفرس .
- أن يسمح للاجئين من أهالى ايبريا Iberia الذين يعيشون فى القسطنطينية بحق العودة الى بلادهم ، أو البقاء بالعاصمة الرومانية وفقا لرغبتهم ، مع بقاء السيادة الفارسية الى ايبريا ...
- عودة لازيقا الى السيادة الرومانية .
- عودة الحدود بين البلدين الى ما كانت عليه قبل الحرب ، مع تبادل الأسرى .

(١٧)

« نصوص معاهدة سلام سنة ٥٦٢م » (١٧)

- لن يسمح الفرس لقبائل الهون Huns والالن Alans أو غيرهم من القبائل المتبربرة بالوصول الى الأراضى الرومانية عبر الممرات القوقازية . ولن يرسل الرومان الجيوش الى تلك الجهات ، أو الى أية جهة أخرى من الأراضى الفارسية .
- على العرب الموالين لكل من الفرس والرومان الالتزام بنصوص المعاهدة ، فيجب ألا يحمل العرب الموالين للفرس [عرب الحيرة] السلاح ضد الرومان وأن يمتنع العرب الموالين للرومان عن حمل السلاح ضد الفرس .
- على التجار الرومان والفرس المرور على المناطق الجمركية المحددة مهما كان نوع البضائع التى معهم .

---

(١٦) *Procopius*, Wars, I, p. 207; *Lebeau*, Histoire du Bas-Empire, 8, pp. 176-178; *Diehl*, Justinien, p. 211; *Holmes*, Op. Cit., p. 416; *Bury*, Op. Cit., p. 88; *Stein*, Op. Cit., pp. 294-295.

(١٧) *Menander*. Excerpta de Legationibus Romanorum, pp. 359-363; *Lebeau*, Histoire du Bas-Empire, 9, pp. 430-433; *Bury*, Op. Cit., pp. 121-122 ; *Ure*, Op. Cit., pp. 97-99.

- يجب تكريم السفراء والموظفين الذين يستخدمون خيـــول البريد ، سواء كانوا من الفرس أو الرومان ، كل حسب مكانته الرســـمية ، وحسب المناسبات وأن ينالوا ما يستحقونه من الاهتمام والعناية وأن يودعوا بمثل ما استقبلوا به من تكريم دون ابطاء مع اعفاء ما يحملونه من سلع من الرسوم الجمركية ·

- يجب أن يمتنع التجار العرب التابعين لكل من الدولتين ، عن السفر فى طريق غير مألوفة تجنبـــا لدفع الرسوم · وعلى كل هؤلاء الذين يتاجرون بين الدولتين ، اتباع طريق نصيبين ودارا وعليهم عدم دخول الأراضى الفارسية أو الرومانية الا بتصريحات خاصة ، وأن المخالفين لذلك والمهربين سوف يلقى القبض عليهم من قبـــل موظفى الحدود ، ويسلمون للسلطات لينالوا العقاب ·

- أن الهاربين من الخدمة العسكرية أثناء الحرب ، سواء كانوا من الفرس أو من الرومان يجب عدم منعهم من العودة الى أوطانهم ، اذا ما رغبوا فى ذلك · أما أولئك الذين يفرون أثناء السلم فيجب عدم قبولهم ، بل ويجب تسليمهم بكل الوسائل المكنة ، ولو على عكس ارادتهم ، الى الجهة التى فروا منها ·

- يجب الامتناع عن اقامة أو تقوية أسوار المدن حتى لا يكون ذلك ذريعة لتجدد أى منازعات قد تطيح بمعاهدة السلام ·

- على الشعوب التابعة لكل أمة ألا تهاجم أو تشن حربا ضد شعوب تابعة للطرف الآخر ، حتى ينعم الجميع بالسلام ·

- يجب عدم وجود حامية كبرى فى دارا ، ويكتفى بوضع قوة فى حدود المعقول لحماية المدينة · ويجب ألا يجعل قائد قوات الشرق (الرومانى) من ذلك المكان قاعدة له · وعلى حاكم مدينة دارا منع الغارات على الحدود الفارسية والمحافظة على مصالح الرعايا الفرس ، واذا ما حدث مثل ذلك ، فالمسئولية تقع على حاكم دارا ·

- اذا قام أشخاص غير مسئولين بالاعتداء على الحدود من أجل السرقة ، فيجب على ضباط الحدود من الجانبين القيام بتحقيق شـــامل • واذا استعصى الأمر على هؤلاء فيجب احالة الموضوع الى قائد قوات الشرق • فان لم يحل المشكلة فى مدة ستة أشهر ، يجب تعـــويض المتضرر بمقدار ما يعادل ضعف أضراره وأن الطرف الذى يقع عليه الضرر يجب أن يتصل بحاكم الدولة الأخرى فان لم يتم الضمان الكافى أو التعويض المضاعف فى خلال سنة ، فان السلام يعتبر لاغيا •

- المعاهدة مدتها خمسون عاما ونصوصها كلها ســـارية المفعول لـمدة خمسين عاما •

أباطرة بيزنطة

اسرة قنسطنطين :

١ ــ قنسطنطين الأول الكبير توفى سنة ٣٣٧ ٠

٢ ــ قنسطنطيوس ٣٣٧ ــ ٣٦١ ٠ حكم منفردا بعد سنة ٣٥١ ٠

٣ ــ يوليـــان ٣٦١ ــ ٣٦٣ ٠

٤ ــ يوفيـــان ٣٦٣ ــ ٣٦٤ ٠

٥ ــ فالنس ٣٦٤ ــ ٣٧٨ ٠

اسرة ثيودوسيوس :

٦ ــ ثيودوسيوس الأول ٣٧٩ ــ ٣٩٥ حكم منفردا بعد سـنة ٣٩٢ ٠

٧ ــ أركاديوس ٣٩٥ ــ ٤٠٨ ٠

٨ ــ ثيودوسيوس الثانى ٤٠٨ ــ ٤٥٠ كان أنثيميوس وصيا من سنة ٤٠٨ ــ ٤١٤ ٠

٩ ــ مارقيان ٤٥٠ ــ ٤٥٧ ٠

اسرة ليـــو :

١٠ ــ ليو الأول ٤٥٧ ــ ٤٧٤ ٠

١١ ــ ليو الثانى ٤٧٤ ٠

١٢ ــ زينون ٤٧٤ ــ ٤٩١ باسيليكوس المغتصب ٤٧٥ ــ ٤٧٦ ٠

١٣ ــ أنستاسيوس ٤٩١ ــ ٥١٨ ٠

اسرة جوستنيان :

١٤ ــ جوستين ٥١٨ ــ ٥٢٧ ٠

١٥ ــ جوستنيان ٥٢٧ ــ ٥٦٥ ٠

الملاحق : نصوص ووثائق .

قوائم المصادر والمراجع

أ ـ المجموعات ومختصراتها .

ب ـ الدوريـــات .

ج ـ المصادر الأجنبية .

د ـ المراجع الأجنبية .

هـ ـ المصادر العربية والمعربة .

و ـ المراجع العربية والمعربة .

(أ) المجموعات ومختصراتها :

As : Acta Sanctorum

CJC : Corpus Juris Civils.

CSCO : Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium.

CSEL : Corpus Scriptorum Eccesiasticorum Latinorum.

CSHB : Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.

DHGE : Dictionnaire d'Histoire el de Geographie Ecclesiasti-que.

PG . Patrologia Greacae.

PL Patrologia Latina

PO : Patrologia Orientalis.

Mansi : Conciliorum Collectio

SPTB : Social and Policial Thought in Byzantium from Justinian I to the Last Palaeologus, Excerpts from Literary Texts, in translation, with introduction and notes, ed E. Barker, (Oxford, 1957).

(ب) الدوريـــات :

Annales d'Ethiopie .

Arabica

Armenian Review.

Byzantinische Zietschrift.

Byzantion

Dumbarton Oaks Papers.

Echos d'Orient.

Journal of Semitic Studies

Le Muséon.

Revue Biblique.

Revue hes Etudes Byzantines.

Speculum.

(ج) المصادر الأجنبية :

Agathias, Historiarum ed. Dindrof, in (CSHB, Bonn, 1828-.

Cedrenus (*George*), Historiarum Compendium. ed. Bekker, in (CSHB, Bonn, 1838).

Evagrius, History of the Church ed. and tr. John Childs London, 1854)

Guenther (Ottoı. ed., Epistulae imperatorum pontificum aliorum Avellana quae dicitur Collectio ed. Otto Guenther, in (CSEL, Vol. XXXV, Lipsiae, 1985).

Joannes Lydus. De Magistratibus ed. B.G. Neibuhr, in (CSHB, Bonn., 1837).

Joannis Zonaras, Epitomae Historiarum Tomus III ed. J. Bullnerworbst, in (CSHB, Bonn., 1897).

John of Epheus, Lives of the Eastern Saints, The Syrias text with an English translation was edited and translated by E.W. Brooks, in (PO XVII (Paris, 1923), XVIII (1924), XIX (1925).

Joshua the Stylite, The Chronicle of Joshua the Stylite Compossed in Syriac A.D. 507 Translated into Engtish by W. Wright, Cambridge, 1882.

Justinian, Digest. Translated by C.H. Monro. 2 Vols. (Cambridge, 1904-1909).

Justinian, Institutes Translated by T.C. Sandars, (London, 1853).

Justinian, Code de Justinien, Tome Premier, Traduction, par P.A. Tissot, (Paris, 1806).

Justinian, Les Novelles de L'Empereur Justinien Traduites en francias par M. Bereinger fils, de Valence (Drôme), Tome Premier, Paris, 18'1), Tome Deuxième, (Paris, 1912).

Liberatus, Breviarium, ed. Migne. (PL LXVIII, Paris, 1847).

Malalas (*John*) Chronographia ed. L. Dindorf, in (CSHB, Bonn. 1831).

Marcellinus Comes, Chronicon ed. Migne, in (PL 51, Paris, 1846).

Menandrus, Excerpta de legationibus Romanorum ed. B.G. Neibuhr, in (CSHB, Bonn., 1840).

Michel Le Syrien, Chronique de Michel Le Syrien Patriarch Jacobite d'Antioche (1117-1190), editée la premire fois et traduite par J. B. Chabot, Tome II (Paris, 1904).

Moberg (Axel) ed. The Book of Himarites Fragmentas of a Hitherto unknown syriac Work edited with introduction and translation by Axel Moberg, (London, 1924).

Procopius of Caesarea, Wistory of Wars Translated by H. B. Dewing, (New York, 1914-1940) .

Procopius of Caesarea, Buildings translated by H.B. Deaving, and G. Downey, (London, 1940).

Procopius of Caesarea, The Secret History translated by G.A. Williamson, (London, 1969).

Procopius of Dewing, De Bello Gotthico, IV (in CSHB, Bonn., 1833).

Theodore Lector, Ecclesiasticae Historiae ed. J. P. Migne, in (PG, Belgium, 1966).

Theophanes, Chronograpria, Votumen, I, ed. Classen, in (CSHB, Bonn, 1839).

Victor Tunenensis, Chronicon ed. J.P. Migne, in (PL 68, Paris, 1847).

Zachariah of Mitylene, The Syriac chronicle known as that of Zacharia of Mitylene. Translated by F.J. Hamilton and E.W. Brooks, (London, 1899).

(د) المراجع الأجنبية :

Abel (F.) Histoire de la Palestine Depius la conquete d'Alexandre Jusqu'a l'invasion Arab. Vol. 2, (Paris, 1952).

Abel (F.), "L'ile de Jutabe", Revue Biblique, 47, (Paris, 1938).

Baker (G. P.) Justinan (London, 1932).

Baldwin (B.) "Menander Protector", Dumbarton Oaks Papers, No. 32, (New York, 1978).

Baker (E.), Social and Political Thought in Byzantium from Justinian I to the last Palaeologus, Excerpts from literary Text, in translation, with introduction and notes ed. E. Barker, (Oxford, 1957).

Barraclough (G.) The Medieval Papcy (London, 1968).

Baatie (B.T.), "Saint Katharine of Alexandria Traditional Themes and the Development of a Medieval German Hagiographic Narrative", Speculum, Vol. LII, October, 1977, No. 4.

Bouchier (E.) Syria as a Roman Province (Oxford, 1916).

Bradley (H.) The Goths fifth edition (London, 1887).

Bussell (F.), The Roman Empire 2 Vols. (London, 1910).

Burkitt (F. C.), The Religion of the Manichees (Cambridge, 1925).

Bury, (J. B.) History of the Later Roman Empire 2 Vols. Second edition (London, 1923).

Bréhier (L.) Vie et Morte de Byzance. (Paris, 1948).

Bréhier (L.), L'Art Byzantium (Paris, 1924).

Cameron (A.), Circus factions ; blues and greens at Rome and *Byzantium* (Oxford 1976).

Caquot (A.), "L'Encription Ethiopienne de Marib", Annales d'Ethiopie, 5, (Paris, 1965).

Carlyle (A.F.), A History of Medieval Political Theory in the West. Vol I. (London. 1903).

Carpentier (E.) Martyrium Arethae in (Acta Sanctorum, Octobirs, X, Paris, 1869).

Charanis (P.), "Armenians and Greeks in the Byzantine Empire, "Armenian Review, 25 (Boston, 1972).

Charanis (P.), "On the Slavic Settlement in the Peloponnasus", Byzantinische Zietschrift, 46, (Munchen, 1953).

Christides (V.), "Saracen's Prodosia in Byzantine Souces", Byzantion, 40, Bruxelle, 1970).

Chrysos (E.), "The Titile Basilius in the early, Byzantine international Relations", Dumbarton Oaks Papers, 32, (New York, 1978).

Collinet (P.), Historie de L'Ecole de Droit de Beyroth, (Paris, 1925).

Colquhoun, Asummary of the Roman Civil Law, 4 Vols. (London, 1849-60).

Courtois (C.), Les Vandales et l'Afrique, (Paris, 1955).

Dieht (C), Justinien et la Civilization Byzantine au VI Siecle (*Paris,* 1901).

Diehl (C.), Byzantium : Greatness and Decline Translated from the French by Naomi Walford (New Jersey, 1957).,

Diehl (C.), Theodora Empress of Byzantium Translated by Samuel R. Rosenbaum (New York. 1972).

Diehl (C.), Manuel d'Art Byzantine Tome Premier (Paris, 1901).

Diehl (C.), Le Monte Oriental de 395 à 1081, (Paris, 1936).

Downey (G.), "Procopius on Antioch A Study of Method in the De Aedificus," Byzantion, Tome XIV., (Bruxelles, 1939).

Downey (G.), "The Persian Compaign in Syria in A.D. 540", Speculum, 28, (Miching, 1953).

Downey (G.), A History of Antioch in Syria From Selecucus to the Arab Conquest (New Jersey, 1961).

Downey (G.), The Later Roman Empire, (New York, 1969).

Downey (G.), Constantinople in the Age of Justinian (Norman, 1960).

Dubnov (*S.*), History of the Jews Vol. 2, (London, 1968).

Duchesne (*L.*) L'Englise Au VIe Siècle, (Paris, 1925).

Dunning (W. A.), Political Theories of the Middle Age. Translated by F. W. Maitland, (Cambridge, 1927).

Dvornik (J.), Les Slaves Byzance et Rome au IX Siècle (Paris, 1926).

Dvornik (*J.*) Origins of the Intelligence Service (New Jersey, 1974).

Dvornik (F.) "Pope Gelasius and Emperor Anastasius I", Byzantinische Zeitischrift, 44, (Munchen, 1951).

Ensslin (*W.*), The Emperor and the Imperial Administration in Byzantium, edited by Norman H. Baynes and H. St. L.B. Moss (Oxford, 1953).

Franzius (E.) History of the Byzantine Empire (New York, 1967).

Fleury, Histoire Ecclesiastique Tome 6 (Paris, 1722), Tome 7., (Paris, 1828).

Forsyth JG.H.), "The Monastery of St. Catherine at Mount Sinai : The Church and Fortress of Justinian", Dumbarton Oaks Papers, 22 (New York, 1968).

Fricot (*A.*) Aqula in (DHGE, Tome Troisiéme Paris, 1924).

Gierke (*O.*), Political Theories of the Middle Age translated by F. W. Martland (Cambirdge, 1927).

Hardy, (E.) "The Egyptian Policy of Justinian", Dumbarton Oaks Papers, No. 22, (New York, 1968).

Hardy, (E.) The large states of Byzantine Egypt (New York, 1931).

Harnack (A.), History of Dogma Translated by Neil Buchanan, Vol. 4, (New York, 1958).

Hauptmann (L.) " Le Rapports des Byzantins avec Les Slaves et les Avares pendant la seconde moitié du VI Siecle", Byzantion, LIV, (Paris, 1929).

Héfélé (C. J.), Histoire des conciles Traduction par Leclercoq (Dom. H.), Tome II Dieuxiéme Partie (Paris, 1908).

Heyd, Historie du commerce du Levant Vol. I, (Leipzig, 1923).

Hirth (F.) China and Roman Orient, (London, 1885).

Holland (J.E.), The Institutes of Justinian Second edition (Oxford, 1881).

Holmes (W.), The Age of Justinian and Theodora 2 Vols (London, 1912).

Huart (C.) Ancient Persia Translated by M.R. Dobie (London, 1927).

Hudson (G.), Europe and China, (London, 1931).

Hodgkin (T.), Italy and her Invaders Vol. 3, second edition, (Paris, 1896).

Janin (R.), "Les Juifs dans L'Empire Byzantin, "Echos d'Orient, Tome XV, (Paris, 1912).

Jarivs, Yesterday and Today in Sinai (London, 1933).

Jones (A.H.M.), The Deline of the Ancient World (London, 1968).

Jones (A.H.M.), The Later Roman Empire Vol. I. (Oxford, 1964).

Jones (A.H.M.), Cities of the Eastern Roman Prosinces (Oxford, 1937).

Kamil (M.), "The Ethiopic inscription of cableb in Souch Arabia", Journal of Semitic studies, 9, (Cambridge, 1964).

Kammerer (A.) Essai sur L'histoire antique d'Abysinie (Paris, 1926).

Kawar (Iran), "Byzantium and Kında", Byzantinische Zeitschrift, 53 (Muchen, 1960).

Kawar (I.), "The Patricate of Arethas", Byzantinische Zeischrift, 52, Munchen, 1959).

Kawar (I.), "The Arabs in the Peace Treaty of AD 561", Arabica 3, (Leiden, 1956).

Kawar (I.), "Procopius and Arethas", Byzantinische Zeitchrift, 50, (Munchen, 1957).

Labriolle (P.), Histoire de L'Eglise Tome IV (Paris, 1937).

Laurent (V.) "Le titre de Patriarche Oecuménique et la Signature Patriarchle", Revue des Etudes Byzantines, Tome) VI, (Bucarest, 1948).

Lebeau, Histoire du Bas Empire Tomes 7-9, (Paris, 1927-1936).

Lebon (J.), Le Monophysisme Severien (Lovain, 1909).

Lopez (R. S.), "Silk Industry in the Byzantine Empire", Speculum, 15, (1945).

Leutchenko (M. V.), Byzance des Origines a 1453, Troduction de Pierre Mabille (Paris, 1949).

Lindsay (J.), Byzantium into Europe (London, 1955).

Magoulias (H.), Byzantine Christianity . Emperor, Chuch and the West. (Michigan, 1970)

Mango (C.), The Art of the Byzantine Empire. (New Jersey, 1927).

Manjlovic (G.), "Le People de constantinople", Byzantion, XI, (Bruxelles, 1936).

Mansi (Joannes Dominicus) Amplissime Sacrorum Conciliarum Tomus Octavus & Nonus. (Austrie, 1960).

Martroye (F.), L'Occident a l'epoque Byzantine (Paris, 1904).

Maspero (J.), Organisation Militaire de L'Egypte Byzantine (Paris, 1912).

Meyendorff (J.) Byzantine Theology (New York, 1974).

McCabe (J.), The Empresses of Constantinople (London, 1913).

Milman (H.), The History of the Jews Vol. 2, Fourth edition, (London, 1939).

Milne (J.). A History of Egypt Under Roman Rule (London, 1913).

Murry (D.C), A History of Heresy (London, 1876).

Musil (A.), Palmyrena (New York, 1928).

Myendroff (J.) "Justinian, The Empire and The Church", Dumbarton Oaks Papers, 22, (New York, 1968).

Nicholas (B.), An Introduction to Roman Law (Oxford, 1962).

Nau (F.), Les Arabes Chrétiens de Mesopotamie et de Syrie du VII au VIII Siécle (Paris, 1933).

Ostrogorsky (G.), History of the Byzantine State Translated by J. Hussey (Oxford, 1968).

Obolensky (D.), The Byzantine Commonwealth, Eastern Empire, 500-1453. (London, 1971).

Pargoire (P.J.), L'Eglise Byzantine (527 a 847) (Paris 1923).

Parker (J.), A History of Palestine from 135 A.D. to Modern Times (London, 1949).

Payne (J.), John of Ephesus (Oxford, 1909).

Philby (H. J. B.), *The* Background of Islam) (Alexanhria, 1947).

Reinuad (M.), Relation Politiques et Commerciale de l'Empire Roman avec l'Asie Orientale (Paris, 1893).

Ronald (C.), "On the early career of Aagthias Scholasticus", Revue, des Etudes Byzantines, Tome XXVIII, (Paris 1970).

Salaville (S.), "La fete du concile de Nicee et les fetes de conciles dans le rit byzantin", Echos d'Orient, Tome XXIV, (Paris, 1925).

Salaville (S.) "L'Affaire de L'Henotique", Echos d'Orient", Tome XVII, (Paris, 1918).

Schulz (F.), History of Roman Legal Science second edition (Oxford. 1953).

Shahid (*I.*), "Procopius and Arethas Again", Byzantion, 41, (Buxelles, 1971).

Stein, (E.), Histore du Bas-Empire, Tome II (486-565), (Paris. 1950).

Tixeront (*J.*), History of Dogomas Translated from the fifth French edition by Herder (H. L.) Vol. III (London, 1916).

Toumanoff (C.), "Iberia on the eve of Bagratid Rule, an Enquiry into the Political History of Eastern Georgia between the VI and IXth century", Le Museon, 65, (Belgique, 1952).

Tsirpanlis (C.N.), "John Lydus on the Imperial Administration", Byzantion, Tome VLIV, (Bruxelles, 1974).

Ullmann (W.) The Growth of papal Goverment in the Middle Ages (New York, 1962).

Ullmann (W.), A History of Political Thought. The Middle Ages. Pengium Books, Third edition, (London, 1970).

Ullmann (W.), Law and Politics in the Middle Ages (New York, 1975).

Ure (P.N.), Justinian and his Age (London, 1951).

Vasiliev (A. A.), Justin the First, (Combridge, 1950).

Vasiliev (A.A.), History of the Byzantine Empire Vol. I. (Madison. 1964).

Vasiliev (A.A.), "Notes on some Episodes concerning the relations between the Arabs and Byzantine Empire from the Fourth to the Sixth. Century", Dumbarton Oaks Papers, 10, (New York, 1956),

Wenzel (M.) Finding out about the Byzantines, (London, 1965).

Walton (F.), Historical Introduction to the Roman law. Fourth edition, Revised, (London, 1920).

(هـ) المصادر العربية والمصرية (*) :

١ ــ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) عز الدين أبو الحســن على بن أبى الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير . الكامل فى التاريخ .

٢ ــ الأزرقى (ت ٢٢٣هـ) محمد بن عبد الله أحمد أبو السيد الأزرقى ، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار ، صححها وعلق على حواشــيها ووضع فهارسها رشدى الصالح ، (مكة ١٣٥٢هـ) .

٣ ــ أغابيوس (محبوب بن قسطنطين المنجى) ، أسقف منج ت القرن العاشر الميلادى ، كتاب العنوان ، الجزء الثانى ، (باريس ١٩٠٩م) .

٤ ــ البلخى (ت أواخر القرن الرابع الهجرى) ، البدء والتاريخ ، الجزء الثالث تحقيق هواركلمان ، (باريس ١٨٩٩م) .

٥ ــ الثعالبى (٣٥٠ ــ ٤٢٩هـ) ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن اسماعيل النيسابورى ، غرر أخبار ملوك الفرس وســيرهم (طهران ، ١٦٩٣) .

٦ ــ أبو حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢هـ) أحمد بن داود (وهو فارسى الأصل من مدينة دينور فى اقليم همذان) ، الأخبار الطــوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، (مصر ١٩٦٠م) .

٧ ــ الحيمى الحسن بن أحمد ، سيرة الحبشة ، تحقيق الدكتور/ مراد كامل ، (القاهرة ١٩٢٧م) .

٨ ــ ابن خلدون (ت ٨٠٧هـ) عبد الرحمن بن خلدون المغربى ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الثانى (بيروت ١٩٦٦م) .

٩ ــ سعيد بن بطريق (وهو أفتيشيوس بطريرك الملكيين بالاسكندرية ومن رجال القرن العاشر الميلادى) ، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . (بيروت ١٩٠٥) .

١٠ ــ طافور (بيرو) ، رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ترجمة وتقديم الدكتور حسن حبشى ، دار المعــــارف بمصر ، (القاهرة ، ١٩٦٨م) .

(*) رتبت الأعلام بعد تجريد العلم من ألفاظ : ابن ، وأبو ، وأل .

١١ ـ الطبرى (ت ٣١٠هـ) أبو جعفر بن جرير الطبرى) تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الثانى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة ، ١٩٦١م) .

١٢ ـ ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة) ، المعارف ، تحقيق د./ ثروت عكاشة (القاهرة ، ١٩٦٠م) .

١٣ ـ المسعودى (ت ٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جزءان ، (بيروت ، ١٩٦٥) .

١٤ ـ ابن المقفع (ساويرس أسقف الأشمونين) ، تاريخ بطارقة الكنيسة القبطية فى الاسكندرية ،
(PO Tomus, I, Paris, 1907).

١٥ ـ ابن هشام الأنصارى (ت ٢١٨هـ) أبو محمد عبد الملك بن عبد الله ابن هشام الأنصارى ، التيجان فى ملوك حمير ، (حيدر أباد الدكن ١٣٤٧هـ) .

١٦ ـ ابن هشام الأنصارى ، السيرة النبوية ، (القاهرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) .

١٧ ـ اليعقوبى (ت ٢١٧هـ) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسى المعروف باليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، الجزء الأول (بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) .

(و) المراجع العربية والمعربة :

١ ـ أرشيبالد (لويس) ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، (٥٠٠ ـ ١٥٠٠م) . ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة محمد شفيق غربال ، (القاهرة ، ١٩٦٠م) .

٢ ـ أسد رستم ، الروم وصلاتهم بالعرب ، الجزء الأول ، (بيروت ، ١٩٥٥م) .

٣ ـ أغناطيوس يعقوب الثالث (بطريرك أنطاكية وسائر المشرق) ، الشهداء الحميريون فى الوثائق السريانية (دمشق ١٩٦٦م) .

٤ ـ بينز (نورمان) ، الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة د./ حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، الطبعة الثانية ، (القاهرة ١٩٥٧م) .

٥ ـ جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الثالث ، (بيروت ١٩٦٩م) ٠

٦ ـ جورج فضلو حورانى ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى فى العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى ، ترجمة السيد يعقوب بكر (القاهرة ١٩٥٨م) ٠

٧ ـ جيبون ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، الجزء الثانى ، ترجمة لويس اسكندر (القاهرة ١٩٦٩م) ٠

٨ ـ حسن خليفة ، تاريخ النظريات السياسية وتطورها ، الطبعة الثانية ، (القاهرة ، ١٩٣٥م) ٠

٩ ـ حسن شحاته سعفان ، أساطين الفكر السياسى ، والمدارس السياسية ، (القاهرة ، ١٩٥٩م) ٠

١٠ ـ رأفت عبد الحميد (دكتور) ، الدولة والكنيسة ، الجزء الأول (القاهرة ١٩٧٥م) ، الجزء الثانى ، (القاهرة ١٩٨٠م) ٠

١١ ـ السيد الباز العرينى ، الدولة البيزنطية (٣٢٣ ـ ١٠٨١م) ، (القاهرة ١٩٦٥م) ٠

١٢ ـ السيد عبد العزيز سالم ، دراسات فى تاريخ العرب ، الجزء الأول ، (القاهرة ١٩٦٧م) ٠

١٣ ـ السيد محمد يوسف ، علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور الى نهاية القرن الرابع الهجرى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ١٥ الجزء الأول (مايو ١٩٥٣م) ٠

١٤ ـ شفيق شحاته ، نظرية الالتزامات فى القانون الرومانى ، القاهرة ١٩٦٣م) ٠

١٥ ـ شيخو (الأب شيخو اليسوعى) ، تاريخ النصرانية ، الجزء الأول ، (بيروت ١٩١٢م) ٠

١٦ ـ عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، (القاهرة ١٩٤٧م) ٠

١٧ ـ عبد المنعم البدراوى : تاريخ القانون الرومانى (الاسكندرية ١٩٤٩م) ٠

١٨ ـ عمر ممدوح مصطفى ، القانون الرمانى ، الجزء الأول (الاسكندرية ١٩٥٤م) ٠

١٩ ـ قاسم عبده قاسم (دكتور) ، أهل الذمة فى العصور الوسطى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، (القاهرة ١٩٧٩م) ٠

٢٠ ـ كانتور (نومان ٠ ف) ، التاريخ الوسـيط ، ترجمة وتعليق دكتور/ قاسم عبده قاسم ، دار المعارف ، (القاهرة ، ١٩٨١م) ٠

٢١ ـ كريستنسـن (أرثر) ايران فى عهـد الساسانيين ، ترجمة د٠/ يحيى الخشاب (القاهرة ، ١٩٥٧م) ٠

٢٢ ـ محمد معروف الدواليبى ، الوجيز فى الحقوق الرومانية وتاريخها، الطبعة الثالثة ، (دمشق ١٩٥٩م) ٠

٢٣ ـ مشرقى (صموئيل) ، مصـادر الكتاب المقدس ، (القـاهرة ١٩٧٣م) ٠

٢٤ ـ نولدكه (ثيودور) ، أمراء غسـان ، ترجمة بنـدلى جوزى وقنسطنطين زريق (بيروت ١٩٣٣م) ٠

٢٥ ـ يؤانس (الأنبا يؤانس أسقف الغربية) الكنيسة فى عصر الرسل الطبعة الثانية (القاهرة ، ١٩٧٧م) ٠

الفهــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٨٣/١٩٨٩

ISBN – ٩٧٧ – ٠١ – ٢١٧٨ – ٩

يضم هذا الكتاب بين صفحاته بحثاً علمياً جديداً عن موضوع لم يسبق الكتابة فيه ؛ وهذا الموضوع هو الصراع بين القوتين العظميين فى العالم فى القرن السادس الميلادى ؛ وأعنى بهما الدولة الفارسية والإمبراطورية البيزنطية قبيل ظهور الإسلام ، وأهمية العالم العربى الإستراتيجية والإقتصادية والسياسية .

ومن ثم فهو كتاب يحتاجه المعلم فى المرحلة الثانوية ويحتاجه الطالب الجامعى فضلاً عن انه لا غنى عنه لأى باحث فى التاريخ البيزنطى عامة وفترة قيام الدولة الإسلامية خاصة .

ومن بين محتوياته وجود فصل عن سيطرة الامبراطور على الكنيسة وظهور القيصرية البابوية . وفصل آخر عن الأصول العامة للدبلوماسية الدولية التى صارت المبادىء الأساسية التى تعتمد عليها الأساليب الدبلوماسية فى الوقت الحاضر .

كما يحتوى على كم وافر من الوثائق والنصوص التاريخية والمعاهدات التى لم يسبق نشرها والتى غطت فصول الكتاب كلها .

٥٠ ٣ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب